# الخطايا

## في نظر الإسلام

تأليف

عفيف عبد الفتاح طباره

صاحب كتاب (روح الدين الاسلامي)

توزيع

دار العلم للملايين

بيروت - ص.ب ١٠٨٥

الخطايا
في نظر الإسلام

TB

مِنْ تعاليم القرآن في الدعاء

رَبَّنَا لا تُؤاخِذْنَا إنْ نَسِينَا أوْ أخْطَأنَا

رَبَّنا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا

رَبَّنا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ، وَاعْفُ عَنَّا واغْفِرْ

لَنَا وَارْحَمْنَا ، أنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ

مِن أدْعِيَةِ رَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم

اللهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ

كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ

اللهُمَّ نَقِّنِي مِنَ الخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأبيضُ مِنَ الدنسِ

اللهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِالمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالبَرَدِ .

# الخطايا

## في نظر الإسلام

تأليف

عفيف عبد الفتّاح طبّاره

الطبعة الثانية

ذو الحجة ١٣٩٧

تشرين الثاني ١٩٧٧

# كلمة شكر

أقدم شكري وامتناني الى الصديقين الكريمين :
فضيلة الأستاذ الشيخ **حسين غزال** وفضيلة الاستاذ **شريف خليل سكر**
اللذين تفضلا وراجعا وصححا هذا الكتاب .

كما أقدم شكري الى من قدم لي المعونة في بعض مواد هذا الكتاب وهم الأصدقاء :
**الدكتور مصطفى الحفار ، والأستاذ حسن شقير ، والأستاذ مصطفى قصاص ، وفضيلة الشيخ محمد عبدالله عيتاني ، وفضيلة الشيخ خليل الميس.**

وأقدم شكري **( لجامعة بيروت العربية )** التي أتاحت لي الاطلاع على المراجع اللازمة في مكتبتها العامرة ، وكذلك أصحاب **( دار العلم للملايين )** الأكارم لما لقيت منهم من تشجيع وصدق في نشر المعرفة .

راجياً من الله ان يتقبل منا هذا العمل ويجعله خالصاً لوجهه الكريم .

بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمة الكتاب

لفضيلة قاضي الشرع الشريف
الشيخ حسين يوسف غزال

في هذا العصر الذي انحدر فيه البشر الى الطغيان ، وابتعدوا عن تعاليم السماء وانغمسوا في الإثم والشرور ، يطل علينا الأستاذ عفيف طباره بكتابه الجديد ( الخطايا ) ليذكر الناس بربهم ( فذكر ان نفعت الذكرى ) ويشعرهم بالأخطار المحدقة بهم في دنياهم وآخرتهم ، قال تعالى :

﴿ مِمّا خَطيئاتِهِم أُغرِقوا فأُدخِلوا ناراً فَلَمْ يجدوا لهم مِنْ دُونِ الله أنصاراً ﴾ نوح : ٢٥ .

وقد أحسن مؤلفنا الاختيار ، ووفق في التوقيت فجاء كتابه نجدةً وقت الاستغاثة ، واصباحاً بعد ليل طويل ، وبدراً في الليلة الظلماء ، يأخذ بيد الغارقين في لجج الخطايا ويرشد التائهين في ظلمات الآثام .

ولعمري إن الخطايا تنكت في القلب نكتاً سوداء تحجب عنه الرؤية حتى إذا تكاثرت غلفت القلب بالسواد فأضحى في ظلام مطبق لا يتسرّب اليه نور الله ﴿ ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ﴾ .

ومما يستدعي الانتباه ويدق ناقوس الخطر ان المجتمعات اليوم في سائر أمم الأرض تبتعد كلياً عن وصايا الله ، يفعل الفرد الموبقات دون وجل ، ويحلل المحرمات دون وازع من دين أو خلق ، لم يأخذ في حسابه وجود الله ولم يؤمن بيوم فيه يلقاه ، واعتبر ان حياته محصورة في أيام دنياه فعاش لا يشعر بطمأنينة في الأرض ولا يطمع بنعيم في السماء .

ظن أن سعادته في اللذات المحرّمات فعب منها ما شاء ، وغرف بكلتا يديه ولكن هيهات للذات الجسد ان تطفىء ضرام القلب ، أو ان أنـوار الحفلات تضيء منه ظلام الضمير ، فعندما يخلو مع نفسه ويرجع الى حقيقة ذاته يدرك ان قلبه لم ينعم بلذة ، وضميره لم يخل من عذاب ، وعندما يقدم على ربه فرداً تاركاً وراءه كل شيء سوف يقرع سن الندم ويتمنى لو رجع الى ربه وقدّم لحياته من الصالحات ، وقد قال تعالى :

﴿ ولقد جئتمونا فُرَادَى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم ﴾ .

من هنا يأتي هذا الكتاب يسد ثغرة كبيرة في هذا العصر ، وسيجد الناس فيه اليد الرفيقة التي تقودهم الى طريق الرجاء وباب السماء .

ولقد أحسن مؤلفنا في اختيار المواضيع من نفسية وشخصية واجتماعية وكلها مما نعايشه ونحيا في خضمه فنثرها عوداً عوداً ، وأوضح بأسلوبه المعهود اضرارها وأخطارها نفسياً واجتماعياً ، وهيأ النفوس لأن تمقتها وتنفر منها وتبتعد عنها ، ثم عاد فأوضح الجانب الديني وما تدعو اليه الشريعة من فتح باب التوبة وتشجيع الناس على الدخول في أبوابها ، وحفز هممهم للإقبال على الله ، واثارة أرواحهم للتطلع نحو السماء بمحبة وشوق .

ولا بد ان نشير الى ان ما يصيب أمتنا في هذه الأيام العصيبة من بلايا عاصفة ، ومحن قاسية ، مرده الى انغماسها في الخطايا ، فإذا أرادت ان تنشد رحمة السماء لتدفع عنها الشقاء والبلاء ، وتورثها النصر على الأعداء فلا بد ان تقلع عن خطاياها ، وتفر الى الله من ذنوبها ، وتبدل سلوكها ، ولقد جاء في القـرآن :

﴿ إن الله لا يُغيّر ما بِقَوْمٍ حتى يُغَيّروا ما بأنفُسِهم ﴾ .

وختاماً إذا كان من ملاحظة لصديقنا المؤلف — وهو أدرى بها — فهي انه لم يتعرض لجميع الخطايا التي حذرنا منها الإسلام مكتفياً بالمهم منها ، الشائع فيما بيننا ، وعساه ان يتلافى هذا في الطبعات اللاحقة ، مقدرين جهده وجهاده في نشر روح الإسلام وتعاليمه السامية بما يسعد الناس في دنياهم وآخـرتهم .

# تقديم

لفضيلة الاستاذ
شريف خليل سكر
ماجستير في الشريعة الاسلامية

الحمد لله والصلاة والسلام على محمد خاتم الأنبياء وبعد ،

فإن اختلاف الناس في أديانهم هو سنّة الله في خلقه ، فلا داعي لاتخاذ هذا الاختلاف سبباً للعداوة والاقتتال ، ولقد صرح القرآن بذلك بقوله : ﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلاّ من رحم ربك ولذلك خلقهم ﴾ هود: ١١٨ .

والاختلاف بين البشر في ألوانهم ومعتقداتهم وأوطانهم ليس سبباً للتفرقة والاختلاف ، بل يوجب عليهم التعارف ، والتعارف يدعو الى التآلف ، وإن اكرم الناس عند الله اتقاهم ، والتقوى اسم جامع لخصال الخير ، من اتقاء كل الأعمال التي تغضب الله ، وإتيان الأفعال التي ترضيه، وهذا ما أعلنه القرآن مخاطباً البشرية على اختلاف مللها : ﴿ يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ الحجرات : ١٣ .

ونبي الإسلام محمد ﷺ لم يأت بدين جديد ولكنه أتى بالتشريع المتمم لما أتى به ابراهيم وموسى وعيسى، ﴿ شَرَعَ لكم من الدِّين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه ﴾ الشورى : ١٣ .

فالله يأمر المسلمين بإقامة أسس الدين القائمة على العدل والمحبة والسلام ، وعدم اتخاذ الدين أداة للتفرقة .

والقرآن يعلن ان النصارى هم أقرب الناس مودة للمسلمين ، قال تعالى :

﴿ ولَتَجِدَنّ أقربهم مَودّة للذين آمنوا الذين قالوا إنّا نصارى ذلك بأنّ منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون ﴾ المائدة: ٨٢ .

وفي ذلك إيحاء للمسلمين والنصارى بأن يتآلفوا ويتوادوا ويتعاونوا في القضاء على الشر والفساد والالحاد في الأرض ، ورفع راية الحق والعدل والسلام الذي هو جوهر دين الله .

وإن أساس الإيمان هو ان يحب الإنسان لإخوانه ما يحبه لنفسه هذا ما أعلنه النبي محمد ﷺ بقوله :

( لا يؤمن احدكم حتّى يحب لأخيه ما يحب لنفسه )(١) .

والمسلمون والنصارى في لبنان يكوّنون أسرة واحدة فهم جيران في المدن والقرى والجار له حقوق نص عليها نبي الإسلام محمد ﷺ بقوله :

( والله لا يؤمن ( رددها ثلاثاً ) قيل ومن يا رسول الله ؟ قال : الذي لا يأمن جاره بوائقه )(٢) .

ومن أقوال محمد ﷺ :

( ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورّثه )(٣) .

( من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره )(٤).

والإسلام ينهى عن الاعتداء على الناس والفساد في الأرض، يقول الله تعـالى :

﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتـدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾ البقرة : ١٩٠ .

﴿ ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لايحب المفسدين ﴾ القصص: ٧٧ .

---

(١) رواه البخاري ومسلم . (٢) بوائقه : شره ، وهذا الحديث رواه البخاري ومسلم .
(٣) رواه البخاري . (٤) رواه البخاري .

هذه بعض توجيهات الإسلام في الدعوة الى التسامح والدعوة الى الخير والنهي عن المنكر. وأترك الكثير للمؤلف للكلام عنه في هذا الكتاب.

وأما إذا نظرنا الى كتب المسيحيين المقدسة نرى ان المسيحية هي دين المحبة ودين التسامح ودين الرحمة والى القارىء بعض هذه الوصايا:

(قد سمعتم انه قيل: أحبب قريبك، وأبغض عدوك. أما انا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم واحسنوا إلى من يبغضكم وصلّوا لأجل من يعنتكم ويضطهدكم) متى ٥/ ٤٣، ٤٤.

(طوبى للرحماء فإنهم يُرحمون) متى ٥/ ٧.

(إن كنت تريد ان تدخل الحياة (أي الحياة الأبدية) فاحفظ الوصايا. فقال له وما هي. قال يسوع: لا تقتل، لا تزنِ، لا تسرق، لا تشهد الزور، اكرم أباك وأمك، احبب قريبك كنفسك) متى ١٩/ ١٧ — ١٩.

(فقال يسوع لتلاميذه: الحق أقول لكم إنه يعسر على الغني دخول ملكوت السموات) متى ١٩/ ٢٣.

ذكرنا هذه المقدمة في الكلام عن الإسلام والمسيحية لنصارح القراء بملء أفواهنا بأن الذين حملوا راية الطائفية في لبنان، وتناحروا باسم الدين، وقتلوا الأبرياء، واعتدوا على أملاك الغير، واحتكروا أقوات الشعب وعاثوا في الأرض فساداً هم أنفسهم أعدى أعداء المسلمين والمسيحيين الذين يجب التصدي لمحاربتهم والزامهم بالوقوف عند حدود الله.

لقد اختلط على الناس فهمهم لدين الله فلم يفهموا كنهه، وافتعلوا الإجرام باسم الدين، والدين منهم براء، وانصب الهجوم على الدين بأنه أداة تفرقة فشطبوا اسم دينهم من الهوية، فهال المؤلف الأستاذ عفيف طباره ان تُطعن الحقيقة فقام يظهر الحق من الباطل ويبين للناس ما أشكل عليهم في هذا الكتاب مظهراً مبادىء الإسلام الخيرة ومبيناً الخطايا التي حذر الله منها والتي هي سبب الشقاء الذي نعانيه.

لقد أجاد المؤلف في تحليل معنى الخطيئة وأقسامها وأثرها على النفس الإنسانية مظهراً كيفية علاجها مستعرضاً جوانبها مبتدئاً بعرض خطايانا نحو الله، متابعاً كلامه عن خطايانا في العائلة والمجتمع والمعاملات والبطر والإجرام

والاعراض عن عبادة الله ، فهو في ذلك يحيط بجوانبها مع إجادته التبويب والتركيز على المواد التي يكتبها بأسلوبه المعهود ، السهل المبسط مما يبعد الملل ويثير الرغبة والتشويق على متابعة القراءة بشغف ومتعة .

وفي هذا الكتاب يظهر البحث العلمي الرصين بأجلى صوره فالمؤلف لا يذكر الخطيئة مجردة دون ان يذكر أضرارها على المجتمع والإنسان ، والعلاج الذي وضعه الإسلام لها . فموجة الإجرام التي تجتاح لبنان لا يقضى عليها إلاّ بما شرعه الإسلام ، فالقاتل عن عمد مصيره معلق بين يدي أولياء القتيل إن شاءوا طالبوا بدمه وإن شاءوا عفوا عنه واقتصروا على أخذ الدية ولا تملك الحكومة ورئيس الدولة حق العفو عنه ، وبذلك تنتفي الرغبة في الأخذ بالثأر الذي يجر الى التقاتل والتناحر الى مالا نهاية له .

وقطاع الطرق الذين يخطفون الناس ويقتلونهم عقوبتهم الاعـــدام ، والسارق تقطع يده ، هذه العقوبات الصارمة غايتها حياة المجتمع ، وهذا ما أعلنه القرآن الكريم بقوله: ﴿ ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون ﴾ البقرة : ١٧٩ .

والناس سواسية أمام قانون العقوبات ، وأي اختلال في تطبيق القوانين لمكانة الجاني وجاهه وغناه هو نذير بهلاك الأمة هذا ما أعلنه نبي الإسلام محمد ﷺ بقوله :

( إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد )[١].

ومن المواضيع المفيدة في هذا الكتاب موضوع ( في المصيبة ) الذي يقدم فيه المؤلف العزاء لكل من أصيب في الحوادث الأخيرة في لبنان فهو يستعرض مفهوم المصيبة في الإسلام وما ورد في ذلك من وصايا للتغلب عليها والصمود أمامها .

هذه جولة سريعة في مضمون هذا الكتاب أدع القارىء ليستكشف بنفسه ما جاء فيه من هدى وغذاء روحي وعلاج للأحداث الدامية التي نمر بها .

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

## الباب الأول

## مدخل إلى

# تعريف الخطايا

- الخطايا وأقسامها
- العواقب السيئة للخطايا
- علاج الخطايا في الإسلام وعلم النفس
- منهج الإسلام في تكفير الخطايا

## الفصل الأول

# الخطايا وأقسامها

الخطايا الكبائر – الخطايا الصغائر – تجنب الخطايا الظاهرة والباطنة .

الخطايا في الإسلام تنقسم الى صغائر وكبائر لقوله تعالى :

﴿ إن تَجْتَنِبُوا كبَائِرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكفّر عنكم سَيِّئَاتِكُم ونُدْخِلْكُم مُدْخلاً كريماً ﴾ النساء : ٣١ .

فتصريح الآية بالكبائر يدل بالمفهوم على وجود غيرها ، أي الصغائر .

### الخطايا الكبائر

للعلماء في تعريف الخطايا الكبائر أقوال شتى نجمعها فيما يلي :

كل ما نهى الله عنه ، أو ما نصّ القرآن على تحريمه ، أو ما وجب فيه حدٌّ[1] ، أو ما ورد فيه توعّد بالعذاب بالنار يوم القيامة ، أو الغضب من الله ، أو ما وجب فيه لعنة ، أو ورد فيه وعيد شديد ، أو وصف فاعله بالفسق .

وقيل : إذا أردت معرفة الفرق بين الصغيرة والكبيرة فاعرض مفسدة الذنب على مفاسد الكبائر المنصوص عليها ، فإن نقصت عن أقل مفاسد الكبائر فهي من الصغائر ، وإن ساوت أدنى خطايا الكبائر أو زادت عليها فهي من الكبائر .

---

(١) حـد : عقوبة .

وقيل : لا كبيرة مع استغفار ، ولا صغيرة مع اصرار . والمعنى : ان الكبيرة تُمحى بالاستغفار ، والصغيرة تصير كبيرة بالإصرار على اقترافها .

**عدد الخطايا الكبائر :** قيل : الكبائر سبْعٌ لحديث صحيح ورد فيها ، ولكن الأحاديث الصحيحة التي تحدّثت عن الكبائر مختلفة ومجموعها يزيد على سبعة ، وقد ذكرت على سبيل التمثيل لا الحصر ، وكان النبي ﷺ يذكر في كل مقام ما تمس إليه الحاجة، ولم يَرِدْ ذِكرٌ للخطايا في مقام الحصر والتحديد .

وقد رُوي عن ابن عباس أنه سُئِلَ عن الكبائر : أسبع هي ؟ فقال : هي الى سبعين [1] .

**الخطايا الصغائر**

يُطلق على الخطايا الصغائر اسم ( اللمم )، وهي التي ورد ذكرها في قوله تعـــالى :

﴿ الذين يَجْتَنبون كبَائِرَ الإثْمِ وَالفواحِشَ [2] إلاّ اللّمم إنّ ربك واسِـــعُ المغفرة ﴾ النجم : ٣٢ .

واللمم هي الصغائر من الذنوب التي لا يسلم من الوقوع فيها إلاّ من عصمه الله وحفظه ، وهي مثلاً في خطايا الجنس كل ما هو دون الزنا كالقبلة [3] ، والغمزة ، والنظرة .

وقد رُوي عن النبي ﷺ انه قال : ( إن الله كتب على ابن آدم حظّهُ من الزنا أدْرك ذلك لا مَحَالَةَ فَزِنا العين النظر ، وزنا اللسان النطق ، والنفس تتمنّى وتشتهي والفَرْج يُصدّق ذلك أو يُكذّبه ) [4] .

---

(١) وفي رواية أخرى إلى سبعمائة .

(٢) الفواحش : جمع فاحشة ، وهي كل ما اشتد قبحه من الذنوب والمعاصي ، وكثيراً ما ترد الفـــاحشة بمعنى الزنا .

(٣) إن تعاطي الإنسان المعصية الصغيرة على وجه يجمع وجهين أو وجوهاً من التحريم يجعلها كبيرة . فالقبلة أو اللمس صغيرة ولكن مع زوجة الجار كبيرة .

(٤) رواه البخاري ومسلم .

وقيل : اللمم كل ذنب لم يضع الله عليه حداً في الدنيا ولا عذاباً في الآخرة، والذي تكفّره الصلوات الخمس ما لم يبلغ درجة الكبائر والفواحش . وقد ورد عن النبي ﷺ انه قال :

( الصلوات الخمس، والجمعة الى الجمعة، ورمضان الى رمضان مكفّرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر )[1] .

وينبغي ان يُلاحظ أن الصغيرة إذا أصرّ الإنسان على فعلها تصبح كبيرة ، يقول النبي ﷺ :

( إياكم ومحقّرات[2] الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنّه )[3] .

## تجنّب الخطايا الظاهرة والباطنة

ومن أسمى ما يطالعنا به القرآن هو الدعوة الى ترك الخطايا الباطنة بجانب الخطايا الظاهرة .

فالخطايا الظاهرة قد يبتعد عنها الإنسان حياءً من الناس، أو خوفاً من ملامتهم ، أو خشية من سلطة القانون ، أما الابتعاد عن الخطايا الباطنة التي لا يطّلع عليها الناس لاتصالها بخفايا النفس فهي مرتبة تتجه بالناس الى الصعود نحو المشارف العليا للكمال، والسلوك المثالي، وفي هذا يقول تعالى :

﴿ قُلْ: إنَّما حَرَّمَ ربِّي الفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَمَا بَطَنَ ﴾ الاعراف : ٣٣ .

﴿ وَذَرُوا ظَاهِرَ الإثْمِ وَبَاطِنَهُ ﴾ الانعام : ١٢٠ .

فهذه الوصية تبعدنا عن كل نقيصة من ظاهر الإثم والفواحش التي تظهر من الإنسان على مشهد أو مسمع من الغير ، او التي تكون في خلوة وخفاء عن الناس .

---

(١) رواه مسلم . (٢) محقرات : أي التي يحتقرها الناس لكونها صغيرة ، أي احذروا صغائرها لأنها تؤدي إلى ارتكاب كبائرها . (٣) رواه الإمام أحمد .

فالمسلم رقيب على أعماله سواء أكان ذلك في السرّ أو العلانية لاعتقاده بأنّ هناك سلطة إلهية ستحاسبه على ذلك كما جاء في القرآن :

﴿لله ما في السموات وما في الأرض وإن تُبْدُوا ما في أنفُسِكُم أو تُخفوه يُحاسِبْكُم به اللهُ﴾ البقرة : ٢٨٤ .

هذه ميزة المجتمع الإسلامي على المجتمع المادي ، فقد يخالف بعض أفراد المجتمع المادي القوانين الوضعية في الخفاء لأنهم آمنون من العقاب ، أما المؤمن فله رقابة ذاتية دائمة في السرّ والعلانية خوفاً من حساب الله وعقابه يوم القيامة .

والجدير بالذكر ان هذه الرقابة الذاتية ربطها الإسلام بوجدان المؤمن وضميره ، فجعل البرّ والعمل الصالح ما تطمئن إليه النفس ، وجعل الإثم خلاف ذلك ، وفي هذا الأمر يقول النبي ﷺ :

( البرُّ ما سكنت إليه النفس واطمأن اليه القلب ، والإثم ما لم تسكن إليه النفس ولم يطمئن اليه القلب وإن أفتاك المفتون )[1].

( الإثم ما حاك في نفسك وكرهت ان يطّلع عليه الناس )[2].

( دع ما يريبك إلى مالا يريبك )[3] .

هذا وإن الإسلام يرغّب في إتيان الحسنات واجتناب الخطايا ؛ يقول النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه :

( إذا همّ عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه ، فإن عملها فاكتبوها سيئة . وإذا همّ بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة ، فإن عملها فاكتبوها عشراً )[4] .

(١) رواه الإمام أحمد . (٢) رواه الإمام أحمد . (٣) رواه النسائي .
(٤) رواه مسلم .

## الفصل الثاني

# العواقب السيئة للخطايا

الخطايا مقوضة للأمم – الخطايا تؤدي إلى غضب الله وعذابه – تأثير الخطايا على الإنسان .

### الخطايا مقوّضة للأمم

إن الله لا تنفعه طاعة الطائعين ، ولا تضره معصية العاصين ، ولكن الله حذّر من المعصية لِمَا فيها من أضرار بفاعلها والمجتمع ، ورغّب في الطاعات لما فيها من خير لصانعها وللغير . ولقد قرّر القرآن هذه الحقيقة بقوله :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ ، وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ فصلت : ٤٦ .

﴿ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأنفُسِكُم وإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ الاسراء : ٧ .

﴿ وَمَنْ شَكَرَ فإنّما يَشكرُ لنفْسِهِ، وَمَنْ كَفَرَ فإنَّ ربي غني كريم ﴾ النمل : ٤٠ .

فالخطايا من أهم العوامل في شقاء الإنسان ، وهي ليست محرّمة إلاّ لأنها ضارة بالفرد في صحته وعقله وعمله، وضارة كذلك بالمجتمع ، فهي تجعله منقسماً على نفسه ، عرضة للقلاقل والثورات والفتن .

ويذكر القرآن بعض آثار ما يصيب الأمم من جراء انتشار الخطايا في أفـــرادها :

﴿ قُلْ هُوَ[1] القادِرُ على أن يَبْعَثَ عليكم عَذَاباً مِنْ فوقكم أو مِنْ تَحتِ أرجُلكم ، أو يَلْبِسَكُم شِيَعاً[2] ويُذيق بعضكم بأسَ[3] بعض ﴾[4] الانعام : ٦٥ .

هذه سنّة الله في خلقه ولن تجد لسنّة الله تبديلا، وهي معروفة لكل من درس تاريخ الشعوب وتأمل في أسباب سقوطها وانهيارها .

فسقوط الدولتين الرومانية واليونانية كان من أهم أسبابه كثرة الفساد الذي استشرى فيهما . وما قيل عنهما قيل عن فرنسا أيضاً عندما أصيبت بالهزيمة المنكرة والدمار على يد الجيش الألماني . فقد قال الكاتب المشهور (اندريه موروا) في كتابه ( أسباب انهيار فرنسا ) في الحرب العالمية الثانية : « من اهم أسباب انهيار فرنسا هو تفسخ الشعب الفرنسي نتيجة لانتشار الرذيلة بين أفراده » .

## الخطايا تؤدي إلى غضب الله وعذابه

والخطايا تؤدي الى غضب الله وعقابه للإنسان، وهذا العقاب إما أن يكون بالظواهر الطبيعية من الفيضانات أو القحط أو الريح الهوجاء ، أو الزلازل ، وإما أن يكون بالثورات والحروب التي تؤدي الى الدمار والخراب .

والقرآن أطلق على المعاصي الموجبة للعقاب اسماء عدة منها :

الخطيئة ، الذنب ، السيئة ، الإثم ، الفسوق ، العصيان ، العتو ، الفساد .

وقد أورد القرآن هذه الأسماء التي تتقارب في المعنى وبيّن ما يترتب على فاعلها من عقاب الله في الدنيا والآخرة .

---

(١) هو : أي الله سبحانه وتعالى .    (٢) يلبسكم شيعاً : يخلطكم فرقاً وأحزابـاً .
(٣) بأس بعض : شدة البعض في القتال .
(٤) روى الإمام أحمد والترمذي: أن النبي (ص) سُئِل عن هذه الآية فقال: انها كائنة ولم يأت تأويلها بعد ، وقد اتضح مضمون هذه الآية في الحربين العالميتين وما بعدهما فقد أرسل الله على الأمم العاصية عذاباً من فوقها بما تقذفه الطيارات من القنابل وما يقع عليها من الصواريخ ، وأرسل عليها عذاباً من تحتها بما يتفجر من الألغام والمتفجّرات وما ترسله الغواصات من القذائف تحت السفن ، وجعل الله الأمم بعضها لبعض عدواً وكثرت الطوائف والأحزاب المتصارعة المتقاتلة فيما بينها كما حصل أخيراً في لبنان .

ويحسن بنا ان نلم إلمامة موجـــزة بالمعاني اللغوية لهذه الأسماء قبل ان نستشهد على ذلك بالآيات القرآنية :

**الخطيئة**[١] : اقتراف الذنب عمداً، والجمع خطايا وخطيئات، ويقال: قد خطئت إذا أثِمْتَ ، والخطأ ضد الصواب ، وأخطأ يخطىء إذا سلك سبيل الخطأ عمداً وسهواً .

قال تعالى : ﴿ مِمَّا خطيئاتهم أُغْرِقُوا فأُدخلوا ناراً ﴾ نوح : ٢٥ .

﴿ بلى مَنْ كَسَبَ سَيئةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئتُهُ فأولئك أصحاب النار هُمْ فيها خالدون ﴾ البقرة : ٨١ .

**الذنب** : معناه الإثم والجرم والمعصية .

قال تعالى : ﴿ فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا مِنْ بَعْدِهم قَرْناً[٢] آخرين ﴾ الانعام : ٦ .

﴿ فكُلاً أَخَذْنا بذنبه فمنهم من أرسَلْنَا عليه حَاصِباً[٣] ، ومنهم من أَخَذَتْهُ الصيحة ومنهم مَنْ خَسَفْنا به الأرض ومنهم مَنْ أغْرَقْنَا ، وَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُم ولكن كانوا أنْفُسَهُم يَظلمون ﴾ العنكبوت : ٤٠

**الإثم** : هو الذنب ، وقيل : عمل ما لا يحل .

قال تعالى : ﴿ إنَّ الذين يكسبون الإثم سيُجْزَونَ بما كانوا يقترفون ﴾ الأنعام : ١٢٠ .

**الفسوق** : هو العصيان والترك لأمر الله، والخروج عن طريق الحق ، وكذلك الميل الى المعصية .

---

(١) والخطيئة أو خطية عنـــد المسيحيين كما جاء في قاموس الكتاب المقدس ، هي التعدّي على شريعة الله وأحكامه ، وكل من يفعل الخطية يفعل التعدي أيضاً ، وخطية الترك هي إهمال ما تفرضه شريعة الله ، أما خطية الفعل فهي ارتكاب ما نهت عنه تلك الشريعة .

(٢) القرن : هو الجيل من الناس .  (٣) الحاصب : الريح العاصفة .

قال تعالى: ﴿ فَأَنْزَلنا عَلَى الذين ظَلَموا رِجزاً[1] مِنَ السماء بِمَا كانوا يَفْسُقُونَ ﴾ البقرة : ٥٩ .

**السوء :** هو الفجور والمنكر ، ويقال ساء ما فعل فلان : اي قبح صنيعه ، والسيئة هي الخطيئة .

قال تعالى: ﴿ إنهم كانوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهم أجمعين ﴾ الأنبياء: ٧٧

**العصيان :** هو خلاف الطاعة ، وعصى العبد ربه إذا خالف أمره .

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْصِ الله ورسوله فإنّ لَهُ نارَ جهنّم خالدين فيها أبداً ﴾ الجن : ٢٣ .

**العتوّ :** العاتي هو المجاوز للحدّ في الاستكبار، أو المبالغ في ركوب المعاصي المتمرد الذي لا يقبل موعظة .

قال تعالى: ﴿ وكأيّن مِنْ قَرْيَة عَتَتْ عَنْ أَمْرِ ربها وَرُسُلِه فحاسَبْناها حِسَاباً شديداً وعذّبناها عَذاباً نُكْراً ﴾[2] الطلاق :٨ .

**الفساد :** هو نقيض الصلاح .

قال تعالى : ﴿ ظَهَرَ الفَسَادُ في البَرّ والبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أيدي الناس ليُذيقَهُم بعض الذي عملوا لَعَلّهم يَرجعون ﴾ الروم : ٤١ .

﴿ فأكثروا فيها الفساد فصبّ عليهم ربك سَوْطَ عذاب ﴾[3] الفجر: ١٢.

## تأثير الخطايا على الإنسان

والخطايا تؤدي إلى ظلمة القلب ، وإذا أظلم القلب قسا وابتعد صاحبه عن الله ، وأصبح مصدر شرّ في المجتمع ، وكان مصيره الخسران في الدنيا والآخرة ولا يعيد الخاطىء الى الحظيرة سوى التوبة والاستغفار ، يقول النبي ﷺ :

---

(١) رجزاً : عذاباً .

(٢) عذاباً نكراً : عذاباً منكراً شديداً . (٣) سوط عذاب : عذاباً شديداً .

( إن المؤمن إذا أذنب كانت نُكتَةً[١] سوداء في قلبه ، فإن تاب ونزع[٢] واستغفر صُقِلَ قلبه[٣] فإن زاد زادت ، فذلك الران الذي ذكره الله في كتابه[٤] : ﴿كلا بل ران على قلوبهم[٥] ما كانوا يكسبون﴾ .

كما ان الخطايا تكون سبباً في حرمان فاعلها من الرزق ، يقول النبي ﷺ :

( لا يزيد في العُمر إلاّ البِرُّ ، ولا يردُّ القَدَرَ إلاّ الدعاء ، وإن الرجل ليُحرم الرزق بخطيئة يعملها )[٦] .

هذا وقد ذكر القرآن بأن تقوى الله سبب لإدرار الرزق على الفرد والجماعات :

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ الله يَجْعَلْ له مَخرجاً ، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ﴾ الطلاق : ٢ ، ٣ .

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ القُرى آمنوا واتقوا لَفَتَحْنَا عليهم بَرَكَاتٍ مِن السماء والأرض﴾ الأعراف : ٩٦ .

---

(١) نكتة سوداء : أي ترك الذنب أثراً أسود على القلب . (٢) نزع : كف عن الذنب وأقلع عنه . (٣) صقل قلبه : محا الله هذا السواد عن قلبه . (٤) رواه ابن ماجة والإمام أحمد .
(٥) ران على قلوبهم : غطى قلوبهم وأحاط بها . (٦) رواه ابن ماجة .

الفصل الثالث

# علاج الخطايا

الخطيئة في ضوء علم النفس – تأثير الدين في علاج النفس – علاج الشعور بالإثم – التوبة والتكفير – التوبة في الإسلام – سيكولوجية التوبة – خشية الله تجنب الخطايا .

## الخطيئة في ضوء علم النفس

خلال السنوات الأخيرة حاولت مجموعة من الباحثين في علم النفس(١) وعلم الاجتماع الاستفادة مما ورد في الرسالات السماوية من مبادىء وحقائق وأفكار وقيم لمعالجة النفس الإنسانية ، وقد ظهرت عشرات الكتب في السنين العشر الماضية واتخذت من الدين قاعدة للبحوث النفسية ، وقد استفاد علم النفس كثيراً من هذه الدراسات التي أطلق عليها ( المذهب الديني ) .

وكان مما عالجه ( المذهب الديني ) الاضطراب النفسي ( العصاب ) الذي يسببه ( الشعور بالخطيئة ) . فالشعور بالخطيئة يهدّد أمن الإنسان ويجعله يعيش دائماً في دوامة من الخطر .

فكثير من مشاكلنا النفسية ترجع الى شعورنا بالخطيئة على اعمال ارتكبناها وكنا نود ألاّ نرتكبها ، وهذه المشاعر تثير فينا القلق الذي يُعتبر في هذه الحالات مصدر كل المتاعب .

---

(١) من بين هؤلاء الباحثين كل من ( ستيكل Stekel ) و ( مورر Mourer ) و ( فروم Fromm ) .

فالأمراض النفسية ما هي إلاّ أمراض الضمير تحدث كوسيلة للهروب من تعذيب النفس أو الذات أو تأنيبها .

والشعور بالخطيئة يولّد الأمور الآتية :

(١) القلق والوساوس والهستيريا .

(٢) توهم المرض دون ان يكون هناك مرض عضوي حقيقي .

(٣) الاضطرابات الانفعالية التي تؤدي الى سلوك يتسم بالفشل في العمل والزواج ، والعلاقات الإنسانية بوجه عام ، أو التي تدفع صاحبها الى الجنوح والجريمة ، أو الى القمار ، أو إدمان الخمر والمخدرات ، أو الى الخمول والكسل والتبلد .

(٤) الخوف المرضي ( الفوبيا ) وهو عبارة عن فزع أو خوف مرضي من شيء أو موقف معين أو فعل ما لا يمكن ضبطه أو السيطرة عليه .

## تأثير الدين في علاج النفس

والدين هو عنصر هام في معالجة النفس مما قد تصاب به من اضطرابات وأمراض نفسية ، لأن الدين هو الطريق الى العقل كما هو الطريق الى القلب ، فالدين يحدث نوعاً من ( غسل المخ ) للفرد ، كما ان الدين أعظم معين للإنسان للتغلب على التوترات والصراعات التي يتعرض لها .

والعلاج النفسي الديني يعتمد اعتماداً كبيراً على التوجيه ، وعلى معرفة الفرد لنفسه ولربه ودينه، واطلاعه على القيم والمبادىء الروحية والخلقية والعمل بها ، إن هذه المعرفة تعتبر مشعلاً يوجه الفرد في دنياه ، ويزيده استبصاراً بنفسه وبأعماله وذنوبه وطرائق تكيفه في حاضره ومستقبله .

وقد اعترف بتأثير الدين كثير من العلماء المتخصصين في أمراض الإنسان العضوية . من ذلك ما قاله الدكتور ( بول إرنست ادولف )[1] :

« فما هي الأسباب الرئيسية لما نسميه الأمراض العصبية ؟ إن من الأسباب

---

(١) أستاذ مساعد في علم التشريح بجامعة سانت جونس – عضو الجراحين الأميركيين .

الرئيسية لهذه الأمراض الشعور بالإثم أو الخطيئة والحقد والخوف والقلق والكبت والتردد والشك والغيرة والأثرة والسأم . ومما يؤسف له ان كثيراً ممن يشتغلون بالعلاج النفسي قد ينجحون في تقصّي أسباب الاضطراب النفسي الذي يسببه المرض ولكنهم يفشلون في معالجة هذه الاضطرابات لأنهم لا يلجأون في علاجها الى بث الإيمان بالله في نفوس هؤلاء المرضى .

ونحب فوق ذلك ان نتساءل عن هذه الاضطرابات الانفعالية والعوامل التي تسبب تلك الأمراض ، إنها هي ذاتها الاضطرابات التي جاءت الأديان لكي تعمل على تحريرنا منها . فلقد علم الله بقدرته وحكمته حاجاتنا النفسية ودبّر لها العلاج الكامن . ولقد وصف الإخصائيون النفسيون القفل الذي يغلق باب الصحة وأمدنا الله بالمفتاح الذي يفتح هذا الباب ...

فماذا يخبرنا الله عن هذه المفاتيح ؟ إن ذلك يتلخص في أننا نرتكب الإثم والذنوب ونحتاج الى عفو الله ومغفرته ، حتى نعود الى رحابه ونعفو عن غيرنا ، إن المذنبين الذين ينالهم هذا الصفح تتجلى في نفوسهم روح الله فيذهب عنهم الخوف والقلق ولا يكون هنالك سبيل الى اصابتهم بالكبت والغيرة والأثرة ، فعندما تحل محبته في القلوب تفارقها الشرور والآثام ، ولا ينتابها السأم وتفيض بالآمال الحية التي تنبعث منها الحياة »[1] .

## علاج الشعور بالإثم

من الأمور المتفق عليها بين علماء النفس : أن الإنسان يشعر بالسأم والاضطراب في نفسه وعقله، وبالتعب في بدنه حتى تتاح له فرص التعبير والإفصاح عن الأفكار التي تؤلمه وتؤرقه . ومن أبرز الهواجس التي تؤرق الإنسان هو ( الشعور بالإثم ) .

وأهم ما يعتمد عليه العلاج النفسي ــ وفق الأسلوب الجديد ــ هو مساعدة الفرد على الاعتراف بخطاياه ، ذلك ان الاعتراف يعيد الى النفس المضطربة اتزانها وطمأنينتها ، وفي هذا اكتشف ( فرويد ) منهج ( التداعي الحر ) الذي يتلخص في ان يُطلب إلى المريض التحدث بكل ما يرد الى ذهنه دون

(١) عن كتاب « الله في عصر العلم » .

قيد أو شرط بعد الاستلقاء في غرفة خافتة الضوء بعيدة عن الضوضاء حتى تتاح له فرصة الاسترخاء بقدر الإمكان ضمن شروط يجب ان تتوافر في الطبيب النفساني المعالج لا مجال هنا لذكرها .

أما الإسلام فيقر بنظرية الاعتراف ، ولكن هذا الاعتراف يكون بين الإنسان وربه، فالخطيئة مسألة تتعلق بين المخطىء وربه، لأن الله وحده هو الذي سيحاسب الإنسان عليها ؛ فهي أمر رباني صرف ، فلا مجال للإنسان الضعيف ان يعترف بها الى انسان ضعيف مثله .

فالإنسان في حال اقترافه ذنباً وشعوره بفداحة خطيئته وتأنيب ضميره يستطيع ان ينفس عن مشاعره بالإلتجاء الى ربه بالصلاة التي تكفّر الخطايا ، والاعتراف لله بذنبه وطلب المغفرة منه .

ولقد صوّر لنا القرآن بعض هذه الاعترافات حتى يأخذ بها المؤمنون لتكون لهم شفاء من ( الشعور بالخطيئة ) وحافزاً لهم لتغيير مجرى حياتهم نحو الأفضل ، فهاهما آدم وحواء يقولان بعد عصيانهما :

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أنفسنا وإنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لنكونَنَّ مِنَ الخاسرين ﴾ الاعراف : ٢٣ .

ويذكر القرآن قول نبيه موسى معترفاً بذنبه :

﴿ قال: رب إني ظَلَمْتُ نفسي فاغْفِر لي فَغَفَرَ لَهُ ﴾ القصص: ١٦.

ويدعو القرآن المؤمنين الى طلب الغفران من الله على ما اقترفوا من ذنوب مبيناً لهم ان الله غفور رحيم :

﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أو يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُوراً رحيماً ﴾ النساء : ١١٠ .

﴿ واستغفروا الله إن الله غفور رحيم ﴾ المزمل : ٢٠ .

فطلب الإنسان الغفران من الله على ذنوب اقترفها هو اعتراف صريح بالذنب أمامه، وإذا تيقن المذنب بأن الله سيغفر له، وانه غفور رحيم، فلا

ريب ان ذلك ينزع عنه الشعور بالإثم ويدخل الى قلبه الطمأنينة التي هي المدخل الى الصحة النفسية .

## التوبة والتكفير

تكلمنا عن الاعتراف كخطوة أولى في العلاج النفسي وهنا تواجهنا نقطة هامة وهي : هل الاعتراف بالخطيئة كاف لشفاء النفس المعذبة ؟

الإجابة على هذا السؤال تكون بالنفي ، فالاعتراف بمفرده لا يكفي اطلاقاً للخلاص بل يجب ان يصاحب الاعتراف عملية أخرى تهدف الى التكفير عن الإثم ، أو بعبارة أخرى الارتداد أو الرجوع الى الفضيلة ، وهناك وجه شبه كبير بين الارتداد والتوبة ، لأن التوبة هي المدخل أو الطريق الى الغفران .

فالتوبة أسلوب من أساليب التكفير ، كما انها اسلوب من أساليب تطهير النفس من الآثام والذنوب .

والتوبة هي المدخل الى المغفرة ، فهي التي تسمح بإيجاد مصرف للمشاعر الثائرة التي أوجدها الفعل الذي يتنافى مع القيم الأخلاقية والاجتماعية والروحية .

## التوبة في الإسلام

التوبة في اللغة تعني : الرجوع ، والتوبة صفة يشترك فيها الرب والإنسان .

فإذا قيل : ( تاب فلان إلى ربه ) فالمعنى : رجع الى ربه ، لأن كل مخطىء هو في معنى الهارب من رحمة ربه ، فترك الإنسان لخطاياه هو رجوع الى الله .

وإذا قيل ( تاب الله على فلان ) فالمعنى : انه رجع على الإنسان برحمته وفضله .

ولا بُدّ في التوبة من ترك الذنب ، ومن الندم على ما سبق ، ومن العزم على ان لا يعود الى مثله أبداً .

والندم الذي تولده التوبة له أثر عظيم في تغيير سلوك الإنسان من سيء الى حسن ، ذلك انه يظهر خطورة الخطيئة لدى فاعلها ، ويعرض ما يترتب عليها من مغبات وآثام ، ويصوّر ما سيترتب عليها من أسوأ الآثار .

فالتوبة ندم صحيح يورث عزماً يغير سلوك المرء ، ويحول حياته الآثمة الى حياة صالحة . ولهذا يقول النبي ﷺ : ( الندم توبة )[1] .

والتوبة واجبة على كل مذنب يخشى الله واليوم الآخر ، قال الله تعالى :

﴿ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فأولئك هُمُ الظالمون ﴾ الحجرات : ١١ .

قسّم الله المذنبين الى تائب وظالم ، وما ثَمّ قسم ثالث ، وجعل من لم يتب ظالماً .

وأمر الله جميع المؤمنين بالتوبة مُرتباً على ذلك النجاح لهم :

﴿ وتوبوا الى الله جميعاً أيُّها المؤمنون لعلكم تُفْلحون ﴾ النور : ٣١ .

وجعل الله سبحانه التكفير عن الخطايا مرهوناً بالتوبة :

﴿ يا أيها الذين آمنوا تُوبوا الى الله تَوْبَةً نصوحاً عسى ربُّكم ان يُكفّر عنكم سيّئاتكم ويُدْخِلَكُمْ جنّات تجري من تحتها الأنهار ﴾ التحريم : ٨ .

ومعنى ( التوبة النصوح ) الخالصة لله تعالى الخالية من الشوائب .

ويقول النبي ﷺ : ( التائب من الذنب كمن لا ذنب له )[2] .

ويذكر الله فضل التوبة ويبين انها تعود بالمحبة على فاعلها :

﴿ إن الله يُحبُّ التوّابين ويُحِبُّ المتطهرين ﴾ البقرة : ٢٢٢ .

ويفتح الله باب التوبة على مصراعيه ليلجه كل مسرف في الخطايا فلا يكون له عذر في عدم الرجوع عن خطاياه ، وتغيير مجرى حياته من سيء الى حسن ، قال الله تعالى :

﴿ قل يا عبادِيَ الذين أسْرَفُوا عَلَى أنفسهم لا تقنطوا مِنْ رَحْمَةِ الله ، إن الله يَغْفِرُ الذنوب جميعاً ، إنّه هُوَ الغفور الرحيم ﴾ الزمر : ٥٣ .

ويقول النبي ﷺ في هذا المعنى : ( لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء ثم تبتم لتاب عليكم )[3] .

---

(١) رواه ابن ماجة . (٢) رواه ابن ماجة . (٣) رواه ابن ماجة .

والتوبة التي تذهب بالخطايا يجب ان تكون قبل اقتراب الموت حتى يكون هناك متسع من الزمن يظهر فيه التائب استعداده لتحويل مجرى حياته الخاطئة نحو الخير والصلاح ، فيكون غفران الذنوب رهناً بما يعمله من خير تكفيراً له عمّا مضى ، أما الذين يتمادون في خطاياهم ويصرون على أفعالهم ، ويصلون السيئة بالسيئة حتى يقترب منهم الموت فيتوبون فهم بعيدون عن رحمة الله وغفرانه ، وهذا ما صرح به القرآن :

﴿ إنّما التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ للّذين يَعْمَلُونَ السُّوءَ بجهالة ثم يتوبون مِن قريب فأولئك يتوبُ الله عليهم، وكان الله عليماً حكيماً . وليست التوبة للذين يعملون السيآت حتى إذا حَضَرَ أحَدَهُمُ الموتُ قال : إني تُبْتُ الآن، ولا الذين يموتون وهُمْ كفّار ، أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً ﴾ النساء: ١٧، ١٨ .

والإسلام يقرن التوبة بالعمل الصالح لنيل غفران الله فيجعل عمل الخير تكفيراً للإثم قال تعالى :

﴿ وإني لغفّار لِمَن تاب وآمن وَعَمِلَ صالحاً ثم اهتدى ﴾ طه :٨٢ .

﴿ إلاّ من تاب وآمن وَعَمِلَ عَمَلاً صالحاً فأولئك يبدّل الله سيئاتهم حسنات ﴾ الفرقان : ٧٠ .

ويقول النبي ﷺ في هذا المعنى :

( إتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها ... )[1] .

والعمل الصالح هو كل عمل فيه الخير للإنسانية حتى في أبسط وجوهه ابتغاء وجه الله ، أو كل عمل يحمل طابع الرحمة والتخفيف من آلام الغير حتّى ولو كان للحيوان الأعجم ، ولنعط مثالاً على ذلك على ما جاء في الصحيحين عن النبي ﷺ :

( بينما رجل يمشي بطريق وجد غُصن شوك على الطريق فأخّره، فشكر الله له فغفر له )[2] .

---

(١) رواه الترمذي . (٢) رواه البخاري ومسلم .

ويقول النبي ﷺ ايضاً :

( بينما رجل بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج ، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني ، فنزل البئر فملأ خُفَّه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقي فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له ، قالوا : يا رسول الله ، وإن لنا في البهائم أجراً ؟! فقال : في كل كبد رَطْبَةٍ أجْرٌ )[1] .

## سيكولوجية التوبة

أما التوبة ــ كعملية نفسية ــ فتتضمن جوانب كثيرة تساعد على إعادة بناء الشخصية نذكر منها ما يلي :

أولاً : تفتح أمام الإنسان القلِق ــ الذي حطّمته ذنوبه وآثامه ــ الأمل في تطهير النفس ... إن هذا الأمل يجعله يشعر بالراحة النفسية ، والنظر الى الحياة نظرة مختلفة يسودها التفاؤل بعد ان كانت نظرته كلها تشاؤماً وخوفاً ومـــرارة .

ثانياً : تؤدي التوبة بصاحبها الى احترام ذاته ، وهذا الاحترام يقوي فيه شعوره بذاته ، وبعبارة أخرى نستطيع القول : إن التوبة تؤدي الى تأكيد الذات ، وهذا عامل هام في تكوين الشخصية التي تتمتع بقدر كافٍ من الصحة النفسية .

ثالثاً : تؤدي التوبة الى ان يتقبل الفرد ذاته بعد ان كان دواماً يعلن الحرب عليها ويحتقرها ويحط من شأنها بسبب الآثام والذنوب التي ارتكبها . إن الشخص الذي يتقبل ذاته لا يتطرق اليه الغرور الزائف ، بل يواجه مشكلاته الشخصية بشجاعة وبأسلوب واقعي ، وإن الشخص الواقعي مستعد لمواجهة الحقائق عن نفسه وعن عمله وعن قدراته وظروفه وعن المجال الذي يعيش فيه حتى ولو كانت هذه الحقائق مؤلمة ، إنه يرى في هذه الصعوبات حافزاً له لأن يعمل ويكد ويضاعف من كفاحه أمام الأزمات .

رابعاً : تدفع التوبة الى التحرر من الشعور بالذنب والخوف ، ذلك أن

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

الفرد المذنب يشعر بالتعاسة ، ويحس بالتوتر الذي يعوق نجاحه في أي مجال من المجالات التي يتحرك فيها نتيجة لخوفه الشديد من الأذى الذي قد يصيبه بسبب الشعور المؤلم بالذنب عما يعتقد انه عمل خاطئ قام به »[1] .

كما ان التوبة تدفع بالإنسان الى اصلاح نفسه ، فالإنسان لا يخلو من ان يقع في بعض الذنوب ومن ان يساوره اليأس حيناً من الغفران، وهذا مما يدعوه الى ان يقول في نفسه : ما دمت قد ارتكبت الخطايا من كل نوع وليس أمامي باب مفتوح أدخل فيه الى الغفران فلأفعل ما أشاء ولأنغمس في الرذيلة والشهوات الى الاعماق وهذا مما يدمر النفس ويفسد المجتمع ، ولهذا كان من رحمة الله أن شَرَعَ التوبة ، وأكد عليها كثيراً في القرآن ، وجعل بابها مفتوحاً أمام المذنبين ليطهر الإنسان نفسه من أدران الآثام وليعود الى حظيرة الطاعة ، ويرجع اليه اعتباره الروحي .

**خشية الله تجنّب الخطايا**

لا ريب ان شعوراً ما من الرهبة والخوف يعتريك عند مقابلة رئيسك إذا استدعاك في أمر يتعلق بخطيئة اقترفتها في ميدان عملك والتي تسبب لك عقوبة ما ، وكلما علا منصب الشخص الذي سيحاسبك في أخطائك ، تعاظم خوفك .

فإذا كان خوف الإنسان من رئيسه يقع هذا الموقع ، فكيف يكون موقف الإنسان من رب العالمين الذي بيده مقاليد الأمور ، وهو مالك يوم الجزاء في الآخرة الذي سيحاسب الناس على ما جنت أيديهم .

ولقد لفت القرآن أنظار الناس الى أهوال يوم الحساب بأسلوب بليغ رهيب يصل الى أعماق النفس ويثير فيها أحاسيس الخوف من معصية الله ، قال سبحانه :

﴿ وكذلك أخْذُ ربك إذا أَخَذَ القُرى وهي ظالمة إنَّ أَخْذَهُ أليمٌ شديد . إن في ذلك لآية لِمَنْ خاف عَذَابَ الآخرة ذلك يوم مَجْموعٌ له الناس وذلك يَومٌ مشهود . وما نؤخّره إلاّ لأجَلٍ معدود . يوم يأت

(١) عن كتاب « الإنسان و صحته النفسية » للدكتور مصطفى فهمي .

لا تَكَلَّم نَفْسٌ إلاّ بإذنه فمنهم شقيٌّ وسعيد . فأمّا الذين شَقُوا ففي النار لهم فيها زَفير وشهيق ﴾ هود : ١٠٢ ــ ١٠٦ .

ووصف الله المؤمنين المقربين الذين لازمتهم خشية الله استعداداً لذلك اليوم المشهود :

﴿ والذين يَصلُونَ ما أمرَ اللهُ به أن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ ربهم ويخافون سُوءَ الحساب ﴾ الرعد : ٢١ .

ويأمر الله نبيه بأن يخاطب الكفرة : ﴿ قل اني أخاف إن عَصَيْتُ ربي عَذَابَ يَوْمٍ عظيمٍ ﴾ الانعام : ١٥ .

فالخوف الذي يدعو إليه القرآن إنما هو الخوف الناشيء عن مراقبة الله والخشية من عقابه والخوف الدافع الى القيام بالطاعات ، وليس المقصود بالخوف الخشية من ظلم الله أو جبروته ــ تعالى الله عن ذلك ــ فالله سبحانه يقول :

﴿ فمن تَبِعَ هُداي فلا خَوْفٌ عليهم ولا هم يحزنون ﴾ البقرة : ٣٨ .

﴿ ألا إنّ أولياء اللهِ لا خوفٌ عليهم ولا هم يَحْزنون ﴾ يونس : ٦٢ .

والمؤمن الخائف من الله يبذل غاية جهده في التحرز من المعصية ، كما يبذل غاية جهده في القيام بالطاعات والقربات من الله ، ومع ذلك يخاف ألا يبلغ بجهده وعمله القبول عند الله . ولقد سألت السيدة عائشة النبي ﷺ عن قوله تعالى :

﴿ والذين يُؤتُون ما آتَوْا وقلوبهم وَجِلَة أنّهُمْ الى ربهم رَاجعونَ ﴾[1]

فقالت : يا رسول الله أهُوَ الرجل يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو مع ذلك يخاف الله تعالى ؟ قال : لا ... ولكنه الرجل يصوم ويتصدق ويُصَلّي وهو مع ذلك يخاف الله تعالى أن لا يتقبل منه[2] .

ولقد وعى المؤمنون هذه الحقيقة فكانوا مثال الصدق والسيرة الحسنة ، وكانت خشية الله لا تفارقهم في غدواتهم وروحاتهم .

(١) سورة المؤمنون : آية ٦٠ . (٢) أخرجه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجة .

وكانت أبرز مظاهر الخشية تتمثل في سيد المؤمنين ﷺ فقد كان لجوفه[١] أزيز[٢] كأزيز المرجل[٣] من البكاء في الصلاة .

وهو القائل : ( إني لأخشاكم لله وأتقاكم له )[٤] .

ويصور النبي ﷺ بعض مظاهر هذه الخشية ومنزلتها عند الله فيقول :

( كان رجل يُسرف على نفسه فلما حضره الموت قال لبنيه : إذا أنا مُتُّ فاحرقوني ثم اطحنوني، ثم ذُرّوني في الريح فوالله لئن قَدَرَ عليَّ ربي – أي لئن أراد تعذيبي – ليُعذّبنّي عذاباً ما عذبه أحداً ! فلما مات فُعِلَ به ذلك، فأمر الله الأرض فقال: اجمعي ما فيك منه، ففعلت فإذا هو قائم، فقال: ما حَمَلَكَ على ما صنعتَ ؟ قال : يا رب خشيتك فغفر الله له )[٥] .

وذكر النبي سبعة أشخاص يظلهم الله في ظله يوم القيامة يوم لا ظل إلاّ ظله فذكر منهم :

( رجلاً ذكر الله خالياً ففاضت عيناه )[٦] .

ولقد سرت خشية الله على المؤمنين الأوائل نذكر منهم: ابا بكر الصديق ، فقد رُوي انه كان رجلاً بكّاءً لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن .

وكان زين العابدين علي بن الحسين إذا فرغ من وضوئه للصلاة وصار بين وضوئه وصلاته أخذته رعدة ونفضة ، فقيل له في ذلك ، فقال : ويحكم أتدرون الى من أقوم؟ ومن أريد ان أناجي[٧] .

ولقد سئل سعيد بن جبير عن الخشية فقال : هي ان تخشى الله تعالى حتّى تحول خشيتك بينك وبين معاصيه فهذه هي الخشية .

فخشية الله هي التي تقرّب الإنسان من ربه ، وتحول بينه وبين المعاصي ، ولقد أثنى القرآن على المؤمنين الذين يخشون الله بقوله :

﴿ إن الذين يَخْشَوْنَ ربهم بالغيب لهم مَغْفِرَةٌ وأجرٌ كبير ﴾ الملك: ١٢

﴿ ومن يُطِعِ الله ورسوله ويخشَ الله ويتّقه فأولئك هم الفائزون ﴾ النـور : ٥٢ .

---

(١) جوْفه : صدره . (٢) أزيز : صوت . (٣) أزيز المرجل : صوت غليان القدر .
(٤) رواه البخاري (٥) رواه البخاري . (٦) رواه البخاري ومسلم (٧) حلية الأولياء – ج ٣

## الفصل الرابع

# منهج الإسلام في التكفير عن الخطايا

كل إنسان مسؤول عن نفسه – لا وساطة بين الله والناس – غفران الخطايا خاص بالله وحده .

### كلّ إنسان مسؤول عن نفسه

ترى بعض الديانات ان الإنسان الأول : آدم ، عصى ربه فاستنزل عليه سخطه نتيجة عصيانه ... وأحس آدم بثورة الجسد على الروح فأصبح مقسماً على ذاته يصنع الشر الذي لا يريد ، ويهمل الخير الذي يريد ، وهكذا حرم حال البرارة وفقد النعيم ، وفقده بنوه من بعده .

ويعللون ذلك بأن الإنسان الأول مسؤول عن كل الذين تحدروا منه مسؤولية رب العائلة عن أفراد عائلته ، فالناس أجمع خطاة تسلسلت إليهم الخطيئة عن أبيهم آدم .

ويقولون : عصى آدم فحصلت القطيعة بينه وبين ربه ، وبات يحن الى نعيم فقده ، ولا سبيل الى العودة إليه ، وهو لا يملك وسيلة للتكفير ، ولكن الله شاء ان يتدارك الإنسان فأرسل ابنه[1] الوحيد الى نجدته الذي تجسد وتألم ومات ليفتدي البشر من عبودية الخطيئة ويزيل عنهم لطخة تسلسلت اليهم عن أبيهم الأول .

أما الإسلام فيرى : ان خطيئة آدم لم تنتقل الى ذريته بل كانت محصورة به وحده فعندما اقترف آدم خطيئته بالأكل من الشجرة التي نهاه الله عنها ،

(١) الإسلام ينفي أن لله ولداً ، فالقرآن يقول عن الله سبحانه « لم يلد ولم يولد » « ولم يتخذ ولداً » .

ندم على ذلك وطلب من ربه الغفران ، فتلقى آدم من ربه كلمات ليدعو بها ، فدعا بها ، وكانت سبباً في قبول توبته من ربه كما يذكر القرآن :

﴿ فتلقّى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم ﴾ البقرة : ٣٧

لقد كفّر الله عن آدم خطيئته وقبل توبته فلم تنتقل معصيته إلى ذريته . ذلك ان الإسلام يرى ان كل إنسان مسؤول عمّا اقترفت يداه لا يتحمل إثم غيره ولو كان ذلك الإثم من فعل أبيه الأول آدم ، ولقد جاء القرآن بتقرير هذه الحقيقة في قوله تعالى :

﴿ ولا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخرى ﴾ الإسراء : ١٥ .

ولقد جاء ترداد هذه الآية في خمسة مواضع من القرآن ومعناها : لا تحمل نفس آثمة إثم نفس أخرى .

ومما يندرج في هذا المعنى قوله تعالى :

﴿ وأن لَيْسَ للإنسان إلاّ ما سعى وان سَعْيَهُ سَوْفَ يُرى ﴾النجم : ٤٠

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رهينة[1] ﴾ المدثر : ٣٨ .

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزي والِدٌ عن وَلَدِهِ ولا مولود هو جَازٍ عن والده شيئاً ﴾ لقمان: ٣٣ .

بهذه الحقيقة التي أعلنها الإسلام أدرك الإنسان استقلاله في عمله ، وأحس بالمسئولية الملقاة على عاتقه فكان رقيباً على نفسه ، مجاهداً إياها ضد نوازع الشر خوفاً من العاقبة الوخيمة التي تنتظره يوم القيامة .

## لا وساطة بين الله والناس

كان قسم من رجال الدين قبل الإسلام يستبدون بشؤون الناس استبداداً عجيباً ، فلا يستطيع الناس ابرام أمر من أمورهم إلاّ بإذنهم ، ولم يكتف رجال الدين بذلك بل جعلوا من أنفسهم وسطاء بين الرب والعباد ، فمن أراد أن يتوب الى ربه فعن طريقهم ، إن شاءوا فتحوا له باب التوبة وإن شاءوا أغلقوه ، وقد أدى ذلك في بعض الأحايين الى مساومات كانت سبباً بارزاً

(١) رهينة : أي مأخوذة بعملها .

لغنى بعضهم وثرائهم، وقد أدى ذلك بالإنسان ان ينحدر الى مستوى العبودية لغير الله ويصبح ذليلاً خاضعاً لفئة من الناس استغلوه حسب مطامعهم وأهوائهم.

جاء الإسلام فأنكر هذه الوساطة وأعلن في صراحة: ان الله قريب من عباده يجيب دعوة الداعي إذا دعاه بدون وسيط ، فقال سبحانه :

﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أُجيب دَعْوَةَ الدّاعِ إذا دعَانِ فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلَّهم يَرشدون ﴾ البقرة : ١٨٦ .

ففي هذه الآية يبدأ الله بمخاطبة نبيه محمداً ﷺ فيقول : ( وإذا سألك عبادي عني ) فهو يتحبب إليهم ويصفهم بأنهم ( عباده ) فيضيفهم الى ضمير التكلم تكريماً لهم ، وايذاناً بحبه ورحمته . وهو سبحانه ( قريب ) أي قريب برحمته واستجابته بحيث لا يحتاج عباده الى أن يتخذوا بينهم وبينه وسيطاً .

ثم يقول سبحانه : ( أجيب دعوة الداع إذا دعان ) فيرشد سبحانه الى ان قرب الإجابة مرتبط بصدق الاتجاه في الدعاء .

ثم يأمر الله عباده بأمر جامع لكل ما يخوِّل العباد لقبول الدعاء فيقول : ( فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ) فقد اشترط الله لتلبية الدعاء الإيمان به والاستجابة له ليصل البشر الى الرشاد والسداد . وليس من المعقول ان تطلب من أحد ان يلبيك ويجيبك وأن لا تجيبه أنت إذا دعاك ، وليست هذه الإجابة أمراً سهلاً فإنها تتضمن تنفيذ أوامر الله واداء الأمانة التي كلفه بها سواء في حياته الشخصية أو في حياته العامة بين بني جنسه من البشر ، أما الدعاء الرخيص وهو رفع الايدي وتحريك الألسنة دون القيام بالعمل الصالح فلا يرجى منه أية نتيجة .

إذن فليس هناك وسيط بين الخالق والبشر .

وقد انبنى على هذا الأصل ان الله تعالى يقبل التوبة عن عباده مباشرة دون ان يلجئهم الى ان ( يعترفوا لأحد ) فقد جاء في القرآن :

﴿ والذين إذا فَعلُوا فاحِشَةً أو ظلموا أنْفُسَهُم ذَكَرُوا اللهَ فاستغفروا لذنوبهم ﴾ آل عمران : ١٣٥ .

## غفران الخطايا خاص بالله وحده

ترى بعض الديانات ان الله اعطى حق غفـــران الخطايا لبعض أنبيائه والصالحين من عباده، بينما يرى الإسلام: ان غفران الخطايا هو خاص بالله وحده لا ينازعه في ذلك أي مخلوق على وجه الأرض ، جاء في القرآن :

﴿ ومن يغفر الذنوب إلاّ الله ﴾ آل عمران : ١٣٥ .

﴿ غَافِرِ الذنب وقابل التَّوْب ﴾ غافر : ٣ .

ونبي الإسلام محمدﷺ كـــان لا يملك غفران الخطايا ، فالله سبحانه يخاطبه في شأن قوم كفروا بالله :

﴿ إن تستغفر لهم سبعين مرّة فلن يَغْفِرَ الله لهم ﴾ التوبة : ٨٠ .

بل إن محمداًﷺ كان محتاجاً الى مغفرة ربه[١] فقد كان يقول لأصحابه :

( إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة )[٢] .

ولتأكيد هذه الحقيقة فقد قال لابنته فاطمة: ( اعملي يا فاطمة فإني لا أغني عنك من الله شيئاً ) .

فغفران الخطايا هو من الأمور التي اختص بها الله وحده ، فإعطاء هذا الحق لغيره هو إشراك بالله الذي تفرّد بالخلق والأمر والحساب يوم القيامة وهذا ما ذكـــره القرآن :

﴿ ألم تَعْلَمْ أن الله له مُلْكُ السموات والأرض يُعذّب من يشاء ويغفر لمن يشاء ﴾ المائدة : ٤٠ .

---

(١) ولقد نزل القرآن يخص النبي (ص) بهذا الشرف العظيم : « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً » والخطيئة بالنسبة للنبي هي الغفلة الطارئة عن ذكر الله . فالنبي يقول : « إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله .. » ، والغين هي الفترات والغفلات عن الذكر الذي كان شأنه الدوام عليه ، فإذا فتر عنه أو غفل عدّ ذلك ذنباً .

(٢) رواه البخاري .

# الباب الثاني

# خطايانا نحو الله

- الشرك بالله
- الكفر بالله
- نسيان الله
- النفاق
- الشرك الأصغر: الرياء

# الشِّـــرْكُ باللّه

لا نجد ديناً يسبغ على الله صفات الكمال والتوحيد مثل الإسلام ، ولهذا اعتبر التوحيد أول ركن من أركانه ، كما اعتبر الإشراك بالله[1] أهم كبائر الإثم التي لا تُغتفر . جاء في القرآن :

﴿ إن الله لا يغفر أنْ يُشْرَك به ، ويَغْفِرُ ما دون ذلك لِمَنْ يَشاء ، ومن يُشرِك بالله فقد افترى إثماً عظيماً ﴾ النساء : ٤٨ .

ويصف القرآن حيرة المشرك واضطراب أمره وسوء عاقبته بهذه الصورة البليغة :

﴿ ومن يُشرك بالله فكأنّما خرّ مِنَ السماء فتَخْطَفُهُ الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ﴾ الحج : ٣١ .

والنبي ﷺ اعتبر الإشراك بالله في مقدمة كبائر الإثم فقال :

( ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً [2] : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وشهادة الزور ، أو قول الزور ) [3] .

وقال النبي ﷺ ايضاً : ( اجتنبوا السبع الموبقات )[4] وذكر في مقدمتها : الإشراك بالله . فالإشراك بالله إثم عظيم لأنه تعدّ وتجنٍ في حق الذات الالهية المتفردة بالخلق والتدبير لهذا الكون ، فَجَعْلُ إلَه آخر مع الله هو اتهام للذات الالهية بالعجز ، وهو افتراء باطل في حق القدرة الإلهيّة ، ولهذا جاء في القرآن : ﴿ تعالى الله عمّا يُشركون ﴾ .

ثم إن الشرك بالله كان مصدر شرّ على البشرية في تاريخها الطويل ، فهو

---

(١) الإشراك بالله : هو اقتران عبادة الله بعبادة غيره من أنبياء أو أولياء أو ملائكة أو مظاهر طبيعية أو أصنام أو أوثان أو غير ذلك . (٢) ثلاثاً : أي رددها ثلاثاً . (٣) رواه مسلم.
(٤) الموبقات : المهلكات .

الذي كبّل عقول الناس بالخرافات والأساطير، وحال دون رقيهم، وجلب لهم الخصام والنزاع والاقتتال، وأدى ذلك الى نشوء طبقات من رجال الدين استغلت الشعوب في سبيل إثرائها والعيش الرغيد على حسابها.

## نظرة على الأمم المشركة بالله

**المصريون القدماء:** فالمصريون القدماء عبدوا السماء والأجرام السماوية مثل الشمس والقمر كما عبدوا نهر النيل، واعتبر المصريون بعض النباتات مقدّسة، وكانت الآلهة من الحيــوان أكثر ذيوعاً بين المصريين من آلهة النباتـــات ...

وكانت الآلهة (رع) و (اوزير) و (ايزيس) أعظم أرباب مصر، ولما تقادم العهد امتزج (رع) و (آمون) وإلـه آخر هو (فتاح) فأصبحت ثلاث صور أو مظاهر لإلـه واحد يجمعها هي الثلاثة.

والملك نفسه كان إلهاً في مصر، وكان على الدوام ابن (آمون — رع) لا يحكم مصر بحقه الالهي فحسب بل يحكمها ايضاً بحق مولده الالهي فهو إلـه رضي ان تكون الأرض موطناً له الى حين.

ولما تولى ملك مصر تحتمس الثالث الذي عُرِفَ باسم اخناتون ثار على الفساد الذي وصل إليه شعبه وأعلن ان جميع الآلهة وجميع ما في الدين من احتفالات وطقوس كلها وثنية منحطة وان ليس للعالم إلاّ إلـه واحد هـــو (آتـــون).

ولما توفي اخناتون جلس على العرش توت عنخ آمون الذي عاد الى عبادة الآلهـــة[1].

**السومريون:** والسومريون الذين كانوا يسكنون في العراق حوالي ٤٥٠٠ ق. م كانت لهم حضارة مزدهرة وكانوا يعددون الآلهة «حتى أصبح لكل مدينة إلـه ولكل ولاية إلـه، ولكل نوع من النشاط البشري إلـه موحٍ مدبر».

ومن أبرز معبوداتهم الشمس، وكانت هناك آلهـــة: للأرض والري

---

(١) قصة الحضارة — ول ديورانت ج ٢.

والزرع والقمر ... وكانت أكثرية الآلهة تسكن المعابد حيث يقرب لها المؤمنون القرابين من مال وطعام وأزواج ... وأثرى الكهنة من هذه القرابين حتى أصبحوا أكثر الطبقات مالاً وأعظمها قوة في المدن السومرية ، وحتى كانوا هم الحكام المتصرفين في معظم الشؤون .

وكان الكهنة يعلمون الناس العلوم ويلقنونهم الأساطير . وما من شك في انهم كانوا يتخذون من هذه الأساطير سبيلاً الى تعليم الناس ما يريدونه هم، والى حكمهم والسيطرة عليهم[١] » .

**البابليون** : أما في بابل فقد أحصي عدد الآلهة احصاء رسمياً في القرن التاسع قبل الميلاد فكانوا حوالي ٦٥,٠٠٠ إلـه، وذلك ان لكل مدينة كان لها رب يحميها ، ولكل فرد رب يحميه[٢] .

**الفينيقيون** : والفينيقيون كان لهم آلهة كثيرة ، وكان لكل مدينة بعلها ( أي إلهها الخاص )[٣] .

**الرومان** : والرومان كانوا يعددون الآلهة وقد بلغ عدد آلهتهم كما يقدرها ( ڤارو ) بثلاثين ألفاً[٤] .

**الصينيون** : أما في الصين فقد نشأ عنصران من العقائد يتألف منهما دين الصين القومي وهي : عبادة الأسلاف المنتشرة بين جميع طبقات الأمة، وعبادة السماء ، وعظماء الرجال .

وكان الصينيون يقربون في كل يوم قرباناً متواضعاً – ويكون في العادة شيئاً من الطعام – للموتى ويرسلون الدعوات الصالحة الى أرواحهم ، ذلك ان الزارع أو العامل الساذج كان يعتقد ان آباءه أو اسلافه يعيشون بعد موتهم في مملكة غير محددة أو واضحة له ، وان في مقدورهم ان يسعدوه أو يشقوه .

وانتشرت في الصين الكونفوشيوسية التي جاء بها كونفوشيوس والذي كان كثير من الصينيين يعدونه بديلاً من الإلـه .

---

(١) قصة الحضارة – ول ديورانت ، ج ٢ .
(٢) نفس المصدر . (٣) نفس المصدر . (٤) نفس المصدر .

ثم جاءت اخيراً الى الصين البوذية، وكانت ديناً يدعو الى الإيمان بآلهة تعين البشر على أعمالهم[١] .

**اليابانيون :** أما اليابان فهي بلد الآلهة وأهلها سلالة الآلهة ، وأباطرتها من سلالة آلهة الشمس .

**الهنود :** أما في الهند فالهندوسيون وصل عدد آلهتهم الى ثلاثين مليوناً من الآلهة ولو أحصيت اسماء تلك الآلهة لاقتضى ذلك مائة مجلد ، وهذه الآلهة بعضها أجرام سماوية مثل الشمس وبعضها حيوانات الحقل وطيور السماء ، فالفيل مثلاً قد أصبح الإلـه ( جانيشا ) والقردة والأفاعي من طبيعة الآلهة، وأكثر الحيوانات قدسية عند الهندي هي البقرة ، فنرى تماثيل الثيران مصنوعة من كل مادة وفي شتى الاحجام ، ولا يجوز للهندي تحت أي ظرف أن يأكل لحمها أو يصنع من جلدها لباساً يرتديه وإذا ماتت وجب عليه دفنها بجلال الطقوس الدينيـــة .

وفي هذا الجو اللاهوتي الغريب ازدهرت الخرافة ازدهاراً خصيباً حتى أصبحت القرابين والتمائم واخراج الشياطين الحالّة في الأبدان والتنجيم والتنبؤ بالغيب وقراءة الكف والعرافة من أعمال طائفة الكهان التي بلغت ٢,٧٢٨,٨١٢ و ( فاتحي البخت ) الذين يبلغون المليون ، وذلك كله يمثل جانباً من الصورة التاريخية للهند[٢] .

**العرب قبل الإسلام :** والعرب قبل الإسلام كانوا يعبدون الأصنام ، فكان لأهل كل دار من مكة صنم في دارهم يعبدونه ، وكان من العرب من يعبد الأجرام السماوية ولا سيما الشمس والقمر .

**ديانات التوحيد :** أطلق على الديانات الثلاث : اليهودية والنصرانية والإسلام ديانات التوحيد ( Monotheism ) لأنها تؤمن بإلـه واحد لهذا الكون، والشرك هو الدين المعاكس لدين التوحيد ويعرف باسم( polytheism ) وفي نصوص هـــذه الديانات الثلاث مـــا يؤيد عقيدة التوحـــيد ، ففي

---

(١) قصة الحضارة – ج ٤. (٢) قصة الحضارة – ج ٣ .

سفر الخروج من التوراة ٣ ـ لا يكن لك آلهة اخرى تجاهي . ٤ ـ لا تصنع لك منحوتاً ولا صورة شيء مما في السماء من فوق ولا مما في الأرض من أسفل ، ولا مما في المياه من تحت الأرض . ٥ ـ لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأني أنا الرب إلهك إلـه غيور [١] .

فهذا النص نفى وجود آلهة أخرى مع الله ، كما دعا الى ترك التماثيل والصور .

وجاء في انجيل لوقا : فأجاب يسوع وقال له : قد كُتِبَ للرب إلهك تسجد ، واياه وحده تعبد ٤ : ٨ .

وجاء في انجيل مرقس ان أحد الكتبة سأل عيسى : أية الوصايا هي أول الكل ؟ أجابه يسوع : إن أوّل الوصايا كلها اسمع يا اسرائيل إن الرب إلهنا رب واحد. فأحبب الرب إلهك بكل قلبك وكل نفسك، وكل ذهنك وكل قدرتك، هذه هي الوصية الأولى ١٢ : ٢٨ ـ ٣٠ .

## الإسلام ينفي الشريك عن الله

دعا الإسلام إلى وحدانية الله ونفى عنه الأبوة والنبوة .

﴿ قل هو الله أحد . الله الصمد، لم يَلِد وَلَمْ يُولد . وَلَمْ يَكُن لَهُ كُفُواً أحَدٌ ﴾ .

وأثبت الاسلام تفرّد الله بخلق الكون ونفى الشريك عنه بما جاء في القــرآن :

﴿ الذي لَهُ[٢] مُلْكُ السموات والارض ولم يتَّخِذْ وَلَداً، ولم يَكُن لَهُ شَرِيكٌ في الملك وَخَلَقَ كُلَّ شيء فقدّره تقديرا . واتخذوا مِنْ دُونه آلهة لا يخلُقُون شيئاً وهم يُخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضَرّاً ولا نَفْعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نُشورا ﴾ الفرقان ٢ ، ٣ .

والمعنى : الله وحده يملك السموات والارض ، لم يتخذ ولداً ولم يكن

---

(١) الفصل العشرون .    (٢) لــه : أي لله سبحانه وتعالى .

له شريك في ملكه وقد خلق كل شيء وقدره تقديراً دقيقاً بنواميس تكفل له اداء مهمته، ومع ذلك اتخذ المشركون آلهة يعبدونها من دون الله من أصنام وكواكب وحيوانات وأشخاص وهؤلاء لا يستطيعون ان يخلقوا شيئاً وهم مخلوقون لله ، ولا يستطيعون دفع الضر عن أنفسهم ولا جلب خير لها ولا يملكون إماتة أحد ولا احياءه ولا بعث الموتى من قبورهم ، وكل من لا يملك شيئاً من ذلك لا يستحق ان يُعبد .

وجاء في القرآن ردٌّ على الذين اتخذوا المظاهر الطبيعية آلهة :

﴿ ومن آياته[1] الليل والنهار والشمس والقمر ، لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خَلَقَهُنَّ إن كنتم إيّاه تعبدون ﴾ فصلت : ٣٧ .

ولما كان هناك فئة من الناس جعلوا رؤساء دينهم شركاء لله وزعموا ان بيدهم النفع والضر والغفران والبركة ولهم حق التشريع ــ ولو خالف ذلك تعاليم الله ــ فقد دعا الإسلام هؤلاء الناس الى التحرر من سلطتهم ، قال تعالى :

﴿ قُلْ يا أهل الكتاب[2] تعالوا إلى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بيننا وبينكم ألاّ نَعْبُدَ إلاّ الله ولا نُشْرِكَ به شيئاً ولا يَتخذَ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ﴾ آل عمران : ٦٤ .

ويشمل ذلك ما يحصل الآن عند بعض الشعوب التي جعلت رؤساءها أشباه آلهة فأقوالهم مقدسة عندهم يرددونها ويسيرون بموجبها .

ومن الآلهة التي عبدها الإنسان قديماً وحديثاً ( أهواءه ) ففي سبيل هواه يضحي بكل غالٍ ونفيس ويستبيح القيم الروحية السامية ولو كان في ذلك الضرر له ولمجتمعه ، ولقد استنكر القرآن ذلك بقوله :

﴿ أفَرَأَيْتَ مَنِ اتّخذ إلهه هَوَاهُ وَأَضَلّهُ الله عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ على سَمْعِهِ وقلبه وَجَعَلَ على بَصَرِهِ غِشَاوةً فمن يهديه مِنْ بَعدِ الله أفلا تذكّرون ﴾ الجاثية : ٢٣ .

فالإشراك بالله وهمٌ لا يستند إلى أي منطق وهو من الاباطيل التي رفضها الإسلام أشد الرفض وجعله من كبائر الإثم .

---

(١) آياته : أي آيات الله .

(٢) أهل الكتاب : هم اليهود والنصارى .

# الكفر بالله

أوعد الله الكافرين بالعذاب الشديد وأنذرهم بسوء المصير في الدنيا والآخرة :

﴿ فأمَّا الذين كَفَروا فأعذِّبهم عَذَاباً شديداً في الدُّنيا والآخرة ﴾ آل عمران : ٥٦ .

﴿ إن الله لَعَنَ الكافرين وأعدَّ لهم سعيرا ﴾ الاحزاب : ٦٤ .

ولكن ما هو الكفر ؟ وما حقيقته في القرآن ؟

الكفر هو نقيض شكران النعمة قال تعالى :

﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد ﴾ ابراهيم : ٧ .

فشكران النعمة يكون باستعمالها في طاعة الله ، وتجنب عصيانه ، والثناء عليه ، بينما كفران النعمة يتمثل : بعصيان الله في هذه النعم وجحود فضله .

والاستعمال الغالب لكلمة الكفر في القرآن هو : نقيض الإيمان ، أي نكران وجود الخالق .

﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ الكهف : ٢٩ .

وبتوضيح معنى الإيمان يتجلى معنى الكفر وبضدها تتميز الأشياء .

فالإيمان هو الاقرار بوجود الله والتصديق بجميع ما جاء به النبي ﷺ من لدن ربه عز وجل فلا يسوغ لمؤمن ان يؤمن ببعض ما أمر الله به ويكفر بالبعض الآخر ، ومن يفعل ذلك فقد كفر ، لأنه لا وسط بين الإيمان والكفر .

وأما الكفر فهو نكران وجود الله وعدم التصديق بما جاء به النبي كله أو بعضه ، وله مظاهر متعددة نص عليها القرآن منها :

أمور تتصل بالألوهية كإنكار الخالق سبحانه ، جاء في القرآن :

﴿ كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد ايمانهم ﴾ آل عمران : ٨٦ .

ومنها : وصف الله بما هو منزه عنه سبحانه أو الاعتقاد بألوهية بعض البشر والرسل .

أو أنه جسد من الأجساد ، أو يحل فيها ، أو انه غير قادر على الخلق ، أو انه غير عادل في أحكامه .

ويدخل في زمرة الكافرين : الملحدون ، والزنادقة ، والوثنيون ، والمجوس وأصحاب الملل التي تعدّد الله أو تجسّده ، جاء في القرآن :

﴿ ذلكم بأنه إذا دُعيَ الله وحده كفرتم به ﴾ المؤمن : ١٢ .

﴿ ومَنْ يَدْعُ مَعَ الله الهاً آخَرَ لا بُرهَانَ لَهُ به فإنّما حِسَابُهُ عِنْدَ ربّه إنّه لا يُفلح الكافرون ﴾ المؤمنون : ١١٧ .

والكفر منه أمور تتصل بالنبوات كإنكار الأنبياء ، أو تكذيبهم فيما ينقلون عن الله تعالى مما وصل إلينا بطريق التواتر ، أو التفريق بينهم ، أو الإيمان ببعض والكفر ببعضهم الآخر ، قال تعالى :

﴿ إن الذين يكفرون بالله وَرُسُله ويريدون ان يُفرّقوا بين الله وَرُسُله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا . أولئك هم الكافرون حقا ﴾ النساء : ١٥٠، ١٥١ .

ويدخل في زمرة الكافرين أهل الأديان الحاضرة الذين ينكرون نبوة محمد ﷺ وعموم رسالته وانه خاتم النبيين ، فالقرآن يقول عن اليهود الذين عرفوا ان نبوة محمد حق — في عصره — ثم أنكروها استكباراً :

﴿ فلما جاءهم[1] ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ﴾ البقرة : ٨٩.

ويدخل في زمرة الكافرين الذين انكروا ان القرآن من عند الله ، قال تعالى :

---

(١) جاءهم : اي النبي محمد عليه السلام .

﴿ قل أرأيتم إن كان مِنْ عند الله ثم كَفَرْتُم به ﴾ فصلت : ٥٢ .

كما ان القرآن أثبت الكفر بالنسبة للذين ينكرون لقاء الله يوم القيامة وينكرون ان هناك حياة أخرى يثاب فيها الإنسان على عمله إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، قال تعالى :

﴿ زَعَمَ الذين كفروا أن لَنْ يُبعثوا ﴾ التغابن : ٧ .

﴿ وإنَّ كثيراً مِنَ الناس بلقاء ربّهم لكافرون ﴾ الروم : ٨ .

ويدخل في زمرة الكافرين الذين لا يجعلون شريعة الإسلام هي الشريعة المتبعة في أحكامهم مع قدرتهم على ذلك ، جاء في القرآن :

﴿ ومن لم يَحْكُم بما أنزَلَ الله(١) فأولئك هم الكافرون ﴾ المائدة : ٤٤

فالذين ينكرون وجود الله وشريعته ، وينكرون أنبياءه والحياة الآخرة همهم الأوحد الاستمتاع بالدنيا بلا حساب ، ولا قيد ، لأن ملذات الدنيا هي غايتهم التي يسعون وراءها وذلك مما يجعل الإنسان أنانياً يبرّر كل فعل قبيح في سبيل ارضاء شهواته، ولقد صوّر القرآن هذه الحالة التي ينساق إليها الكافرون :

﴿ والذين كفروا يَتَمَتَّعون ويأكلونَ كما تأكلُ الأنعام والنَّارُ مثوى لهم ﴾ محمد : ١٢ .

﴿ ويوم يُعرض الذين كفروا على النار أذْهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تُجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون ﴾ الاحقاف : ٢٠ .

فالإنسان الذي خلقه الله ونفخ فيه من روحه والذي أمر الملائكة بالسجود له ، وخصه بالتكريم على سائر مخلوقاته هو في أصل خلقته طيب الخلق ، طيب العنصر لكنه في جنوحه الى الكفر واتباع أهوائه يهدر طيباته التي خصه الله بها ، وتكون عاقبته يوم القيامة ذلك العذاب الأليم المصحوب بالإهانة جزاء خروجه عن طاعة الله .

---

(١) انزل الله : اي القرآن .

**الإيمان بالله منبع الفضائل** : ولا ريب ان الايمان بالله منبع الفضائل على هذه الأرض ، كما ان الكفر بالله مصدر الشرور كلها، ذلك ان الايمان بالله يسبغ على الإنسان نوعاً من السلوك المثالي مصدره مراقبة الله والخضوع له والانقياد لأحكامه وشرائعه التي أنزلها على أنبيائه، كما ان الايمان بالحساب يوم القيامة يجعل الانسان قيّماً على أعماله ، يتجنب الشر مخافة الله ، ويسير في طريق الخير إرضاء له ، بينما الكفر يجعل الإنسان منفلتاً من كل قيد ، منقاداً لهواه ، لا يكبح شره أي شيء . ولهذا وصف الله الكافرين بوصف موجز جامع ﴿ والكافرون هم الظالمون ﴾ البقرة : ٢٥٤ .

كما ان الايمان بالله يضفي على النفس طمأنينة ويبعث فيها نوراً تسترشد به في ظلمات الحياة ، فلا يأس ولا قنوط مع الإيمان بالله . وقد صرح القرآن ان الله يؤيد المؤمنين و ( يهديهم بايمانهم ) بينما الكفر بالله يسبب فراغاً ووحشة في النفس ويجعلها عرضة لليأس والقنوط والتشاؤم عند حلول المصائب . قال تعالى :

﴿ إنه لا ييأسُ من رَوْحِ الله[1] إلاّ القومُ الكافرون ﴾ يوسف: ٨٧ .

---

(١) روح الله : رحمة الله .

# نسيان الله

ذكرنا في تعريف (كبائر الإثم) ان فاعلها يوصف بالفسق .

ولقد وصف القرآن الذين ينسون ذكر الله بأنهم فاسقون ، قال تعالى :

﴿ ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنسَاهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون ﴾ الحشر : ١٩ .

وعلى هذا فنسيان الله من كبائر الإثم ، بل انه المدخل الى كثير من الآثام كما سيأتي .

ومن أهم الدواعي والاسباب الى نسيان الله : التعلق الشديد بالدنيا وملذاتها وشهواتها، هذا التعلق الذي لا يجلب للإنسان في النهاية غير التعاسة والشقاء .

فالتنافس على الدنيا أدى الى التناحر بين الناس ، والارتماء الشديد على ملذات الحياة جَلَبَ للإنسان المرض الباكر والموت المفاجيء .

كما ان جَعْلَ الحياة الدنيا هي الغاية الوحيدة المرجوة ولّد في قلب الإنسان الهم والقلق على مستقبله الاقتصادي وصحته ، وأصابه بالأمراض النفسيّة التي أصبحت السمة الظاهرة لأمراض هذا العصر .

ولهذا حذّر الله من الانغماس في ملذات الحياة المؤدية إلى نسيان الله ، هذا النسيان الذي يؤدي الى الخسران في الدنيا والآخرة ، قال تعالى :

﴿ يا أيُّها الذين آمنوا لا تُلهكم أموالكم ولا أولادكم عَنْ ذِكْرِ الله وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فأولئك هُمُ الخاسرون ﴾ المنافقون : ٩ .

ولما كان الإنسان يتأثر سلوكه بمن يعاشره لهذا أمر الله باعتزال الذين جعلوا الدنيا همهم الأوحد ، قال تعالى :

﴿ فأعْرِضْ عَنْ مَنْ تولّى عَنْ ذِكْرِنَا ولم يُرِدْ إلاَّ الحيـاة الدنيا ﴾ النجم : ٢٩ .

وليس المقصود مما تقدم الدعوة الى الزهد الكلي والرهبانية ، فالإسلام نهى عن التبتل وأمر بالسعي والأخذ بنصيب من متع الحياة ولكن مع ذكر الله وعدم نسيانه ، فالقرآن الكريم يصف المؤمنين الذين حازوا رضى الله فيقـول :

﴿ رِجَالٌ لا تُلْهيهم تِجَارةٌ وَلاَ بَيْعٌ عن ذِكْرِ الله وإقَامِ الصَّلاة وإيتاء الزكاة يخافُونَ يَوماً تَتَقَلَّب فيه القلوبُ والأبصار ﴾ النور : ٣٧.

فَذِكْرُ الله هو مظهر من مظاهر الإيمان بالله وعرفان الجميل له ، والشكر على ما أَنعم من نِعَمٍ لا تحصى .

فالله تعالى هو الرزاق ، وهو المحيي والمميت ، بيده كشف الضر ، فإذا ما ذكر الإنسان ربه حلت الطمأنينة في نفسه ، وخلت من الهم والقلق من أحداث الغد ، ولهذا وصف القرآن ذكر الله بأنه يدخل الطمأنينة في القلب :

﴿ الذين آمنوا وَتَطْمَئِنُّ قلوبهم بِذِكْرِ الله ، ألاَ بِذِكْر الله تَطمئن القلوب ﴾ الرعد : ٢٨ .

وذِكْرُ الله هو المدخل الى الحكمة التي هي عنصر هام لسعادة الإنسان ، فالذي يذكر الله دوماً يتفكر في خلقه وفي أسرار صنعه ، وفي عجائب الكون ، وهذا ينمي في الإنسان الحكمة التي تعينه على مشاكل الحياة والتغلب على مصاعبها ، وسلوك الطريق الصحيح فيها ، وفي هذا يقول الله تعالى :

﴿ إنَّ في خَلْقِ السمَوَاتِ والأرضِ واختلاف الليل والنهار لآياتٍ لأولي الألباب . الذين يذكرون الله قياماً وقعُوداً وعَلَى جنوبهم ويتفكّرون في خَلْقِ السموات والارض ربنا ما خلقْتَ هذا باطلاً سُبحانك فَقِنَا عذاب النار ﴾ آل عمران : ١٨٩ .

فهؤلاء المؤمنون الذاكرون لله المتفكرون بأسرار صنع الله وصفهم الله :

بأولي الألباب ، أي أصحاب العقول ، والعقل هو منبع الحكمة والسعادة على هذه الأرض .

وذكْرُ الله يرقق القلب، ويرهف شعور الإنسان ، فالذي يتذكر عظمة ربه دوماً يخشع قلبه ، ويتذكر ان مآله ومرجعه إليه، فيكون ذلك حائلاً بينه وبين قساوة القلب التي تؤدي الى كثير من الشرور، وفي هذا يقول الله تعـالى :

﴿ أَلَمْ يأْنِ للذين آمنوا أنْ تَخْشَعَ قلوبهم لِذِكْرِ الله وَمَا نَزَلَ مِنَ الحق، ولا يكونوا كالذين أُوتوا الكتاب مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عليهم الأَمَدُ فَقَسَتْ قلوبهم وكثيرٌ منهم فاسقون ﴾ الحديد : ١٦ .

فكثير من الناس طغى عليهم حب الدنيا وشغلهم عن ذكر الله فكانت عاقبتهم الهلاك كما قال الله تعالى :

﴿ متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذِكْرَ وكانوا قوماً بوراً [1] ﴾ الفرقان : ١٨

فإنعام الله عليهم وعلى آبائهم أطغاهم وأنساهم ذكر الله فكانوا بذلك النسيان من الهالكين .

# النِّفَاق

النفاق هو اختلاف السرّ والعلانية ، أو اختلاف القول والعمل ، وهو نوعان : نوع يكون في العقائـــد ، وهو أشده وأخطره ، ونوع يكون في الأقوال والأعمال ، وهو دونه إثماً .

ولقد تحدث القرآن الكريم كثيراً عن نوع خاص من النفاق وهو النفاق في العقيدة أي ان يظهر الإنسان الإيمان ويبطن الكفر ، قال تعالى :

﴿ وَمِنَ النَّاس مَنْ يَقولُ آمنَّا بالله وباليوم الآخر ومَا هُمْ بمؤمنين . يُخادعون الله والذين آمنوا وما يَخْدعونَ إلاّ أنفسهم وما يشعرون . في

---

(١) بورا : هالكين .

قلوبهم مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أليم بمَا كانوا يكذبون . وإذا قيل لهم : لا تُفسدوا في الأرض ، قالوا : إنما نحن مُصْلحون . ألا انهم هُمُ المفسدون ولكن لا يشعرون ﴾ البقرة : ٨ — ١٢ .

ولقد وصف الله المنافقين بأنهم مفسدون في الأرض ، يحدثون الشرور والبلايا ، وهم من أشد ما تبتلى به الأمم والجماعات شراً وخطراً ، لأن المنافقين يظاهرون أعداءها ويدلونهم على مواطن الضعف فيها ، مبتغاهم الأول منفعتهم الذاتية ولو كان ذلك على حساب أمتهم، ولقد حذّر الله المنافقين بقولـه :

﴿ بَشِّر المنافقين بأنَّ لهم عذاباً أليماً . الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، أيبتغون عندهم العزّة، فإن العزة لله جميعاً ﴾ النساء: ١٣٨ .

فقد يصح تسمية هؤلاء بـ ( الطابور الخامس ) بلغة العصر الحديث ، وقد أدركت الأمم شرّ هذه الفئة من الخونة وفرضت عليهم أقسى العقوبات .

ولقد أوعد الله المنافقين وأنذرهم بالعقوبة الشديدة يوم القيامة :

﴿ وَعَدَ اللهُ المنافقين والمنافقات والكفّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خالدين فيها ، هي حَسْبُهُم ، وَلَعَنَهُمُ الله ، ولَهَمُ عَذَابٌ مُقيم ﴾ التوبة: ٦٨ .

وقال سبحانه: ﴿ إن المنافقين في الدَّرْكِ الأسْفَلِ مِنَ النَّار ﴾ النساء: ١٤٥ .

والنفاق مدعاة لاقتراف الأخلاق الذميمة : كالرياء والخداع والمداهنة والغدر والكذب والخيانة والخسة ، وهذه كلها آفات تفتك بجسم الأمة فتحيلها هيكلاً متخاذلاً لا تنهض برسالتها في الحياة .

ومن صفات المنافقين التي ورد ذكرها في القرآن قوله تعالى :

﴿ انَّ المنافقين يُخادعون اللهَ وهو خَادِعُهُمْ ، وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كُسَالى ، يراءون الناس ولا يذكرون الله إلاّ قليلاً . مُذَبْذَبينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ... ﴾ النساء : ١٤٢ ، ١٤٣ .

فهؤلاء المنافقون بنفاقهم يحسبون انهم يخادعون الله ، ويخفون عنه حقيقة أنفسهم ، والله سبحانه خادعهم ، فيهملهم ويتركهم يرتعون في شرهم ثم يحاسبهم على ما يفعلون ، ومن مظاهرهم انهم يقومـــون الى الصلاة كسالى متباطئين وصلاتهم رياء لا حقيقة لها ، وهم لا يذكرون الله إلاّ قليلاً ، وهم مترددون بين الكفر والإيمان .

ويقول سبحانه في وصفهم :

﴿ المنَافِقُونَ والمنافقاتُ بَعْضُهم منْ بعض ، يأمرون بالمنْكَـــرِ ويَنْهَوْنَ عن المعروف ، ويقبضون أيديَهم ، نسوا الله فنسيهم ، إن المنافقين هم الفاسقون ﴾ التوبة : ٦٧ .

فالمنافقون يتشابهون في انهم يفعلون القبيح ، ويأمرون به ، ويتركون الحق وينهون عنه ، ويبخلون ببذل المال في وجوه الخير ، أعرضوا عن الله فأعرض عنهم ، ولم يهدهم لأنهم هم الخارجون عن طاعة الله .

هذا ما ذكرناه بالنسبة للنفاق في العقيدة ، وأما النفاق الآخر في الأقوال والأعمال فقد استنكره الإسلام في أي صورة من صوره لسوء أثره في حياة الأمم والأفراد . فالنفاق رذيلة اجتماعية ترفع الثقة بين الناس في شؤونهم ، وبالتالي تذهب بالتعاون بينهم، وإذا انعدمت الثقة وفقد بينهم التعاون وقفت عجلة الحياة فيهم ، وحال ذلك دون رقيهم وازدهارهم ، وأصاب المجتمع الوهن والاضطراب والفوضى . ولقد حذّر النبي ﷺ من النفاق بالأعمال بقولـــه :

( تجدون شرّ الناس ذا الوجهين : الذي يأتي هؤلاء بوجه ، ويأتي هؤلاء بوجـــه )[1] .

ويبين النبي ﷺ صفات المنافقين في حديث جامع :

( أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلَةٌ منهن كانت فيه خَصْلَةٌ من النفاق حتى يَدَعَها : اذا ائتُمِنَ خان ، واذا حدّث كذب ، وإذا عاهد غَدَرَ ، وإذا خاصم فَجَرَ )[2] .

---

(١) رواه البخاري . (٢) خاصم فجر : أي مال عن الحق وقال الباطل . وهذا الحديث رواه البخاري ومسلم .

هذا الحديث عدّه جماعة من العلماء مشكلاً من حيث ان هذه الخصال توجد في المسلم المصدق بالله ، وقد أجمع العلماء على أن من كان مصدقاً بقلبه ولسانه وفعل هذه الخصال لا يحكم عليه بكفر ولا هو منافق مخلد في النار ، وقد قالوا: إن هذه الخصال هي خصال نفاق وصاحبها شبيه بالمنافقين ومتخلّق بأخلاقهم ، وليس المراد انه من الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام الذين أوعدهم الله بالعذاب الشديد يوم القيامة ، وقد أطلق العلماء على هذا النفاق نفاق عمل ، وهو دون نفاق العقيدة كما أسلفنا .

وقيل : إن المقصود من هذا الحديث تحذير لمن اعتاد هذه الخصال وكانت غالبة عليه ، أما من ندر ذلك منه فليس داخلاً في ذلك التحذير .

ولعل المقصود من هذا الحديث النبوي : ان الكذب والخيانة والإخلال بالعهد والمخاصمة بالباطل من أخص صفات المنافقين ، وان المنافقين يفعلون هذه الأفعال الذميمة وهم يستحلونها ويعتقدون انها الحكمة واللباقة فضلوا عن سبيل الله واستحلوا ما حرّم الله فكفروا ، وستروا كفرهم فنافقوا ، ولهذا أمر النبي المؤمنين ان يبتعدوا عن هذه الخلال التي يتصف بها المنافقون .

ولقد ضرب الله مثلاً في القرآن لرجل عاهد الله إذا أثرى ان يؤدي الزكاة ويكون من الصالحين فلما أثرى امتنع عن ادائها وخرج عن طاعة ربه فانزلق بذلك الى النفاق وكان من الخاسرين .

وهذا الرجل يُدعى ( ثعلبة بن حاطب ) فقد جاء إلى النبي وقال له : ادع الله ان يرزقني مالاً فقال له النبي : ( ويحك ثعلبة، قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ) ثم طلب ذلك مرة أخرى من النبي ، فقال له النبي : ( أما ترضى ان تكون مثل نبي الله ، فوالذي نفسي بيده لو شئت ان تسير معي الجبال ذهباً وفضة لسارت ) فقال ثعلبة : والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله فرزقني مالاً لأعطين كل ذي حق حقه ، فقال النبي :( اللهم ارزق ثعلبة مالاً ) فاتخذ ثعلبة غنماً فنمت وكثرت حتى ضاقت عليه المدينة فتنحى عنها ونزل وادياً من أوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة ويترك ما سواهما ، ثم نمت غنمه وكثرت فتنحى حتى ترك الصلوات إلاّ الجمعة ، ثم ازدادت غنمه حتى ترك الجمعة ، فسأل النبي عن أخباره فأخبروه بأمره فقال:

( يا ويح ثعلبة ) رددها ثلاثاً .

ثم أنزل الله على نبيه آية ﴿ خذ من أموالهم صدقة... ﴾ ونزلت على النبي فرائض الصدقة فبعث رجلين يجمعان الصدقة وقال لهما : مرّا بثعلبة وبفلان من بني سليم ، فخرجا حتّى أتيا ( ثعلبة ) فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب النبي فقال ( ثعلبة ) ما هذه إلاّ جزية ، ما هذه إلاّ أخت الجزية ما أدري ما هذا ؟ انطلقا حتّى تفرغا ثم عودا إليّ ، فانطلقا إلى الرجل الآخر من بني سليم فقدم لهما خيار ابله صدقة ، ثم رجع الرجلان إلى (ثعلبة) فقال أروني كتابكما فنظر فيه فقال : ما هذه إلاّ أخت الجزية انطلقا حتّى أرى رأيي ، فانطلقا حتّى أتيا النبي وأخبراه بالذي صنع ( ثعلبة ) فأنزل الله فيه هذه الآيات :

﴿ وَمِنْهُم مَنْ عَاهَدَ الله لئن آتانا مِنْ فضله لَنَصَّدَّقَنَّ ولنكونن مِنَ الصالحين . فَلَمَّا آتاهم مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا به وتولّوا وهم مُعْرِضون . فأعْقَبَهم[1] نِفَاقاً في قلوبهم الى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بما أَخْلَفوا اللهَ مَا وَعَدُوه وَبِمَا كانوا يَكْذِبون ﴾ التوبة : ٧٥ ــ ٧٧ .

هذه نظرة الإسلام إلى المنافقين ، وإنه لموقف قاس وشديد لأنهم جراثيم في جسم الأمة يصيبونها بشتّى الأمراض .

وقد راجت بضاعة النفاق في هذا العصر ، وساعد على رواجها شهوة الأفراد القوية في الربح المادي ورغبتهم في الحصول عليه من أي وجه وبكل حيلة ، وأصبح الناس يخادع بعضهم بعضاً ، وشاع النفاق في كل مرافق الحياة ، وصار غير مستغرب أن يَعِدَ الرجل ولا يفي ، ويستقرض ولا يؤدي دينه ، ويتظاهر بالصدق وقلبه مملوء بالحقد والضغينة .

وعلاج النفاق يكون بعزل المنافقين عن مجتمع المؤمنين ومقاطعتهم وعدم التودد لهم ومجابهتهم باستمرار حتّى يصلح حالهم وتستقيم أمورهم .

(١) فأعقبهم : جعل عاقبة فعلهم .

# الشرك الأصغر: الرِّياء

الرياء في العبادة ويطلق عليه : الشرك الأصغر ، وهو ان يريد الإنسان بعبادته غير وجه الله ، كأن يقصد اطلاع الناس على عبادته وورعه حتى يحصل له منهم غرض دنيوي نحو مالٍ أو جاهٍ أو ثناء ، فمن يفعل ذلك تكن عبادته باطلة ويكن مذموماً من الله مردوداً عليه عمله ، لأن الله لا يقبل من الأعمال إلاّ ما كان خالصاً له .

وقد ذم الله الرياء بقوله :

﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون . الذين هم يُراءون ﴾ الماعون : ٤ – ٦ .

وبيّن الله المقبول عمله بقوله :

﴿ فمن كان يَرجو لِقَاءَ ربه فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالحاً . ولا يُشْرِكْ بعبَادةِ ربّه أحداً ﴾ الكهف ١١٠ .

ويقول النبي ﷺ :

( أتخوف على أمتي الشِّرك والشهوة الخفية ، قيل له : يا رسول الله أتشرك أمتك من بعدك ؟ قال نعم ، أما إنهم لا يعبدون شمساً ولا قمراً ولا حجراً ولا وثناً ولكن يراءون بأعمالهم[١] والشهوة الخفية ان يصبح أحدهم صائماً فتعرض له شهوة من شهواته فيترك صومه )[٢] .

ويقول النبي ﷺ أيضاً :

( إذا جمع الله عز وجل الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه ينادي منادٍ : من كان أشرك في عمل عمله لله تبارك وتعالى أحداً فليطلب ثوابه من عند غير الله عز وجل فإن الله أغنى الشركاء عن الشِّرك )[٣] .

---

(١) يراءون بأعمالهم : أي يظهرون الأعمال الصالحة للناس ليقال انهم من الصالحين ويأتون ما تشتهيه أنفسهم من المعاصي خفية . (٢) رواه الإمام أحمد . (٣) رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجة .

ويقول النبي ﷺ أيضاً :

( من سمّع سمّع الله به ، ومن يُرائي يُرائي الله به )[1] .

ومعنى من سمع أي من عمل عملاً على غير اخلاص وإنما يريد أن يراه الناس ويسمعوه جوزي على ذلك بأن يشهره الله ويفضحه ويظهر ما كان يبطنه . ومن راءى الناس بعمله راءى الله به أي أطلعهم على انه فعـل ذلك رياء لهم لا لوجهه واستحق سخط الله عليه . ولقد قال الله تعالى :

﴿ من كان يُريد الحيَاة الدُّنيا وزينتها نوفّ اليهم أعْمَالهم فيها وهم فيها لا يبخسون . أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلاّ النار ، وحبطوا ما صنعوا فيها ، وباطل ما كانوا يعملون ﴾ الاعراف ١٤-١٦ .

يتبين لنا مِمّا سبق ان الرياء محبط للأعمال وسبب للمقت من الله ، فالله لا يقبل من الأعمال إلاّ ما كان خالصاً لوجهه ، وهذا مذهب جليل يسمُو بالأعمال عن المنفعة الذاتية والغايات الشخصية ، ويجعل الدافع للعمل رضوان الله والرغبة في نيل ثوابه في الآخرة .

وإذا ابتغى الإنسان بعمله وجه الله وثوابه في الآخرة صَلُحَ عمله وسمت روحه فلا يصدر عنه إلاّ كل خير .

وقد مدح الله فئة من المؤمنين استحقت رضوانه لأنها كانت تحسن الى الفقراء مبتغية وجهه الكريم لا تبغي الشكر والجزاء وكانت تقول للفقراء :

﴿ إنَّما نُطْعِمُكم لوَجْه الله لا نريدُ منكم جزَاءً ولا شكورا ﴾ الإنسان : ٩ .

ولقد وعى المؤمنون السابقون هذه الحقيقة ، فقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه :

( يُعطى العبد على نيته ما لا يعطى على عمله ، لأن النية لا رياء فيها ) .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لمن رآه يطأطىء رقبته خشوعاً :

( يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب وانما الخشوع في القلب ) .

ورأى ابو امامة رجلاً يبكي في المسجد في سجوده فقال : ( أنت أنت تفعل ذلك لو كان هذا في بيتك ) .

وقال ابراهيم بن ادهم : ما صدق الله تعالى من أراد أن يشتهر .

---

(١) رواه البخاري .

## الباب الثالث

# خطايانا في الجنس

- نظرة الاسلام الى الجنس
- العفة وموجباتها
- الزنا وأضراره
- خطايا الجنس
- حدود العلاقات الجنسية وآدابها

# الفصل الأول

# نظرة الإسلام إلى الجنس

أهمية الغريزة الجنسية – أخطار الجنس – الزواج هو المكان الطبيعي للجنس – نظرة الإسلام للجنس .

## أهمية الغريزة الجنسية

ليس ثمة غريزة إنسانية تسيّر الإنسان وتوجّه جميع نشاطاته باتجاه معيّن كغريزة الجنس . فالجنس هو الدافع البيولوجي الذي يدفعنا الى حب الحياة والتعطش المستمر للعيش، حتّى ان أحد الباحثين وصفه بقوله : إن كانت الإنسانية تعيش في سبيل غاية ما فإن تلك الغاية جنسية بحتة .

وأشهر الذين عُنوا بمشكلات الغريزة الجنسية وعلاقتها بمظاهر النشاط البشري هو ( فرويد ) العالم النفساني، فإنه بعد البحوث التي أجراها على كثير من المصابين بالعلل النفسية توصل الى النتيجة التالية : إن كبت الشعور بالغريزة الجنسية كان عاملاً في حدوث هذه العلل النفسية، وان الغريزة الجنسية هي المؤثر الأول في الحياة البشرية، وإن جوانب النشاط الإنساني تتأثر بها .

وغريزة الإنسان الجنسية ذات أثر خطير على كل من النواحي النفسية والخلقية والعقلية والفيزيولوجية، ففكرة الشر تبرز مع سوء استعمال الجنس، كما لوحظ ان المشكلات الجنسية غالباً ما تتحول الى مشكلات عقلية ، فأسباب الخلل العقلي والشذوذ الذهني متصلة من قريب أو بعيد بالدوافع الجنسية .

## أخطار الجنس

والاتصالات الجنسية غير الطبيعية تسبب التلوّث بالجراثيم المرضية، وتؤدي الى مختلف الأمراض الزهرية – التي سنتكلم عنها فيما بعد – ومن خلال الاتصال الجنسي حتّى الخارجي منه مع عذراء ما ، قد يحدث التلوث

بالسائل المنوي من الخارج ويؤدي الى الحمل دون الاتصال الكامل ، ودون تمزق غشاء البكارة ، وتكون نتيجة هذا العمل شقاء للفاعلين ، وتأنيباً مستمراً لضميريهما ، بجانب ما يصيبهما أيضاً من اضطرابات نفسية وحرمان من مباهج الحياة وتفكير بالانتحار .

**الزواج هو المكان الطبيعي للجنس**

تأثر الجنس في العالم الغربي بالديانة المسيحية تأثراً كبيراً ، فالمسيحيون الأوائل في ثورتهم على ما كان سائداً في أيامهم من التحلل والإباحية ، وضعوا ناموساً للسلوك الجنسي على درجة كبيرة من الصرامة للحؤول دون الفحشاء، ولقد نتج عن سلطة الكنيسة تحول في الاتجاه العام نحو مسألة الجنس كلها، بل إن تنسك رهبان المسيحيين الأوائل – الذين كانوا يضحون عن طيب خاطر بالحياة الجنسية بقصد توجيه طاقتها الى مسالك روحية طاهرة – أوحى بفكرة خاطئة عن الجنس ، وهي انه شرٌّ في ذاته ، ولم يعد معظم رجال الكنيسة إلاّ في الأزمنة الحديثة جداً الى الاعتراف بأن للأمور الجنسية قيمتها بالنسبة للبشر وذلك زيادة على وظيفتها التناسلية .

أما الإسلام فهو يهتم بالجنس إهتماماً خاصاً ، ويحصره في ميدانه الحقيقي ، وهو الزواج إلاّ أنه بجانب ذلك يضفي على الزواج – بجانب معناه الجنسي – معنى فلسفياً خاصاً يسمو به عن المعنى الحيواني الصرف ، ويصوره بهاتين الصورتين البليغتين :

﴿ هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ﴾ البقرة : ١٨٧ .

فكما ان اللباس يستر الإنسان عن الحر والبرد، ويصونه من الأذى، كذلك الحياة الزوجية تحفظ الإنسان من الانزلاق ، وتخفف عنه من شدائد الحياة ومكروهاتها ، وتحفظ جسد المرأة عن الأنظار الشرهة ، فالزواج حصن للرجل وستر للمرأة .

وجاء في القــرآن :

﴿ ومن آياته[١] أنْ خَلَقَ لكم مِنْ أَنْفُسِكُم أزواجاً لتسكنوا إليها وجَعَلَ بينكم مَودّة ورحمة إن في ذلك لآياتٍ لقَوم يتفكرون﴾ الـــروم : ٢١ .

---

(١) ومن آياته : أي من الدلائل على وجود الله .

ففي قوله تعالى: ( خلق لكم من أنفسكم أزواجاً ) ولم يقل خلق لكم من مادة أجسامكم نساء ، ليؤكد ان الزواج تمازج روح بروح ونفس بنفس وذلك ليسد الطريق على الانفصام النفسي بين الزوج والزوجة الذي يمكن ان يؤدي الى تحطم بناء الأسرة . . وفي قوله تعالى ( لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ) اقرار بأن الحياة الزوجية هدوء واستقرار واطمئنان تظللها المودة وتشيع فيها الرحمة .

## نظرة الإسلام للجنس

والإسلام ينظر إلى الجنس نظرة موضوعية ، فهو لا يقر الرهبانية ، ولا يرى أن القربى من الله تكون بالابتعاد عن الجنس ، فالرسول محمد ﷺ يقول : ( لا رهبانية في الاسلام ) .

ويُروى : انه جاء ثلاثة رهط[1] الى بيوت أزواج رسول الله يسألون عن عبادة النبي ، فلما أُخبروا كأنهم تقالّوها ( أي عدوها قليلة ) فقالوا: وأين نحن من رسول الله وقد غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر ؟! ، قال أحدهم : أمّا أنا فأصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر : أنا أعتزل النساء ولا أتزوج أبداً . فجاء رسول الله فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنّتي فليس مني[2] .

ويرى النبي ﷺ ان ممارسة الجنس عن طريق الزواج عمل يؤجر عليه المرء إذا كان القصد منه العفة عن الزنا والمحرمات ، فيقول :

(وفي بُضع أحدكم ــ أي في الجماع ــ صدقة، قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال : أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وِزْرٌ ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر )[3] .

هذا وقد يصادف أن تصاب المرأة بداء عضال يمنع الزوج من ممارسة العلاقة الجنسية فلهذا شرع الإسلام تعدد الزوجات ــ ضمن شروط عادلة ــ حتّى يحول بينه وبين اقتراف الزنا .

---

(١) ثلاثة رهط : ثلاثة رجال . (٢) رواه البخاري ومسلم . (٣) رواه مسلم .

# الفصل الثاني

# العفّة وموجباتها

العفة وفوائدها – العفة في الإسلام – منزلة العفة في الإسلام – مثال من العفة في القرآن – غض البصر – النهي عن إظهار محاسن المرأة – أخطار السينما والمجلات الخلاعية – اختلاء الجنسين وأخطاره .

## العفّة وفوائدها

سرى وَهمٌ عند كثير من الناس ان عدم استعمال الأعضاء الجنسية يفسد الغدد الجنسية الصماء ويعطل وظائفها ، بينما الحقيقة ان العفة تساعد على الصحة ، ذلك ان غدد الجنس لا تضمر ولا تذبل نتيجة لعدم الاستعمال ، فإن استبقاء الافرازات الداخلية للغدد الجنسية تُساعد فعلياً على إحراز بنية قوية ، إذ ان القذف المنوي يحرم الجسم كميات لا بأس بها من الحديد والفوسفور والكالسيوم كانت تؤلف جزءاً من نسبة الدم الإجمالية .

ومن المشاهد ان كمية السائل المنوي تزداد تحت تأثير التهيج وبالتالي تعظم الخسارة في بنية الجسم .

فالسائل المنوي هو الذي يحمل قوة الحياة ، ففي حال الانقطاع عن المواقعة الجنسية يتم امتصاص العصارات الجنسية مع طاقاتها الإحيائية فتسري تلك الطاقات في جسم المرء لتنعشه ولتزيد من قدراته الجسدية والعقلية ، فبدلاً من ان ينصرف المرء الى تتبع ملذاته وشهواته مما يهدر صحته وماله ، يمكن ان ينصرف الى الرياضة فيقوي جسده ، أو الى العلم فيتخذ منه أهدافاً سامية يسعى الى تحقيقها فتعود بالنفع عليه وعلى مجتمعه .

هذا وإن العفة هي المدخل الشريف الى حياة زوجية سعيدة ، فالزواج

يكون أكثر إمتاعاً وأوفر نجاحاً إذا أقدم عليه الزوجان وهما في حالة العذرية يرتويان معاً من مباهج الحياة الجنسية .

فالعفة للشباب تؤدي بهم الى مستقبل مرموق ، وإن لهم في حاضرهم الثمين الذي يحضرون به لمستقبلهم ما يستحق تأجيل رغباتهم الجنسية الى ان يحين وقت زواجهم ، وإن هناك خدمات يمكنهم ان يبذلوها للمجتمع فيرفعهم مكاناً عليّاً .

ولكن على الرغم من ذلك فلا يكفي مجرد النصح لحماية الشباب من فورته وإلحاح الجنس عليه بل لا بد في سبيل ذلك من تنفيذ إصلاحات اجتماعية بعيدة المدى منها : إزالة الحواجز المتعددة للزواج المبكر ، كعدم كفاية الأجور ، وأزمة المساكن ، والتعنت من جانب الوالدين أو أصحاب العمل ، ومنها القضاء على كل ما يثير الشهوات من كتب ومجلات وأفلام سينمائية خلاعية وأزياء مثيرة وغير ذلك .

## العفة في الإسلام

والإسلام كان واقعياً أمام متطلبات الطبيعة الإنسانية ، فأمر بتيسير الزواج وإعانة من لم يتزوج من الرجال والنساء، فإن كانوا فقراء فإن الله سيهيىء لهم وسائل العيش الكريم إن ارادوا إحصان أنفسهم ، قال تعالى مخاطباً الأولياء المسؤولين عن تزويج البنات والشباب .

﴿ وأنكحوا [١] الأيامى [٢] مِنْكُم والصالحين [٣] مِنْ عِبَادِكُم وإمائكم [٤] إن يكونوا فقراء يُغْنهم اللهُ مِنْ فضله ﴾ النور : ٣٢ .

ثم تأتي الآية القرآنية التالية تبين للذين لا يجدون القدرة على مؤونات الزواج بأن عليهم أن يسلكوا سبيل العفة حتى يهيىء الله لهم من فضله مالاً يستطيعون به الزواج . قال تعالى :

---

(١) أنكحوا : زوجوا .
(٢) الأيامى : العزاب من الجنسين .
(٣) الصالحين : أي الصالحين للزواج والقيام بحقوقه.
(٤) عبادكم وإمائكم : المماليك من الذكور والإناث .

﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الذين لا يجدون نِكاحاً[1] حتى يُغْنِيهُمُ الله من فضله ﴾ النور : ٣٣ .

وهكذا نرى القرآن وعد راغبي التزوج من الفقراء باليسر الذي يمكنهم من الزواج كما دعا العزّاب الى العفة ريثما يرزقهم الله من فضله ، وهذا ترغيب بالعفة وبيان ما تؤدي اليه من خير .

والنبي ﷺ يصف الصوم للشباب كوسيلة تُساعد على العفة فيقول :

( يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة[2] فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصنُ للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء[3] ) .

## مَنزلة العِفَّة في الإسلام

هذا وإن سبيل العفة سبيل كريم ، وثوابها عند الله عظيم ، فقد ورد عن النبي ﷺ بعض الأحاديث عن الذين اتصفوا بها ، ونالوا القربى من الله بسببها ، من ذلك قوله :

( سبعة يُظلّهم الله في ظله يوم لا ظِل إلاّ ظلّه ) . وقد وصف النبي ﷺ أحد هؤلاء السبعة بقوله : ( ورجل دعته[4] امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله رب العالمين )[5] .

ويقول النبي ﷺ في حديث آخر : ( بينما ثلاثة يمشون إذ أخذتهم السماء[6] فأووا الى غار في الجبل فانحطت عليهم صخرة من الجبل فأطبقت عليهم ، فقال بعضهم لبعض : انظروا أعمالاً صالحة عملتموها فادعوا الله بهـا ) .

وقد دعا هؤلاء بصالح أعمالهم ، وكانت الصخرة تنفرج عندما يذكر كل واحد منهم أحد اعماله الصالحة الى ان أنجاهم الله وكان دعاء أحد هؤلاء الثلاثة : ( اللهم إن كنت تعلم انه كان لي ابنة عمّ من أحب الناس إليّ ،

---

(١) لا يجدون نكاحاً : أي لم يتيسر لهم الزواج لقلة مال وغيره . (٢) الباءة : القدرة على الزواج من نفقات وغيرها . (٣) وجاء : قطع الشهوة . وهذا الحديث رواه البخاري ومسلم. (٤) دعته : أي إلى الفحشاء . (٥) رواه البخاري ومسلم . (٦) أخذتهم السماء: أي أمطرت .

وإني راودتها عن نفسها فأبت إلاّ ان آتيها بمائة دينار فطلبتها حتى قَدَرْتُ فأتيتها بها فدفعتها إليها فأمكنتني من نفسها، فلما قعدت بين رجليها قالت : اتق الله ولا تَفُضّ الخاتم[1] إلاّ بحقه[2] فقمت وتركت المائة دينار ، فإن كنت تعلم اني فعلت ذلك من خشيتك ففرّج عنّا ففرّج الله عنهم فخرجوا)[3].

وإنما أجيب دعاؤه لأنه خاف الله وأمسك زمام نفسه وملك شهوته بعد ان أوشك على الاتصال بها واتعظ بقولها، فلما أحجم عن معصية الله ابتغاء وجهه كافأه الله بكشف الضر عنه .

ويذكر النبي ﷺ ثواب من يتصف بالعفة :

( من يضمن لي ما بين لَحْيَيْه ( أي لسانه ) وما بين رِجْلَيه ( أي فرجه ) أضمن له الجنة )[4] .

## مثال من العفة في القرآن

وقد ذكر الله سبحانه عن نبيه يوسف عليه السلام انه كان مثالاً يحتذى به في العفة ، فقد دعته سيدته الى الفحشاء فعف ، ولم يستجب لرغباتها رغم انه كانت تحف به جملة عوامل تسهل له هذا الأمر ، منها :

انه كان شاباً والشباب مركب الشهوة، وكان أعزب ليس عنده ما يعوضه، وكان غريباً عن أهله ووطنه ، والمقيم بين أهله وأصحابه يستحي منهم ان يعلموا عنه أي سوء فيسقط من عيونهم ، فإذا تغرّب زال هذا المانع .

ومنها : ان المرأة التي دعته كانت ذات منصب وجمال ، وكانت هي المطالبة بذلك فيزول بذلك حياؤه وخوفه من ان يخيب لو كان هو البادىء بذلك وكان طلبها للوصال في بيتها بحيث تعرف الوقت المناسب والمكان الذي لا تناله العيون ، وزادت مع ذلك تغليق الأبواب لتأمن دخول أحد عليهما بغتـــة .

ومع هذا كله عفّ يوسف عليه السلام ، ولم يطاوعها في شهوتها وقدّم

---

(١) لا تفض الخاتم : أي لا يحل لك إزالة البكارة . (٢) إلا بحقه: أي بالحلال وهو الزواج . (٣) رواه البخاري . (٤) رواه البخاري .

حق الله بالامتناع عن معصيته ، ورعى حق زوجها بالامتناع عن خيانته وعن الاستسلام لشهوته[١] .

## غض البصر

ومما يساعد على العفة : غض البصر ، وعدم اطلاقه بشهوة لأن البصر هو الأداة الأولى لإثارة كوامن الجنس في النفس الإنسانية .

ومن روعة الإسلام : انه بيّن هذا الأمر بيان العليم بالطبيعة البشرية مبتغياً من ذلك الصعود بالرغبة الجنسية من الابتذال والفوضى الى السمو والتنظيم الذي يؤدي بها الى خيرها ، قال تعالى :

﴿ قُل للمؤمنين يَغُضُّوا مِنْ أبصارهم ويحفظوا فُرُوجهم ذَلِكَ أزكى لهم، إنَّ اللهَ خبير بما يصنعون . وقُل للمؤمنات: يَغْضُضْنَ مِنْ أبْصَارهِنَّ ويحفظن فروجهن ولا يُبدين زينتهن إلاّ ما ظَهَرَ منهـا ، ولْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ على جُيُوبِهِنَّ ولا يُبْدِين زينَتَهُنَّ إلاّ لبعولتهن[٢]أو آبائهن أو آباء بعولتِهنّ أو أبنائهنّ أو أبناء بعولتهن أو إخوانهنّ أو بني إخوانِهِنَّ أو بني أخواتِهِنَّ أو نسائهن أو ما مَلَكتأيْمانُهُنَّ أو التابعين غيرِ أولي الإرْبَة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عَوْرَاتِ النساء، ولا يضربن بأرجُلِهِنَّ ليُعلَمَ ما يُخفين من زينتهن، وتوبوا الى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تُفلحون ﴾ النور : ٣٠ — ٣١ .

فالقرآن يعالج الفساد في علاقات الجنسين من بداية الطريق الى نهايته ، فلا يكفي ان يصون الإنسان نفسه عن لحظات السقوط والوقوع في الإثم بل عليه ان يستبق الى منع المقدمات وذلك بصيانة النظر عن المغريات، إذ النظر هو المدخل الأساسي لتسرّب الشهوة الى النفس وطغيانها .

فالقرآن يأمر الرجال والنساء بالغض من أبصارهم وحفظ فروجهم . فحفظ الفرج هو النتيجة الطبيعية لغض البصر ، ثم يعلل هذا الأمر بقوله ( ذلك أزكى لهم ) أي أزكى للعلاقات القائمة بين الجنسين ، وأنقى للأخلاق وأطهر للسلوك الإنساني .

---

(١) راجع قصة يوسف في كتاب « مع الأنبياء » للمؤلف . (٢) بعولتهن : أزواجهن .

ولما كانت مفاتن المرأة تستحق أن تصان عن الابتذال لنفاستها من جهة، وعدم إغواء الرجال بها من جهة أخرى، زاد القرآن هذا الايضاح بقوله: ( وليضربن بخمرهن على جيوبهن ) .

فالخمار هو القناع الذي تغطي به المرأة رأسها . والجيب : فتحة الثوب التي تلي الصدر ، فتغطي المرأة بالخمار صدرها حتّى لا يتعرض شيء من مفاتن جسدها للنظر باستثناء ما ظهر من زينتها وهما الوجه والكفان فيجوز كشفهما [1] لأن كشف الوجه واليدين مباح لقول النبي ﷺ لأسماء بنت أبي بكر : ( يا أسماء : إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح ان يرى منها إلاّ هذا وأشار إلى وجهه وكفيه ) .

أما الزينة فهي مباحة للمرأة تلبية لفطرتها ، فكل أنثى مولعة بالزينة لتبدو جميلة ، والإسلام لا يقاوم هذه الرغبة الفطرية ، ولكن ينظمها ويضبطها ويجعلها مباحة لزوجها وللمحارم المذكورين في الآية ممن لا يتأثرون بالاطلاع على زينتها .

ولا يقتصر القرآن عند هذا الحد بل يزيد : ( ولا يضربن بأرجلهن ليُعلم ما يخفين من زينتهن )، فالحركة الملتوية المنبهة والإيماءة العابرة تثير في النفس الشهوة وتكون منفذاً للفساد والتحلل .

فالإنسان يشتمل على غرائز شتّى ، فمهما حاول ان يكون شريفاً متسامياً فلا يملك ان يضبط نفسه أمام منظر مثير من مفاتن المرأة أو أمـام نظرات مشحونة بالإغراء ، أو حركات مشبعة بالإثارة ، وهذا كله احتاط له الإسلام وبيّن السبيل الى اجتنابه بهذه الآية الجامعة التي ذكرناها .

وللنبي ﷺ وصايا شتّى في هذا المجال ، فهو يقول لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنـه :

( يا علي لا تتبع النظرة النظرة ، فإن لك الأولى وليست لك الآخرة )[2].

ويجعل النبي ﷺ النظرات الشرهة – من أحد الجنسين الى الآخر – زنى للعينين فيقول : ( العينان تزنيان ، وزناهما النظر )[3] وانما سماه النبي

---

(١) هذا ما ذهب إليه الإمام أبو حنيفة عند أمن الفتنة . (٢) أخرجه الترمـذي .
(٣) أخرجه البخاري ومسلم .

زنى لأنه نوع من التلذذ والإشباع للغريزة الجنسية بغير الطريق المشروع .

ويُروى عن جرير بن عبد الله أنه قال : سألت رسول الله عن نظر الفجأة ، فأمرني أن اصرف بصري [1] .

ونظرة الفجأة هي النظرة الأولى التي تقع بغير قصد من الناظر ، فإذا أمعن النظر في الأولى ، أو نظر ثانية تعمداً أَثِـمَ .

## النهي عن إظهار محاسن المرأة

اصطلح في الشرع على تسمية ما يجب ستره من جسم الإنسان وما لا يجوز النظر إليه باسم : ( العورة ) .

فعورة المرأة بالنسبة للرجل غير المحـــرم جميع بدنها ما عدا الوجه والكفين ، فلا يجوز للرجل أن يتعمد النظر الى وجهها لغير غرض ، وإن وقع بصره عليها بغتة يغض بصره ، أما إذا كان الغرض من ذلك الخطبة ، أو كان النظر عند المبايعة فله أن ينظر الى وجهها متأملاً حتى يعرفها عند التعامل معها ، كما يباح للطبيب المسلم الأمين ان ينظر الى جسمها للمعـــالجة ، وكذلك إذا تعرضت للخطر فللرجل المنقذ ان ينظر الى بدنها لتخليصها من الغرق .

أما عورة المرأة مع المرأة ، فهناك أجزاء من جسمها محرمة لا تحل لأختها ان تنظر إليها – إلاّ عند الضرورة في العلاج أو الوضع – وهي بين السرة والركبة .

هذا هو تشريع الإسلام ، فما القول في نساء وبنات المسلمين اللاتي يرتدين زي ( الميني جوب ) ويعرضن أفخاذهن في الشوارع والمجتمعات فيرى ذلك منهن الرجال الأجانب – يعرضن ذلك وأكثر – دون أن يكون لهن إيمان يصونهن ولا حياء يردعهن ، ولا أهل يمنعونهن ، متعللات بأن هذا اللباس هو زي أو ( موضة ) الساعة .

ما مصدر هذه ( الموضة ) ؟ مصدرها بعض شياطين الأزياء في باريس ولندن ونيويورك وغيرها ، استحدثوا هذه ( الموض ) غير مراعين أي قانون للأخلاق وما يترتب على ذلك من فساد وإفساد ، همهم الأوحد ترويـــج

---

(١) رواه مسلم .

بضاعتهم ، وازدهار مؤسساتهم ، فهل من العقل والمروءة ان تكون وجهتنا هؤلاء الفسقة ونترك ما أمرنا به الإسلام مما فيه سعادتنا وخيرنا ؟

قليلاً من العقل يا متبعي أزياء الغرب !!... لنقلد الغرب في الصالح من الاعمال وما يقضي به التطور مما لا يخالف تعاليم ديننا ، ولنخالفهم في مفاسدهم ومبـــاذلهم .

**النهي عن التبرج** : هذا وقد نهى القرآن المرأة عن اظهار محاسنها للرجال الأجانب واعتبره عملاً شائناً يعود الى عادات ما قبل الإسلام ، قال تعالى :

﴿ ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ﴾ الاحزاب : ٣٣ .

والتبرّج هو التكشف والظهور للعيون بالزينة وإبداء المحاسن ، وقد نهى الإسلام عن هذا التبرج لأنه يؤدي الى اضرار في المجتمع من تحريض على الفساد أو اغتصاب النساء ، أو التحرش بهن كما يحصل ذلك في بلادنا وبلاد الغرب مما تطالعنا به الصحف دوماً .

والنبي ﷺ حذّر النساء من لبس الثياب الرقاق التي تشف عمّا تحتها ولا تسترها عن أعين الناظرين ، فقد وصف صنفاً من أهل النار يوم القيامة بقوله : ( ونساء كاسيات عاريات مائلات[١] مميلات[٢] ، رؤوسهن كأسنمة البخت[٣] المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا )[٤] .

والمراد بكاسيات عاريات أي ان ثيابهن لا تؤدي وظيفة الستر ، فيظهر ما تحتها لرقتها وشفافيتها .

كما أن النبي ﷺ نهى النساء عن استعمال العطور ذات الروائح العبقة التي تثير الغريزة الجنسية وذلك في حال مغادرتهن منازلهن .

**أخطار السينما والمجلات الخلاعية**

ومن أهم الأمور التي يجب مراعاتها للحفاظ على العفة : انتقاء الأفلام

---

(١) مـــائلات : أي عن طاعة الله وما يلزمهن فعله وحفظه .

(٢) مميـــلات : أي لغيرهن بفعلهن المذموم بتعليمهن إياهن ذلك .

(٣) كأسنمة البخت : أي يكبرن رؤوسهن بنحـــو عصابة وغير ذلك من ( موديلات ) تسريح الشعر .

(٤) رواه مسلم .

## أخطار السينما والمجلات الخلاعية

ومن أهم الأمور التي يجب مراعاتها للحفاظ على العفة : انتقاء الأفلام السينمائية العفيفة في حال الرغبة في حضورها واجتناب الأفلام الجنسية .

فالسينما أداة للترفيه عن النفس من عناء العمل ، كما انها يمكن ان تكون أداة تثقيفية وتربوية ، وصورة للحياة الفاضلة مما يساعد على بناء مجد الأمة .

لقد كان على السينما منذ سنين عديدة رقابة عالمية فلم تكن الحكومات تسمح بعرض الأفلام إلاّ بشروط خاصة لا تتعداها وإن كانت لا تخلو من بعض الميوعة والابتذال وسوء التوجيه .

ولكن اليوم انهارت كل رقابة على الأفلام ، وأصبحت السينما أداة تدمير للقيم والأخلاق وتعليم للإجرام ، وأصبح الشيطان هو الموجّه لصناعة السينما في العالم ، فالمشرفون على السينما تجار أولاً وقبل كل شيء لا تعنيهم المحافظة على الأخلاق والآداب بقدر ما يحرصون على جمع المال والثراء ، وقد خبروا اتجاهات وميول الشباب فاستغلوا ذلك فأشبعوا غرائزهم وأرضوا ميولهم من غير ان يقيموا وزناً لدين ، أو يحسبوا حساباً لأدب ، وبذلك فتحوا مجال الشر والفسادأمام البنين والبنات ، وأنشأوهم خلقاً آخر من الميوعة والتخنث ، وأصبحت دور السينما أماكن للفساد يخجل الإنسان من ارتيادها لما يُعرض فيها من ألوان الجنس المبتذل ، والشذوذ الجنسي ، وصُوَر الإغراء والخيانات الزوجية ، وجميع صور الفحشاء ، بالإضافة الى ما يحصل لمرتاديها من التصرفات المنافية للحشمة والحياء متأثرين بما يُعرض على الشاشة من الإثـارة .

قد يستهين البعض بخطر السينما ولكن خطرها جسيم ، فالسينما تترك انطباعات لاشعورية على نفسية المشاهد فيتأثر بما يراه ويكون التأثير متفاوتاً حسب ثقافة المشاهد وسنّه ، ونضوجه العقلي ، وضعف ارادته ، فاذا رأى بعض المشاهدين ــ وخصوصاً المراهقين ــ صُوَر الداعرين في دعرهم والشاذين في شذوذهم والمجرمين في اجرامهم رغبوا في تقليدهم فيكون هناك الخطر الداهم على نفسيتهم وسلوكهم وبالأخص على المجتمع الذي يعيشون فيه .

ولهذا ننصح الأهل بأن يكونوا عيناً على أولادهم فلا يسمحون لهم بحضور

هذه الأفلام الجنسية ، كما ننصح الجمعيات الأدبية والصحافة الشريفة بتنبيه الرأي العام الى الأفلام التي يجب اجتنابها .

ومما يلاحظ اليوم طغيان الأفلام الجنسية وعدم وجود رقابة على الأفلام – كما يجب – وندرة الأفلام النظيفة ، لذلك فإننا ننصح بالامتناع عن حضور الأفلام السينمائية .

**المجلات الخلاعية :** وثمة محرض آخر على الفحشاء ومدمّر للاخلاق ألا وهو : المجلات ذات الصور العارية التي تصدر في بعض الدول العربية ، أو التي ترد من الخارج ، وهذه المجلات لها أثر سيء على النشء الجديد ، فأغلب الصور التي تتضمنها لا تكتفي بعرض الأجسام العارية فقط وإنما تصورها في أوضاع مثيرة تحرض على الزنا ، كما تنطوي قصصها على نفس المرمى ، بل وتعطي القارىء فكرة خاطئة عن الجنس وذلك لأنها تصوّره عملية جسدية صرفة ليس فيها أي أثر للمشاركة الوجدانية العميقة ، وإن هذه المجلات تثير إهتمام الجيل الناشىء بالجنس قبل أوانه وتحرضه على الفحشاء ، وفي الحالات الخفيفة تضعف من قدرته على مقاومة الرغبة في الاستمناء مما يؤدي الى اعتلال الأجسام وضمورها والقضاء على نشاطاتها .

**اختلاء الجنسين وأخطاره**

وثمة خطر كبير على العفة ومحرض شنيع على الفحشاء ألا وهو : خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية[1] بعيداً عن رقابة الأهل ، وقد يحصل من ذلك ما لا تحمد عقباه ، وقد تتطور خلوة الرجل بالمرأة الى المعانقة والمداعبة والرقص معاً والسباحة والتنزه معاً ، ولكن الأمر لا يقف دائماً عند هذا الحد ، فالملاطفة قد تزداد عمقاً ، وقد يجدان أحاسيسهما الجنسية قد التهبت لدرجة لا يستطيعان معها ان يقفا دون اكمال العملية الجنسية إلاّ بشيء كبير من الصعوبة ، إن الوظيفة الطبيعية لمثل هذه الدعابة الجنسية هي ان تكون خطوة أولية تمهد للاتصال الجنسي الذي يعد القمة الطبيعية لهذه العلاقة ، فإذا لم تبلغ هذه العلاقة قمتها فإن الفتى والفتاة سوف يفترقان وعواطفهما متوترة ، ووجه الخطر في

---

(١) المراد هنا بالمرأة الأجنبية : أي التي يحل الزواج بها .

هذه المداعبة ان كل خطوة يخطوها الفتى والفتاة في هذا المجال تجعلهما ينزلقان في المحرمات . وكلما تماديا في ذلك ، كان الوقوف والتراجع أعسر منالاً .

وأخطر شيء يهدد الفتى والفتاة في خلواتهما هو تعاطي الخمر ، فلا شك ان شرب الخمر يقلل من قدرة الإنسان على ضبط نفسه ، كما يزيد من رغبته الجنسية، فبعد كأس أو اثنتين يجد الفتى والفتاة نفسيهما قد انزلقا وبدآ يفعلان ما يأسفان على إتيانه .

ولهذه الأخطار التي تنشأ عن اختلاء الجنسين بدون رقابة الأهل يقول النبي ﷺ :

(لا يخلونّ رجل بامرأة إلاّ ومعها ذو محرم[1]، ولا تسافر المرأة إلاّ مع ذي محرم )[2] .

(لا يخلوَنّ رجل بامرأة إلاّ كان ثالثهما الشيطان )[3].

ومن الأمور التي تتساهل فيها النساء : عدم توقيهن الاختلاء بالرجال من أقاربهن أو أقارب أزواجهن من غير محارمهن مع استكمال الزينة وفي غيبة الزوج ، انهن يتساهلن في ذلك بعلة القرابة ، وان في ذلك لأكبر الخطر ، فمخالطة القريب قد تكون أشد خطراً من مخالطة الغريب ، فالغريب بحكم ضعف صلته بالأسرة ينظر إليه بعين الحذر ، والقريب بحكم القرابة لا يقيده شيء من ذلك ، وفي ظل قرابته تتاح له فرص اللقاء والكلام والخلوة أحياناً ، وهذه مسالك الإغواء والافساد .

ولقد احتاط الإسلام للمرأة من الأقارب وجعل النبي ﷺ مخالطة القريب كالموت في خطورتها حين قال :

( إياكم والدخول على النساء ، فقال رجل من الانصار أفرأيت الحمو[4] ، قال : الحمو الموت )[5] .

---

(١) ذو محرم : هو الذي يحرم على المرأة تزوجه كالأب والابن والأخ والجد والعم والخال .
(٢) رواه مسلم . (٣) رواه الترمذي . (٤) الحمو : أخو الزوج وأقاربه كابن العم ونحوه ، وأقارب الزوجة كذلك ممن يحل الزواج بها قبل أن تتزوج . (٥) رواه البخاري .

## الفصل الثالث

# الزنا وأضراره

البغاء وحقارته – التحلل الجنسي يقضي على الحب – الأمراض التناسلية – الأطفال غير الشرعيين .

**البغاء وحقارته**

من اخطر الآفات انتشاراً في عالمنا الحاضر (آفة الزنا) وقد أباحته كثير من القوانين الغربية إذا كان عن رضا – لغير المتزوجين – متذرعين بالحرية الشخصية، وكان من آثار ذلك انتشار البغايا في المدن انتشاراً كبيراً ، وكان المشترعون يعللون بأن البغاء ضروري للأمة كضرورة (البالوعة) في البيت ، فإذا كفت البالوعة عن العمل اصبح الماء آسناً والبيت آسناً له رائحة تزكم الأنوف .

لكن هذا التعليل لا يمكن ان يكفي لتبرير إباحة البغاء ، لأنه لا يصح ان نستخدم بني جلدتنا هذا الاستخدام الحقير ، وقد نفرت النفوس الأبية من البغاء واعترفت بخطئه . وهناك عوامل ساعدت على انتشاره، منها عوامل اقتصادية ومنها وفرة الحروب .

إن أي شخص ذي ضمير حي لابد ان يرى في البغاء أمراً يدعو الى التقزز ، فهو أمر يتنافى مع الخلق الكريم ، لأن فكرة الاتصال بشخص دون معرفة جيدة ثم تحويل هذا الاتصال الذي ينبغي ألا يكون إلا بين زوجين متحابين الى عملية تجارية هي في الواقع أمر مشين تنفر منه النفوس الأبية .

والحق ان الرجل « يحتقر بطبيعته هذا الصنف من النساء ، وهو حتى في حال ولوغه الموقت في هذه المستنقعات لا بد انه مبتعد عنهن وعلى شفتيه وفي

قلبه كلمة واحدة لا يحد شيء من عمقها وقوتها هي : كلمة الاحتقار » [1] .

ومن جهة أخرى فإن البغايا يعشن في تعاسة لا حدّ لها ، وقد اعترفت إحداهن بذلك فقالت :

« والآن وقد أصبحت ساقطة كم أحب ان اقول كلمة الى جميع الفتيات من جنسي : إن الطبيعة خلقت المرأة لتكون عفيفة ، ولكي تبحث عن شخص تحبه بكل كيانها ، وتخلص له الى آخر حدود الإخلاص فلا تسمح بأن يدنس فكرها او جسدها شخص آخر ، لأن المرأة المدنسة هي ذبابة زرقاء تعيش على هامش الحياة ، إن فردوس المرأة هو في حبها الشريف ، فهي إذا فقدت هذا الحب تكون قد فقدت الفردوس ، إن فردوسنا هو ضميرنا ، فإذا خسرناه نكون قد خسرنا كل شيء حتى سعادة اللذة التي يبحث عنها الإنسان ، لأن اللذة لا يمكن ان تكون مقترنة بالنذالة والذل » [2] .

## التحلّل الجنسي يَقضي عَلى الحب

وقد حلت الدعارة السرية في كثير من المدن محل البغاء العلني ، وكانت على شكل تحلل وإباحية .

فالإباحية الجنسية أي العلاقة الجنسية المتغيرة التي يتنقل فيها الشخص من فرد الى آخر إنها وإن كانت لا تنطوي على دفع الثمن إلاّ أنها متقلبة لا تؤدي الى تكوين أية علاقة متينة أو ثابتة ، إن هذا التنقل من شخص الى آخر ينزل بالعلاقة الجنسية الى نفس مستوى اختيار زميل للمشاركة في لعبة ما ، لا ريب ان هذا يقضي على اروع ما في الحب وهو الشعور بالمحبة والثقة المتبادلة ، ذلك الشعور الذي لا يمكن ان ينشأ إلاّ مع وجود نوع من الاستمرار ممثلاً في حياة زوجية مستقرة .

والعلاقة الجنسية خارج نطاق الزوجية تكون عادة في الخفاء ومحاطة بالسريّة ... فقد يخشى الاثنان ما يقوله الجيران عنهما ، أو لعلهما يخشيان من ان يجرّ ذلك الفعل الى طرد أحدهما من وظيفته ، وعلى كل فهناك في العادة من الأسباب ما يدعو الى ستر حبهما وإخفاء أمره عن الغير ، وهذا

---

(١) « نساء خاطئات » ، دي مونتيران . (٢) « نساء خاطئات » ، دي مونتيران .

ما ينتقص كثيراً من روعة تلك العلاقة وبهائها، وعندما يتحابّ شخصان فإنهما لا يرغبان في إخفاء هذه الحقيقة عن سائر الناس، بل انهما على العكس يرغبان في ان يعبّرا عنها في صراحة واخلاص، فما كان الحب لينزوي مستتراً في ركن من الأركان، لإن إخفاءه واحاطته بالتكتم والسرية يفقده كثيراً من أروع ما فيـــه [1].

## الأمراض التناسلية وأخطارها

والزنا بما فيه من الاتصالات الجنسية قد ينقل مرض الزهري ( السفلس ) والسيلان، وهذان المرضان منتشران في العالم الى حد كبير، وهما ينشآن عن ميكروبات حية خاصة تصيب الأجهزة التناسلية وتنتقل بطريق العدوى من شخص الى آخر في أثناء الاتصال الجنسي، هذه هي الطريقة التي ينتقل بها هذان المرضان في معظم الأحوال. وقد رأيت إتماماً للفائدة ان اعرض اضرار كل من هذين المرضين نقلاً عن ( الموسوعة الطبية الحديثة ) ليتبين للقارىء ما يؤدي إليه الزنا من اخطار على الصحة العامة.

### زهري ( سفلس ) Syphilis

للزهري ثلاثة أطوار مختلفة الاعراض :

**الطور الأول :** تصل جراثيم الزهري الى الدم بعد اختراقها الجلد أو الغشاء المخاطي بساعات قليلة، وتنتشر بجميع الجسم بعد اسبوع تقريباً.

وأول علامات الزهري ظهور قرحته المتميزة بعد العدوى بمدة تتراوح بين تسعة أيام وثلاثة اشهر ... وقرحة الزهري صلبة وتظهر على قضيب الرجل أو على فرج المرأة أو في مهبلها، وقد تظهر على الشفتين أو الثدي أو الأصابع او حول الشرج ... وتزول قرحة الزهري فيما بين عشرة أيام واربعين يوماً بغير علاج [2] وقد يؤدي ذلك الى الاعتقـــاد الخاطىء بالشفاء، وقد

---

(١) « التربية الجنسية »، سيرل بيبي.

(٢) ولكن الميكروبات ما زالت حية تتكاثر، ولهذا ينصح الأطباء بأنه إذا بلغت الحماقة بشخص ما فأقدم على الاتصال الجنسي بشخص لا يثق بخلوّه من المرض فيتحتم عليه الإسراع فوراً إلى عيادة طبية للكشف عليه، ولا بد من البدء توّاً في العلاج إذا ظهرت الحاجة إلى ذلك فالشفاء أمر مستطاع بشرط أن يبدأ العلاج بعد الإصابة بزمن وجيز.

لا تظهر قرحة الزهري اطلاقاً او تكون صغيرة فلا يميزها الفاحص .

**الطور الثاني :** يبدأ بعد زوال القرحة بمدة تتراوح بين شهرين وستة اشهر ويستمر سنتين تقريباً ، واول اعراض الزهري في طوره الثاني ظهور طفح على جزء من أجزاء الجسم ثم يغطي سطح الجلد كله ، وكذلك راحتي اليدين وأخمص القدمين وقد يشبه طفح الحصبة ولكنه لا يسبب حكة، ولا يمكن التحقق من انه طفح الزهري إلا بفحص الدم ، وقد تظهر قروح مخاطية بيض في داخل الفم والحلق وحول أعضاء التناسل والشرج ، ومن أعراضه ايضاً صداع وحمى واحساس بالمرض وتألم في العظام والمفاصل ، وقد تسقط خصل من الشعر وتظهر الانيميا ( فقر الدم ) وتتأثر العينان .

والزهري في طوره الثاني مُعْدٍ جداً وينتقل بسهولة ، وهو ينتشر بالتقبيل إذا ظهرت قروح مخاطية على الشفتين أو الفم .

ويتوارى هذا الطور ايضاً بعد مدة تتراوح بين ثلاثة اسابيع واثني عشر اسبوعاً ولكنه قد يعاود المريض .

**الطور الثالث :** هو الطور النهائي او الزهري الكامن ، وقد يظهر بعد زوال الزهري الثانوي مباشرة او بعد سنين طوال تتراوح بين خمس سنوات وخمس عشرة سنة او اكثر وقد لا يشعر به المصاب رغم وجود الجراثيم في داخل جسمه ، وقد يكون فحص الدم سلبياً .

وهذا الطور قليل العدوى ولكنه شديد الخطـورة على المصاب نفسه ، وتغزو الجراثيم جميع خلايا الجسم فتسبب فقـد الإبصار وامراضاً خطيرة بالرئتين والقلب والمخ وجميع الأعضاء الداخلية ، ويصيب الزهري العظام والمفاصل والجلد ، وقد يسبب الزهري قروحاً عميقة بالساقين ، والتهـاباً مزمناً بالعظم وثقباً بالحنك الرخو .

والزهري مميت في طوره الثالث إذا اصاب القلب والجهاز العصبي المركـزي ...

وتسبب إصابة الجهاز العصبي المركزي شللاً قـد يؤدي الى الجنون والموت، وتُشخص إصابة الجهاز العصبي بفحص السائل الشوكي ، ومـن اصاباته العصبية التخلج الحركي حيث يفقد المصاب التوازن » .

## السيـــلان

يتسبب السيلان من جرثومة بكتيرية تسمى: ( جونوكوك ) والسمة المميزة لهذه الجرثومة انها تهاجم الأغشية المخاطية التي تبطن الأعضاء التناسلية والبولية مسببة التهابها وتقيحها ، وفي مكتملي السن يحدث المرض على الدوام تقريباً باقتباسه من شخص مصاب بالعدوى في أثناء المباشرة الجنسية .

وفي بعض الأحيان قد تصيب جراثيم ( الجونوكوك ) أغشية العين مما يترتب عليه العمى ما لم يبادر بالعلاج ، وليس ذلك بالأمر الشائع بين مكتملي السن .

تظهر الأعراض الأولى للسيلان عادة في مدى اسبوع عقب التعرض للعدوى ولكنها قد تستغرق في نشوئها مدة قد تطول الى ثلاثة اسابيع .

وفي الرجال يترتب على حدوث الالتهاب بوجه عام احساس لاذع في أثناء التبول، وخروج صديد او سائل يضرب الى البياض من فتحة القضيب، وإذا تلبثت الحالة بلا علاج فإن خروج الصديد يزداد ويستمر مدة شهرين أو ثلاثة أشهر . وبسريان العدوى الى اغشية أخرى قد تنجم مضاعفات مثل التهاب غدة البروستاتا ، والخصيتين مما قد يؤدي الى العقم .

وإذا ما أصيبت المرأة بعدوى السيلان فقد لا تستشعر ألماً وقد لا تلحظ الأعراض الأولى للمرض . على انها تعاني ألماً في الجزء الأسفل من البطن قد يصطحب وقد لا يصطحب بإحساس لاذع في أثناء التبول او خروج افراز يضرب الى البياض من المهبل ، وإذا ما تركت العدوى تسري فقد تصل الى أعضاء أخرى من جهازها التناسلي[1] فيلتهب المبيضان وقناتا فالوب ومن ذلك ينشأ العقم .

وإذا لم تُكبح عدوى السيلان فقد يتابع سريانها فتؤثر في أجزاء أخرى

(١) يصاب الأولاد بالعمى من أمهاتهم المصابات بمرض السيلان أثناء الولادة عن طريق المهبل ، ففي الهند يوجد ملايين الأطفال المكفوفي البصر انتقلت إليهم العدوى أثناء ولادتهم نتيجة إصابة أمهاتهم بمرض السيلان ، لذا صار من المألوف في كافة البلاد المتمدنة أن يضع الطبيب أو القابلة قطرة خاصة تقتل أي ميكروب قد يكون موجوداً في العين عند الولادة .

من الجسم . ومضاعفات السيلان البعيـــدة المدى قد تتضمن التهاب المثانة والكليتين والمستقيم . وقد يسبب المرض ايضاً التهاب العظام أو قد يهاجـــم المفاصل فيورثها التهاباً أليماً، وإذا ما أمعنت العدوى في السريان فقد تؤدي الى التهاب السحايا أو التهاب البريتون بل قد تفضي الى الوفاة اذا ما تسللت جراثيم المرض الى الدم واستقر في أصمـّة القلب .

ومن الحري بالذكر ان هذا المرض قابل للشفاء التام في مراحله المبكرة ، وأنه إذا ما عولج فوراً على يد اخصائي فإن مضاعفاته المؤلمة والخطرة يمكن توقيهـــا[1] .

## الأطفال غير الشرعيين

وبالإضافة إلى اخطار الإصابة بالأمراض التناسلية فإن الإتصال الجنسي خارج نطاق الزوجية يمكن ان يؤدي الى إنجاب طفل غير شرعي ، وقد يحتاط البعض كي لا يحدث هذا ومع ذلك فالاحتمال قائم دائماً ، وعليه فالمخاطرة موجودة كذلك .

ومن المؤكد ان الطفل غير الشرعي لا يجد سبيله في الحياة ميسّراً هيناً ، بالإضافة الى الوصمة التي تلحقه منذ ولادته ، والصعوبات التي تعترض طريقه في الحياة ، وإن اغلب الناس ذوي المنطق السليم يتفقون في أن الطفل ينبغي ألاّ يقاسي بسبب ما فعله والداه ، ولكن الواقع انه حتى ولو لم يضار الطفل من جراء نظرة المجتمع اليه ، وحتى لو أرسل الى مؤسسة ممتازة لتنشئته فإنه يظل بعد هذا يفتقد كثيراً مما هو بحاجة اليه ، فالطفل بحاجة الى ان يكون له بيت وان يكون له والدان يتطلع إليهما لحمـــايته وارشاده ... ولكن الطفل غير الشرعي لا يجد هذا السند المكين لحياته[2] .

وقد أدت موجة الفساد في العالم وعدم وجود قوانين صارمة تردع عن الزنا الى ولادة الملايين من الأطفال غير الشرعيين في اميركا واوروبا ، وهم بافتقادهم والديهم نشأوا عرضة للعقد النفسية التي سببت انحراف الكثير منهم نحو الإجـــرام .

---

(١) Modern Medical Encyclopedia تأليف نخبة من علماء مؤسسة : Golden Press

(٢) « التربية الجنسية » ، سيرل بيبي .

## الفَصْلُ الرَّابع

# خَطَايا الجِنس

نظرة الإسلام إلى الزنا – عقوبة الزنا – المحافظة على الأعراض – إشاعة الفحشاء وإثمها الكبير .

### نظرة الإسلام إلى الزنا

والزنا في الإسلام من أهم المحرمات والكبائر التي نهى الله عنها، لذا خاطب الله المؤمنين بقوله :

﴿ ولا تقربوا الزنا إنَّه كان فَاحِشَةً وَسَاءَ سبيلا ﴾ الاسراء : ٣٢ .

وقد وصف الله الزنا بأنه فاحشة شديدة القبح، وأنه ذلك الطريق السيء، فبئس من يسلكه .

وإن في تصدير الآية بـ( لا ) الناهية ثم إتباعها في معرض التعليل بوصفين مشينين فيه زجر للنفوس وردع شديد عن الاقتراب من هذه الفاحشة فضلاً عن الوقوع فيها .

كما قرن الله الزنا بالشرك بالله وقتل النفس، وأوعد عليه بالعذاب الشديد يوم القيامة :

﴿ والذين لا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إلهاً آخرَ ولا يَقْتُلُونَ النفس التي حرَّم الله إلاّ بالحق ولا يَزْنُونَ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أثاماً[1]، يُضَاعَفْ لَهُ العَذَابُ يَوْمَ القيامة وَيَخْلُدْ فيه مُهاناً . إلاّ من تاب وآمن وَعَمِلَ عَمَلاً صَالحاً فأولئك يبدّل الله سَيِّئاتِهم حَسَنَاتٍ وكَانَ الله غفوراً رحيماً ﴾ الفرقان : ٦٨ — ٧٠ .

(١) يلقى أثاماً : يلقى فيها شراً وعذاباً .

والنبي ﷺ يحذر من الزنا بقوله :

( يا معشر الناس ، اتقوا الزنا فإن فيه ست خصال : ثلاثاً في الدنيا وثلاثاً في الآخرة ، أما التي في الدنيا : فيذهب البهاء ، ويورث الفقر ، وينقص العمر ، وأما التي في الآخرة : فسخط الله ، وسوء الحساب ، وعذاب النـــار ) [1] .

فقول النبي : ( يذهب البهاء ) يشير الى حقيقة ملموسة وهي : ان الزنا يحرم صاحبه من صفاء النفس وجمال الروح اللذين هما مصدر الطمأنينة والســـعادة .

وقوله : ( يورث الفقر ) يدل على ما يضيعه الاشتغال باللذات المحرمة من مواهب وطاقات الى جانب ما ينفق في هذا السبيل من أموال غالباً ما تكون باهظة تؤدي بالزاني الى الفقر .

وأمّا قوله : ( ينقص العمر ) فهو يعني ضياع صحة الزاني وانهاك بدنه باللذات مما يستنفد نشاطه الحيوي ويعرضه للأمراض الزهرية والقلب وغيرها مما يجعله عرضة للموت الباكر .

وأقبح الزنا هو : الزنا بزوجة الجار ، فقد رُوي عن ابن مسعود انه قال : ( سألت رسول الله : أي الذنب اعظم عند الله ؟ قال : ان تجعل لله ندّاً [2] وهو خلقك ، قُلتُ : ثم أيٌّ ؟ قال : ان تقتل ولدك من أجل ان يطعم معك ، قُلتُ ثم أي ؟ قال : ان تُزاني [3] حليلة جارك ) [4] والحليلة هي الزوجة .

والزنا والإيمان لا يجتمعان على صعيد واحد ، لأن الإيمان الصحيح يحول بين الإنسان ومعصية ربه ، يقول النبي ﷺ :

( لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ) [5] .

---

(١) ذكره السيوطي بنحوه في الجامع الكبير ورواه الخرائطي في « مساوىء الأخلاق » ، والبيهقي في الشعب . (٢) نداً : شريكاً . (٣) تزاني : أي تزني بها برضاها ، وذلك يتضمن الزنا وإفسادها على زوجها واستمالة قلبها إلى الزاني . والزنا عمل قبيح ، وهو مع امرأة الجار أشد قبحاً ، وأعظم جرماً ، لأن الجار يتوقع من جاره الأمان والمحافظة على عرضه .
(٤) رواه البخاري ومسلم . (٥) رواه البخاري ومسلم .

والزنا يؤدي الى سخط الله ، يقول النبي ﷺ :

( أربعة يبغضهم الله : البيّاع الحلاّف ، والفقير المختال ، والشيخ[١] الزاني ، والإمام الجائر )[٢] .

كما ان الزنا يؤدي الى عذاب الله في الدنيا ، يقول النبي :

( لا تزال أمتي بخير ما لم يفشُ فيهم الزنا، فإذا فشا فيهم الزنا فأوشك ان يعمهم الله بعذاب )[٣] .

والزنا له مراتب في الإثم فهو بأجنبية[٤] لا زوج لها عظيم ، وأعظم منه بأجنبية لها زوج ، واعظم منه بزوجة الجار ، واعظم منه بمحرم[٥] ، وزنا الثيب أقبح من البكر بدليل اختلاف حديهما ( أي عقوبتهما ) وزنا الشيخ أقبح من زنا الشاب لكمال عقل الشيخ ، وزنا العالم أقبح من الجاهل .

**عقوبة الزنا**

الزجر الشديد الذي ورد ذكره لا يؤثر في أصحاب النفوس المريضة الذين تركوا أنفسهم على اهوائها، فاستحلوا كل قبيح وجاهروا بالمعصية بكل وقاحة، لا يردعهم في ذلك دين ولا ضمير ، لهؤلاء المنحرفين شرع الإسلام العقوبة الاليمة ليطهر المجتمع من مفاسدهم ، قال تعالى :

﴿ الزَّانيةُ والزاني فاجلدوا كُلَّ وَاحد منهما مائَةَ جَلْدَةَ ، ولا تَأْخُذْكم بهما رَأفَةٌ في دين الله إن كنتم تؤمنـــون بالله واليوم الآخر ، وليشهَدْ عَذابهما طائفة مِنَ المؤمنين ﴾ النور : ٢ .

فهذه الآية تبين عقوبة الزانيين، وتدعو الى عدم الرأفة بهما تراخياً في دين الله وحقه ، وتدعو الى إقامة هذه العقوبة في مشهد عام تحضره طائفة من المؤمنين ليكون ذلك أوجع في نفوس الزناة وعبرة لغيرهما .

ثم يزيد القرآن في وصف بشاعة الزنا في تتمة الآية السابقة :

---

(١) الشيخ : أي المتقدم في العمر . (٢) رواه النسائي . (٣) رواه الإمام أحمد .
(٤) أجنبية : أي من يجوز له الزواج بها . (٥) محرم : أي من يحرم عليه الزواج بها لشدة القربى .

﴿ الزاني لا يَنْكِـحُ إلاّ زَانيةً أو مُشركة ، والزانية لا ينكحُهَـا إلاّ زَانٍ أو مُشْرِكٌ وحُرِّم ذَلِكَ عَلى المؤمنين ﴾ النور : ٣ .

فالذين يرتكبون هذه الفعلة لا يرتكبونها وهم مؤمنون حقّاً ، وبعد ارتكابها لا ترتضي النفس المؤمنة ان ترتبط مع نفس خرجت عن واجبات الايمان بتلك المعصية البشعة ، لأنها تنفر من هذا الرباط وتشمئز ، حتى لقد ذهب الإمام أحمد الى تحريم الزواج بين زان وعفيفة ، وبين عفيف وزانية إلاّ ان تقع التوبة التي تطهر من ذلك الدنس .

فالإسلام أراد محاربة العلاقات الجنسية الآثمة التي لا تهدف إلى اقامة بيت وإنشاء حياة مشتركة ، لأنه يريد ان يقيم العلاقات الجنسية المباحة على اساس من المشاعر الإنسانية الراقية التي تجعل من التقاء جسدين : إلتقاء نفسين وقلبين وروحين تربط بينهما حياة مشتركة وآمال مشتركة ، ومستقبل مشترك يلتقي في الذرية الصالحة المرتقبة ، من هنا شدّد الإسلام في عقوبة الزنا لأنه يقضي على كل هذه المعاني .

بالإضافة الى ما يثيره الزنا من مشاكل اجتماعية خطيرة : كاختلاط الأنساب وإثارة الاحقاد ، وتهديم البيوت الآمنة ، علماً بأن كل واحد من هذه الأسباب يكفي لتشديد العقوبة كما شرعها الإسلام .

**شروط إقامة الحد** : فإذا وقعت جريمة الزنا ، فالإسلام يدرأ [1] الحد ( أي العقوبة ) ما كان هناك مخرج منه ، لقول النبي ﷺ :

( إدرأوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم ، فإن كان له مخرج فخلّوا سبيله ، فإن الإمام ان يُخطىء في العفو خير من أن يُخطىء في العقوبة )[2]

لذلك أوجب الإسلام لإقرار عقوبة الزنا شهادة أربعة رجال عدول يقرّون برؤية الفعل، وقد يظن ان هذه العقوبة وهمية لا تردع احداً لأنها غير قابلة للتطبيق ، ولكن الإسلام لا يقصد في تشريعه العقوبة ذاتها بل الوقاية من الاسباب الدافعة الى الجريمة ، ولا يعاقب عليها إلاّ العاهرين الذين يمارسون

(١) درأ الحد : بحث عن سبب مخفف للعقوبة .   (٢) أخرجه الترمذي والبيهقي .

الجنس جماعياً أو شبه علني[1] فيراها الشهود او تقع العقوبة على المعترفين بها عند الحاكم ، والذين يريدون ان يتطهروا من إثمهم كما وقع ذلك في أيام النبي ﷺ .

فإذا شهد أربعة شهود عدول فقد وجب إقامة الحد على الزانيين بدون رأفة ، فالرأفة بهما هي قسوة على الجماعة وعلى الآداب الإنسانية .

والجلد هو حدّ ( أي عقوبة ) البكر من الرجال والنساء وهو ( الذي لم يحصن بالزواج ) ويوقع عليه متى كان : مسلماً بالغاً عاقلاً حرّاً ، فأما المحصن وهو ( من سبق له الزواج الكامل الصحيح ) فعقوبته الرجم حتى المـــوت .

## المحافظة على الأعراض

والتشديد في عقوبة الزنا لا يغني وحده في صيانة الجماعة من الفساد ما لم تسبقه ضمانات وقائية منها : محاربة الإشاعات الكاذبة ، ولجم ألسنة السوء عن إطلاق التهم الباطلة، ومعاقبة الذين يقذفون العفيفات بالزنا ويتهمونهن بذلك بدون دليل ثابت ، وفي ذلك يقول تعالى :

﴿ والذين يَرمُون المُحْصَنَاتِ ثُمَّ لم يأتوا بأرْبَعَةِ شُهَـــداء فاجْلدُوهم ثَمانينَ جَلْدَةَ ، ولا تَقْبَلوا لَهُم شَهَادَةً أبداً ، وَأولئك هُمُ الفاسقون ﴾ النور : ٤ .

فترك الألسنة تلقي التهم على العفيفات بدون دليل قاطع يترك المجال فسيحاً لكل من شاء ان يقذف بريئاً او بريئة بتلك التهمة النكراء فتصبح الجماعة وتمسي وإذا اعراضها مطعونة، وسمعتها ملوثة ، وكل زوج فيها يخامره الشك في زوجته عند أية شبهة ، وكل بيت مهدّد بالانهيار من جراء كذبة يطلقها ذو غرض مما يسبب حدوث مشاكل خطيرة في المجتمع كثيراً ما تنتهي الى وقوع جنايات قد تصيب كثيراً من الأبرياء .

---

(١) هذا ما يحصل الآن في أمريكا وبعض الدول الأوروبية ، ولقد صورت ذلك بعض الأفلام السينمائية الغربية التي عرضت أخيراً في بيروت والتي حذفت المراقبة الكثير من مشاهد العهر فيها .

كما ان شيوع التهم في الجماعة يوحي الى النفوس المتحرجة من ارتكاب الزنا بأن جو الجماعة كله ملوّث فيقدم عليه من يتحرجه وتهون في نفسه إتيانه .

فصيانة للأعراض من التهجم الباطل ، وحماية لأصحابها من الآلام التي يقاسونها بسبب هذا الافتراء ، شدّد القرآن في عقوبة القذف ، فجعلها قريبة من عقوبة الزنا وهي : ثمانون جلدة مع اسقاط حق الشهادة، ووصم صاحبها بالفسق ، والعقوبة الأولى جسدية ، والثانية أدبية ، وكفى مهانة ان يبطل قول القاذف فلا يؤخذ له بشهادة ، ولا يوثق له بكلام .

هذا كله إذا لم يأت القاذف بأربعة شهداء يشهدون برؤية الفعل ، أو بثلاثة معه إن كان قد رآه بنفسه ، فيكون بذلك قوله صحيحاً ، ويوقّع حد الزنا على صاحب الفعلة .

هذا وإن القرآن جعل قذف العفيفات بالزنا من كبائر الإثم التي يستحق فاعلها الطرد من رحمة الله والعذاب الشديد في الآخرة ، قال تعالى :

﴿ إنّ الذين يرمون المُحْصنَاتِ الغَافِلاتِ[1] المؤمنات لُعنوا في الدّنيا والآخرة ، ولهم عذاب عظيم . يوم تَشْهَدُ عليهم ألْسِنَتُهُمْ وأيديهم وَأَرْجُلُهُمْ بماكانوا يعملون . يومئذ يوفّيهم اللهُ دينَهُمُ الحَقّ وَيَعْلَمون أنّ الله هو الحقّ المبين ﴾ النور : ٢٣ — ٢٥ .

كما ان النبي ﷺ اعتبر قذف المحصنات من كبائر الإثم فقد قال :

( اجتنبوا السبع الموبقات[2] قالوا يا رسول الله : وما هن ؟ قال : الشركُ بالله ، والسِحْرُ ، وقتل النفس التي حرّم الله قتلها إلاّ بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولّي يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات )[3] .

---

(١) الغافلات : أي عن الفاحشة ، أي التاركات لما نسب إليهن .

(٢) الموبقات : المهلكات .

(٣) رواه البخاري ومسلم .

## إشاعة الفحشاء وإثمها الكبير

وهناك أناس مرضى النفوس لذّتهم في الحياة تشويه سمعة الغير ، وإلصاق التهم الباطلة بهم ، إما بداعي الحسد ، وإما بقصد تحطيمهم والانتقام منهم لغايات خاصة ، هؤلاء حذرهم الله بقوله :

﴿ إنَّ الذين يُحبُّون أنْ تَشيعَ الفَاحِشَةُ في الذين آمنوا لهم عَذَابٌ أليمٌ في الدنيا والآخرة ﴾ النور : ١٩ .

إن هذه الآية لأشد ما تنطبق على الصحف والمجلات التي تنشر الفضائح سافرة على مرأى الأمة معتمدة على محاضر الشرطة التي لا تزال تُهماً قابلة للنقض لم يُسمع فيها دفاع ، ينشرونها على أنها حقائق ثابتة غير مقيمين لأعراض الناس وزناً ، ولا حاسبين لكرامة المجتمع حساباً .

وإن نشر الفضائح وإن كانت ثابتة شأنه ان يجعل الألسنة تلوك في أسماء المتهمين فيشتهرون بذلك أمام الناس فتذهب مروءتهم، وإذا ذهبت المروءة من أناس هانت على أنفسهم الرذيلة ، وإن الناس يمتنعون عن مطاوعة النفس في ميلها الى الرذيلة خشية نقد الناس ولومهم ، فإذا فقدوا الاعتبار في نظر الناس فقد ذهب الحاجز الحصين الذي يحول بينهم وبين ارتكاب الفواحش فيندفعون فيها ، وبذلك تغلق أبواب التوبة عليهم .

فالإسلام يريد ان تُعلن الفضيلة وتنتشر في الناس، وتستتر الرذيلة وتخفى عن العيون والأقوال .

والنبي ﷺ ذكر ان من يرتكب المعصية ويعلنها ويتحدث بها لا يُعفى من عقاب الله فيقول :

(كل أمّتي مُعافى[1] إلاّ المجاهرين[2] ، وإن من المجاهرة ان يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يُصبح وقد ستره الله تعالى فيقول يا فلان عَمِلْتُ البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره ربه ، ويُصبح يكشف سِتْرَ الله عنه )[3]

---

(١) معافى : يعفى عنه . (٢) المجاهرين : أي المعلنين للمعاصي .
(٣) رواه البخاري ومسلم .

# الفصل الخامس

# حدود العلاقات الجنسية وآدابها

محرمات الزواج منهن – الشذوذ الجنسي – المحافظة على الأسرار الزوجية – النهي عن المعاشرة الزوجية أثناء الحيض .

العلاقة الجنسية والمعاشرة الزوجية ينبغي ان تقام بين ذكر وأنثى متباعدين في القرابة حتى تتوفر الميول الطبيعية . فالفطرة السليمة تنفر ان تقيم هذه المعاشرة مع ذوي القربى لأن كثيراً ما تكون علاقة القربى مبنية على عاطفة التكريم ، لذلك فقد راعى الاسلام هذه النواحي وحرّم أشد التحريم إقامة علاقات زوجية بين شديدي القرابة ، وإليك بيانها .

## محرّمات الزواج منهنّ

حرّم الإسلام أشد التحريم الزواج بفئات من النساء وجعله من كبائر الإثم . وفي طليعة النساء المحرمات زوجة الأب ، جاء في القرآن :

﴿ ولا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آباؤكم مِنَ النِّساء إلاّ مَا قَدْ سَلَفَ[1] إنَّهُ كَانَ فاحِشَةً وَمَقْتاً وَسَاءَ سبيلاً ﴾ النساء : ٢٢ .

فالله سبحانه وصف هذا الفعل بأنه (فاحشة) ، لأن زوجة الأب تشبه الأم فكان الاتصال بها من أفحش الفواحش ، كما وصف الله هذا الفعل أيضاً بأنه ( مقت ) وهو عبارة عن بغض مقرون باستحقار ، وهو من الله في حق فاعله يدل على غاية الخزي والخسار ، ثم وصفه الله بقوله : (وساء سبيلا ) أي بئس ذلك الطريق المذموم الذي يسلكه فاعله .

---

(١) إلا ما قد سلف : أي ما حصل قبل الإسلام ، لا يؤاخذ المسلم عليه .

ثم يتابع القرآن ذكر المحرمات بقوله تعالى :

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ[1] وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ[2] اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ[3] مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ، وَحَلَائِلُ[4] أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ النساء : ٢٣.

قد تستهين بعض المجتمعات في إقامة علاقة جنسية ببعض هؤلاء المنصوص عليهن ولكن الفطرة السليمة تستفظع هذا العمل وتستهجنه، فما ذكره القرآن منهن هو ما تربطه بالرجل صلة من القرابة الشديدة التي لا تميل إليها الغريزة الجنسية ولا تصلح لإنجاب ذرية سليمة من العيوب .

والشريعة الإسلامية لو لم تجىء بقطع الطمع بالرغبة الجنسية بهؤلاء الأقارب لكان الخطر متوقعاً بين الرجل وبينهن لوجود الخلوة وشدة الاختلاط .

وإن بين الرجل وبين هؤلاء الاقارب عاطفة قائمة على الاحترام والحنو والتكريم، وتعريض مثل هذه العاطفة أو الصلة للزواج مع ما يمكن ان يحدث فيها من شجار وخلاف ونزاع يعرض هذه القرابات للتباعد وانفصام العائلة .

وفي قوله تعالى في الآية ﴿ وأمهاتكم اللاتي ارضعنكم وأخواتكم من الرضاعة ﴾ فقد سمى الله المرضعة أماً وبنتها أختاً له فأعلمنا ان جهة الرضاعة كجهة النسب، ولهذا يقول النبي ﷺ : ( إن الله حرّم من الرضاع ما حرّم من النسب )[5] .

أما كمية الرضاعة فبعض الفقهاء يجعل التحريم واقعاً بقليل من الرضاعة ،

---

(١) أخواتكم : سواء كن شقيقات أو كن إخوة من الأم وحدها أو الأب وحده .
(٢) ربائبكم : ربيبة الرجل : ابنة امرأته . (٣) اللاتي في حجوركم : أي في كنفكم ورعايتكم ، فبنت زوجته في مكان بنته لأن زوجته كنفسه ففرعها كفرعه .
(٤) حلائل : أزواج . (٥) رواه الترمذي .

والراجح ان التحريم لا يثبت بأقل من خمس رضعات مشبعات[١] ، وقد اشترط لهذا الرضاع ان يكون في الصغر قبل تمام سنتين للرضيع حيث يكون اللبن فيه الغذاء الأول . فلبن الأم يساهم في إنبات لحم الرضيع وتكوين عظمه وربط عاطفة بنوة وأمومة بينها وبينه .

وفي الآية تحريم الجمع بين الأختين ، ذلك ان اخت الزوجة إن كانت تصلح للزوجية أصلاً إلاّ ان الجمع بين الأختين يحدث الغيرة المتوقعة بين الضرتين عادة مما يؤدي الى تأجيج نار الحقد بين الأختين وإثارة النزاع والشقاق وقطع صلة الأرحام ، ومثل الجمع بين الأختين حرم الإسلام الجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها .

## الشذوذ الجنسي

ومظهره في اللواط ، فاللواط هو عمل جنسي غير طبيعي لأنه اتصال الذكر بالذكر جنسياً .

ومن أسباب اللواط عوامل اجتماعية وعوامل نفسية ووراثية .

فالعلاقة الجنسية لها قدسيتها ، ولا تكون في وضعها الصحيح إلاّ في التقاء الذكر بالأنثى ، تلك الفطرة التي أودعها الله في هذه الأرض على جميع الكائنات الحية ، فالخروج عنها هو خروج عن الفطرة وعن قانون الحياة برمته.

فالعطش الجنسي لا يرويه إلاّ التقاء الرجل بالمرأة عن طريق الزواج ، فانصراف أحدهما عن الآخر هو جناية في حقه لا تغتفر ، وقضاء على الأسرة التي هي نواة المجتمع الصالح .

فاللواط أمر بشع تتقزز منه النفوس الأبية الطاهرة ، ولا يقترفه إلاّ من فقد إنسانيته ، وأصبح كالوحش الضاري لا يدري ما يفعل وما يقترفه من إثم على النوع الإنساني برمته ، من هنا حارب الإسلام اللواط ، واجتث أصوله بأقصى العقوبات لما فيه من جناية على قدسيّة الجنس والمرأة والأسرة ، فقال النبي ﷺ :

( من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به ) [٢] .

---

(١) ويلخص الفقهاء المحرمات بالرضاع بتحريم الرضيع وفروعه على المرضعة وعلى زوجها وفروعها وأصولها وحواشيها .

(٢) أخرجه الخمسة إلا النسائي .

وقد ذكر القرآن قصة قوم نبي الله لوط الذين انتشرت فيهم هذه الفاحشة، فحذرهم نبيهم فلم يرعووا عمّا هم فيه ، فأرسل الله ملائكته فجعلوا عالي القرية ــ التي كانوا يسكنونها ــ سافلها ، وأمطر الله عليهم زيادة في عذابهم حجارة متتابعة محرقة ، قال تعالى :

﴿ فَلَمَّا جاء أَمْرُنَا[1] جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا، وأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ . مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظالمين بِبَعيد ﴾ هود : ٨٢ ، ٨٣.

فالقرآن يقول بأن العذاب ليس ببعيد عن أي قوم يفعلون فعلهم ، فلتعتبر أية أمة تبيح اللواط ، ولتنتظر عذاب الله الذي أوعد به .

وقد ورد عن النبي ﷺ قوله : (لعن الله من عَمِلَ عَمَلَ قوم لوط )[2] وردَّدها ثلاثاً .

وقال النبي ايضاً : (إن اخوف ما اخاف على أمتي عمل قوم لوط )[3]

## المحافَظة على الأسرار الزوجية

والإسلام يعتبر العلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة عن طريق الزواج شيئاً محترماً له مكانته وله اعتباره ، فيجب ان لا يفرط فيها احدهما بحيث يزعج الآخر ولا ان يفشي سرّها لأحد ، يقول النبي ﷺ :

(إن من شرّ الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يُفضي الى امرأته وتُفضي اليه ثم ينشر سرّها )[4] .

## النهي عن المعاشرة الزوجية أيام الحيض

وللمحافظة على الاتصال الجنسي من كل ضرر قد يحصل لأحد الزوجين سواء من الناحية الصحية أو النفسية فقد حرّم الإسلام وطأ الزوجة أيام الحيض،

---

(١) أمرنا : أي أمر الله بالعذاب .
(٢) رواه الإمام أحمد .
(٣) رواه ابن ماجة والترمذي .
(٤) رواه مسلم .

قال تعـــالى :

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ المحيضِ قُل هُوَ أذىً ، فاعتزلوا النِّسَاء في المحيض، ولا تَقْرَبُوهُنَّ حتى يَطْهُرن ، فإذا تَطَهَّرْنَ فَأتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أمَرَكُمُ الله ، إن الله يُحبُّ التوابين ويحب المتطهرين ﴾ البقرة : ٢٢٢ .

هذه الآية تمنع الرجال من مباشرة نسائهم أثناء حدوث الحيض بعد أن وصفته بأنه ( أذى )، والأذى في هذه الآية لفظ يحتمل معنيين : أذى: بمعنى ايذاء وضرر ، وأذى : بمعنى قذر تعافه النفس .

والوطء أثناء فترة الحيض فيه هذان النوعان من الأذى لكل من المرأة والرجل ، فهو يسبب للمرأة زيادة في احتقان جهازها التناسلي ، وقد ينشأ عن ذلك آلام أو مضاعفات : كنزف دموي ، أو اضطراب في دورة الحيض ، أو التهاب بالأعضاء التناسليـــة ، فضلاً عن ذلك إحساس المرأة بالألم إذا ما بوشرت أثناء الحيض نظراً لما تعانيه من احتقان بأعضائها التناسلية مما يسبب لها إرهاقاً عصبياً ، إذ ان اعصابها تكون حينئذ مرهقة ، كما ان رغبتها للمباشرة الجنسية تكون خاملة راكدة في هذه الفترة بسبب حدوث شيء من الاضطراب في افراز الهرمونات الداخلية لبعض الغدد الصماء، وهذا من شأنه ان يولّد في نفس المرأة حالة جفاء نفسي بالنسبة للرجل، فترى فيه حيواناً نهماً لا يكترث بشعورها ولا يحس بألمها ، ولا يبالي بتهيئة اسباب الراحة اللازمة لها في هذه الفترة الحـــرجة .

وليس ( الأذى ) الذي يلحق بالرجل بأقل مما يلحق بالمرأة إذا ما اتاها في أثناء الحيض ، إذ قد يُصاب بالتهاب صديدي بمجرى البول نتيجة لانتقال بعض الجراثيم المتأقلمة في جهاز المرأة التناسلي ، وناهيك عما ينتاب الرجل من شعور عميق بالاشمئزاز الذي قد يسبب له عقدة نفسية تؤثر على رغبتـــه الجنسية .

لهذه الأسباب أمر الله باعتزال الزوجات في المحيض ، وحرم غشيانهن حتى يطهرن بانقطاع دم الحيض، ثم لا يقربهن الأزواج إلا بعد الاغتسال كمالاً في النظافة كما تشير الآية السابقة :

﴿ ولا تقربوهن حتى يَطْهُرنَ فإذا تَطَهَّرْنَ فأتوهن مِنْ حَيْثُ أمَرَكُمُ الله ﴾ .

# الباب الرابع

# خطايانا

# في العائلة

- عقوق الوالدين
- قطع الرحم (هجر الاقارب)

# عقوق الوالدين

عقوق الوالدين هو : ايذاؤهما بأي نوع من الأذى قلّ أو كثر، أو مخالفتهما فيما يأمران به أو ينهيان عنه بشرط انتفاء المعصية .

وعقوق الوالدين من كبائر الإثم التي حذرنا منها النبي ﷺ بقوله :

(ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً ، قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وكان متكئاً فجلس فقال : ألا وقول الزور ، وشهادة الزور ، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت )[1] .

فمن مظاهر العقوق ان يعمد الأبناء الى الاعتداء البدني على الوالدين ، أو توجيه الشتائم إليهما ، أو تحميلهما فوق ما يطيقان في مختلف نواحي الحياة كمطالبتهما بالمال باستمرار مع علمهم بعجزهما عن إجابة مطلبهم ، واللجوء الى وسائل التهديد والوعيد .

ومن مظاهر العقوق : عدم رعاية الابن الغني لأبويه الفقيرين المحتاجين لرعايته وعنايته ، وعدم مساعدته لهما مادياً بالرغم من يسره .

ومن مظاهر العقوق : تبرّؤ الابن من والديه ، وهجره لهما ، فتراه يسكن بعيداً عنهما ، ويرفض زيارتهما ، وهذا يحدث عندما يرتفع الابن اجتماعياً فجأة ويجد نفسه في طبقة اجتماعية تعلو على طبقة والديه .

ومن العقوق الذي حذرنا منه النبي التسبب في سب الوالدين، فقد قال ﷺ :

(من أكبر الكبائر ان يلعن الرجل والديه ، قيل : يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه ؟ قال : يسب ابا الرجل فيسب الرجل أباه )[2] .

أي ان ذلك يكون بأن يسب شخص أبا شخص آخر فيعمد هذا المسبوب الى الرد على من سبه بسب أمه وأبيه ، ومعنى الإساءة والعقوق في ذلك ظاهرة

---

(١) رواه البخاري ومسلم .     (٢) رواه البخاري ومسلم .

فهي استهتار بكرامة الوالدين وتعريض اسمهما للزراية والامتهان ، وهما اللذان احاطاه في صغره بكل ألوان الرعاية والعناية .

فسمعة الوالدين أمانة بين يدي الأبناء ، والسمعة في نظر كثير من الآباء أغلى من الحياة نفسها ، فيجب عدم التفريط بها والتسبب في جرحها وايلامها ، بل يجب المحافظة عليها كالمحافظة على الحياة نفسها .

وإذا ذكرنا عقوق الوالدين ومظاهره ، فإن الإسلام من جهة أخرى قد شدّد على الوصية بالإحسان الى الوالدين بما لا مزيد عليه ، ويكفي دليلاً على أهمية ذلك ان الوصية بالوالدين في القرآن كانت دائماً مقرونة بعبادة الله وشكره ، قال سبحانه :

﴿ واعبدوا الله ولا تُشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ﴾ النساء : ٣٦ .

﴿ أنِ اشْكُرْ لي وَلِوالِدَيْكَ إليَّ المصير ﴾ لقمان : ١٤ .

فكما أن الإنسان عليه واجب الشكر لخالقه المنعم عليه بنعمه التي لا تحصى ، كذلك على الانسان واجب الشكر لوالديه لِمَا لهما من الفضل العظيم عليه في تنشئته وتربيته .

وقد أشار ابن عباس رضي الله عنه الى معنى عميق في فهمه للقرآن فقال: ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث لا تقبل منها واحدة بغير قرينتها :

احداها ، قوله تعالى : ﴿ واطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾ .

فمن أطاع الله ولم يطع رسوله لم يُقبل منه .

والثانية ، قوله تعالى : ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ .

فمن صلى ولم يزك لم يقبل منه .

والثالثة : قوله تعالى : ﴿ ان اشكر لي ولوالديك إليَّ المصير ﴾ .

فمن شكر الله ولم يشكر والديه لم يُقبل منه ، ولذا قال النبي ﷺ :

( رضا الله في رضا الوالدين وسخط الله في سخط الوالدين )[1] .

ومن أروع الوصايا التي تحدّد آداب السلوك مع الوالدين ما جاء في القرآن:

---

(١) رواه ابن حبان والحاكم .

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاه وبالوالدين إحسَاناً ، إمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الكِبَرَ أحَدُهُما أو كِلاهُمَا فلا تَقُلْ لهما أُفٍ ولا تَنْهَرْهُما وقُلْ لهما قولاً كريما . واخفض لهما جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرحمة وقُلْ ربِّ ارحمهما كما ربّياني صغيرا ﴾ الاسراء : ٢٣ ، ٢٤ .

أمر الله تعالى هنا بالإحسان إلى الوالدين ، وهو البر والعطف والتودد اليهما ، وايثار رضاهما ، ثم أمر الله تعالى بجملة أمور يجب مراعاتها معهما ولا سيما عند بلوغهما الكبر ، لأن كبير السن يصبح بالغ الحس والتأثر لأقل هفوة تصدر من الغير نحوه ، وقد يصيبه الخرف فتصدر منه أفعال تستدعي الضيق من الغير ، ولكن مع هذا كله نهى الله الولد ذكراً أم انثى ان يقول لوالديه ( أف ) إذ هي كناية عن الإيذاء بأي نوع كان حتى بأقل أنواعه ، كما نهاه ان ينهرهما : أي يزجرهما ويصيح بهما ، ثم أمر الله ان يُقال لهما القول الكريم : أي الكلام الليّن اللطيف المشتمل على العطف الموافق لمرادهما وميلهما ، ثم أمر الله الولد أن يخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وذلك بأن لا يكلمهما إلاّ مع الاستكانة والذل والخضوع وإظهار ذلك لهما ، واحتمال ما يصدر منهما ، ويريهما أنه في غاية التقصير في حقهما ، وبعد ذلك طلب الله منه ان يدعو لهما بالرحمة ليرد في ذلك بعض الجميل والمعروف لهما .

وقد سأل رجل النبي ﷺ فقال: ( يا رسول الله، هل بقي من برّ أبويّ شيء أبرّهما به بعد موتهما ؟ قال: نعم، الصلاة[1] عليهما، وانفاذ عهدهما من بعدهما ، وصلة الرحم التي لا توصل إلاّ بهما ، وإكرام صديقهما )[2] .

وقد بيّن النبي ﷺ في وصاياه فضيلة برّ الوالدين فقال : ( من سرّه ان يُمدّ له في عمره ويزاد في رزقه فليبرّ والديه وليصل رحمه )[3] .

ورُوي عن ابن مسعود قال: ( سألت رسول الله أي العمل أحب الى الله ؟ قال : الصلاة لوقتها ، قلت ثم أيّ؟ قال : برّ الوالدين ، قلت : ثم أيّ ؟ قال الجهاد في سبيل الله )[4] .

---

(١) الصلاة عليهما : أي الدعاء والاستغفار لهما . (٢) رواه أبو داود وابن ماجة .
(٣) رواه الإمام أحمد . (٤) رواه البخاري ومسلم .

وقد خصّ الإسلام الأمّ بمزيد عناية لأن فضلها أعظم وشفقتها أوفر ، وعناءها اكبر ، وذلك لما قاسته من حمل ، وطلق ، وولادة ، ورضاع ، وسهر ليل ، وتلطخ بالقذر ، وقد أشار القرآن الى بعض ما قاسته من آلام بقوله تعـــالى :

﴿ ووصّينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته امه كُرهاً ووضعته كُرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً ﴾ الاحقاف : ١٥.

ورُوي ان رجلاً جاء الى النبي فقال : ( يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال أمك ، قال ثُمَّ من ؟ قال أمك ، قال ثُمَّ من ؟ قال أمك . قال ثمّ من ؟ قال ثم أبوك )[١] .

كرّر النبي الوصية بالأم ثلاثاً إشارة الى ان الأم تستحق على ولدها النصيب الأوفر منْ البرّ .

والنبي ﷺ اوصى بالأب فقد جاء رجل الى النبي ﷺ فقال : ( إن ابي يجتاح[٢] مالي ، قال : أنت ومالك لأبيك ، إن اولادكم من أطيب كسبكم فكلوا من أموالكم )[٣] .

وقال النبي ﷺ أيضاً :

( إن من اطيب ما أكل الرجل من كسبه ، وولده من كسبه )[٤] .

---

(١) رواه البخاري ومسلم . (٢) اجتاح : أهلك . (٣) رواه ابن مـاجة .
(٤) رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة .

# قطع الرحم (هجر الأقارب)

لا يشعر الإنسان بالطمأنينة والأمان إلاّ ضمن جماعة من الجماعات له حقوق فيها وعليه واجبات نحوها ، وبدون ان يعيش الإنسان في جماعة لن يكون إلاّ كشاة ضائعة تهيم على وجهها بائسة شقية .

والجماعة التي ينطبق عليها هذا الوصف في أشمل معانيه هي ( العائلة ) التي هي نواة التجمع ومصدر الخير في أي مجتمع ، فعن طريق العائلة يستطيع الإنسان ان يطالب بحقوقه، وان تُقضى حاجاته، وان يشعر بالدفء والاستقرار. من هنا شدّد الإسلام على متبعيه بإعطاء العائلة حظها من العناية ، وتقديم الإحسان والخدمات لها قبل أي مواطن آخر ، كما جعل قطيعتها من كبائر الإثم.

ولقد أسبغ الإسلام على العائلة تسميتين : فتارة يدعوها بالأرحام ، وتارة بذوي القربى .

فمما جاء في القرآن في نعت العائلة بذوي القربى قوله تعالى :

﴿ وآتِ ذا القُربى حَقَّهُ والمسكين وابنَ السبيل ﴾ الاسراء : ٢٦ .

﴿ يسألونك ماذا يُنفقون ، قل : ما أنفقتم مِنْ خَيْرٍ فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين ﴾ البقرة : ٢١٥ .

فالقرآن خص الأقارب بأولوية الإحسان ، وتقديمهم على غيرهم ممن يستحق المعونة .

وجاء في القرآن في نعت العائلة بالأرحام قوله تعالى :

﴿ واتقوا الله الذي تَسَاءَلونَ بِهِ والأرحام ﴾ النساء : ١ .

والمعنى : أي اتقوا الله في أمره ونهيه ، واحفظوا الأرحام وأدوا حقها ، واتقوا ان تقطعوها .

ويُحذّر القرآن اشد التحذير من قطع الرحم :

﴿ فهل عسيتم إن توليتم ان تُفسدوا في الأرض وتُقطّعوا أرحامكم . اولئك الذين لعنهم الله فأصمّهم وأعمى أبصارهم ﴾ محمد: ٢٢، ٢٣ .

والمعنى : فهل يتوقع منكم انكم إن توليتم أمور الناس وتأمرتم عليهم أفسدتم وقطعتم الأرحام، أولئك الذين أبعدهم الله عن رحمته فأصمهم عن استماع الحق ، وأعمى أبصارهم عن طريق الهدى .

والنبي ﷺ يحذر أشد التحذير من قطع الرحم لما فيه من الإثم الكبير فيقـول :

( الرحم[1] معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصَلَهُ الله، ومن قطعني قطعه الله[2] ) .

ويقول النبي ﷺ ايضاً : ( ما من ذنب أجدر[3] ان يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدّخر له في الآخرة[4] من : البغي وقطيعة الرحم )[5] .

ومن أقواله ايضاً : ( لا يدخل الجنة قاطع رَحِمٍ )[6] .

ويحث النبي ﷺ على صلة الرحم مرغباً في ذلك :

( من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت )[7] .

كما بيّن النبي ما لصلة الرحم من آثار حسنة على صاحبها حين يقول :

( من أحَبَّ ان يُبسط له في رِزْقِهِ ، ويُنْسَأَ[8] له في أثَرِهِ[9] فلْيَصِلْ رَحِمَهُ )[10] .

---

(١) الرحم : يطلق على القريب ، وهو كل من بينه وبين الآخر نسب ، سواء كان يرثه أم لا ، وسواء كان ذا محرم أم لا . وتكون صلة الرحم بالمال وبالعون عند الحاجة وبدفع الضرر وبطلاقة الوجه والزيارة ، والمعنى الجامع : إيصال ما أمكن من الخير ودفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة .

(٢) رواه البخاري ومسلم . (٣) أجدر : أحق .

(٤) ما يدخر له في الآخرة : أي أن الله يعجل له العقوبة وهذا غير ما يؤخره له من العقاب الشديد في الآخرة . (٥) رواه البخاري والترمذي وابن ماجة . (٦) رواه مسلم .

(٧) رواه البخاري ومسلم . (٨) ينسأ : يؤخر .

(٩) أثره : أجله . (١٠) رواه البخاري ومسلم .

والحكمة في اهتمام الإسلام بصلة الرحم تقوم على داعٍ نفساني، وهو أن رحم الإنسان دائم التطلع الى خير قريبه فإن حُرِمَ منه عَدَّ عمله جرماً .

فالغني إن حَرَمَ الفقير الاجنبي من إحسانه فإن غضبه لن يبلغ معشار ما يثور في صدر قريبه من غضب ولوم إذا حرمه من إحسانه ، وقديماً قال الشاعر :

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة        على النفس من وقع الحسام المهنّد

فظلم القريب يؤدي الى التحاسد والتباغض لأن القريب عادة اكثر من غيره تقصّياً لدخائل قريبه ، فإذا اراد ان ينتقم مثلاً كان أعرف الناس بما يؤذي قريبه وينغص عليه حياته لما تتيحه تلك الصلة من الفرص في معرفة امور لا يعرفها إلاّ ذوو القرابة .

ولما كان الإسلام يرمي الى قيام مجتمعات سليمة تسودها الألفة فقد جعل أحق الناس بمال الإنسان ذوي قرباه ، ومن ثمّ جعل الله تركة المتوفى شركة بين أقربائه يأخذ كل واحد منها مقدار ما فرضه الله حسب درجة القرابة ووفق ما يقضي به العدل كما قال تعالى :

﴿ للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قلّ منه أو كَثُرَ نصيباً مفروضاً ﴾ النساء : ٧ .

وتأكيداً لحرص الإسلام على الاهتمام بالعائلة فقد أوجب على القادرين والموسرين نفقة المحتاجين من أصولهم وفروعهم كالأب والجد والابن وابن الابن ، وجعل نفقة الزوجة والأولاد حقاً على الزوج والأب .

ويرى الإمام أحمد : ان النفقة على كل وارث ، فمن يرث الفقير العاجز إذا مات عن مال تجب عليه نفقته إذا عجز ، وقد ثبت ذلك عنده بالآية الكريمة التي تشتمل على نفقة الولد على ابيه وأجرة الرضاعة والحضانة ، وفي آخر هذه الآية اشارة الى ان النفقة على الوارث قال تعالى: ﴿وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف، لا تُكلَّف نفس إلاّ وسعها، لا تُضارّ والدة بولدها ولا مولود له بولده ، وعلى الوارث مثل ذلك﴾ البقرة : ٢٣٣ .

الباب الخامس

# خطايانا

# في المشرب والمأكل

- الخمر ومضارها
- لحم الخنزير ومضاره
- تناول الدم ومضاره
- أكل الميتة ومضارها
- الحيوانات المفترسة والطيور الجارحة
- اكل ما ذبح للأصنام

الفَصْلُ الأوّل

# الخَمْرُ

الخمر وآثامها – تحريم الإسلام للخمر – من أقوال النبي في تحريم الخمر – تحريم جميع أنواع الخمور – تحريم بيع الخمور – أضرار الخمر الاجتماعية – أضرار الخمر الصحية .

مما يُدمي القلب أن كثيراً من المسلمين في بعض البلدان العربية يتعاطون شُرب الخمر علناً حتى انهم هيأوا في بيوتهم ( باراً ) وكؤوساً خاصة بها ، وأصبحت تقدم لضيوفهم كما تقدم القهوة مثلاً ، كما أن كثيراً من المسلمين يبيعون الخمر في دكاكينهم . ولما كانت الخمر محرّمة في الإسلام ، وشربها وبيعها من كبائر الإثم أردنا في هذا البحث التذكير بآثامها ومضارها وصدق الله إذ قال : ( وَذَكّر فإنّ الذكرَى تنفع المؤمنين ) .

## الخمر وآثامها

سُميت الخمر بهذا الاسم لأنها تخمر العقل أي تستره ، وقد وصفها الله بأنها ( إثم كبير ) و ( رجس من عمل الشيطان ) وقد أجمع الفقهاء على ان من ينكر تحريمها فهو كافر .

فإثم الخمر الكبير هو إزالة العقل ، وأفضل ما في الإنسان عقله ، وإذا كانت الخمر عدوة لأفضل ما في الإنسان – وهو العقل – لزم ان تكون أخس الأمور ، لأن العقل إنما سمي عقلاً لأنه يمنع صاحبه من القبائح التي يميل اليها طبعه ، وإذا زال العقل حصلت جملة من الشرور :

فكم من الناس اغتصبوا أقرب الناس لهم وهم تحت وطأة تأثير الخمر .

وكم من الناس خسروا ثرواتهم وجنى عمرهم في القمار ، والمراهنات ، والصفقات التجارية العشواء وهم تحت تأثير الخمر .

وكم من الناس اقتتلوا وسفكوا دماء بعضهم بعضاً بسبب السكر الشديد[1] ،

وكم من طلاق وانهيار للأسرة حصل بسبب تصرفات رعناء صدرت عن زوج سكران .

ولقد صدق رسول الله إذ قال :

( لا تشرب الخمـــر فإنها مفتاح كل شر )[2] .

دعك ما يترتب على الخمر من آثار معيبة سيئة على سلوك الإنسان ، وقيامه بأعمال تقلل من احترام الغير له ، وتجعله أضحوكة في نظرهم ، ولقد قال العرب في وصف شارب الخمر : إن الإنسان يصبح في البداية كالطاووس معجباً بنفسه وتظهر عليه علامات التيه والدلال ، وبعدئذ يصبح كالقرد سريع الحركة ، واخيراً كالخنزير يتمرغ في الأوحال .

## تحريم الإسلام للخمر

من المعلوم ان العرب قبل الإسلام كانوا يكثرون من شرب الخمر ويتغنون بها في أشعارهم، وكان تناولها عادة متأصلة لديهم، وعندما جاء الإسلام لم يكن من الميسور تحريمها عليهم دفعة واحدة ، ولذلك سلك الإسلام مسلك التدرج في التشريع كعادته في مثل هذه الأحوال حتى لا يشق على الناس الأمر وحرّمها على ثلاث مراحل :

**المرحلة الأولى من التحريم** : إن اول إشارة الى تحريم الخمر في القرآن قوله تعالى :

﴿ يَسْأَلونَكَ عَنِ الخمرِ وَالميسرِ[3] قُل فيهما إثم كبير ومَنَافِــعُ للنّاس وإثمهما أكبر مِنْ نفعهما ﴾ البقرة : ٢١٩.

---

(١) من المشاهد أن الكثيرين ممن يقدمون على ارتكاب الجرائم يحتسون كؤوساً من الخمر قبل الإقدام على فعلتهم هذه .

(٢) رواه ابن ماجة .

(٣) الميسر : كل نوع من أنواع القمار التي كانت موجودة أو توجد بعد ذلك .

هذه الآية اقتضت تحريم الخمر والقمار ، ولو لم يرد غيرها في تحريمهما لكانت كافية وذلك لقوله تعالى : ( فيهما إثم كبير ) ، والإثم كله محرم لقوله تعـــالى :

﴿ قل إنما حرّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم ﴾ الأعراف : ٣٣.

فأخبر الله بأن الإثم محرم ، ولم يقتصر على إخباره بأن في الخمر والميسر إثماً بل وصف هذا الإثم بأنه ( كبير ) تأكيداً للتحريم .

وأما قوله تعالى في الخمر والقمار : ( ومنافع للناس ) فلا دلالة فيه على اباحتهما لأن المراد بعض منافع الدنيا لأفراد من الناس، وإن في سائر المحرمات بعض المنافع الزهيدة ، إلاّ ان تلك المنافع لا توازي ضررها كما تصرح الآية : ( وإثمهما أكبر من نفعهما ) وبالأخص ما تؤدي إليه الخمر والقمار من مآثم محرمة تستوجب العقاب في الآخرة ، والى مضار اعترف بها العالم بأسره .

**المرحلة الثانية من التحريم** : ثم جاءت المرحلة الثانية من تحريم الخمر في قوله تعـــالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلمـــوا ما تقولون ﴾ النساء : ٤٣ .

وسبب نزول هذه الآية ان احد المسلمين أقام وليمة ، ودعا اليها أصحابه فأكلوا وشربوا الخمر ، وعندما حان وقت صلاة المغرب أقاموا الصلاة وتقدم أحدهم ليصلي بهم فغلط في القرآن بسبب سكره[1] وقرأ عكس المراد .

وقد ترك كثير من المسلمين شرب الخمر عندما نزلت هذه الآية وقالوا : لا خير في شيء يحول بيننا وبين الصلاة ، لأن اوقات الصلاة متقاربة ، فلا بد للمصلي ان يتجنب الخمر في اكثر الأوقات لئلا تحضره الصلاة وهو سكران .

فالعبادة لا تقوم إلاّ على العقل ، وليس هناك عبادة لله إذا سكر الانسان

---

(١) كان يقرأ ( قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ) فقرأها بعكس المراد « قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون » وحذف حرف النفي .

وذهب عقله ، وعلى هذا لا معنى لمن يشرب الخمر ثم يقوم ليؤدي عبادة لله وعقله ضائع .

**المرحلة الثالثة من التحريم** : وبعد فترة من الزمن نزل الأمر الالهي الجازم بتحريم الخمر تحريماً شاملاً بعد ان سكر جماعة من المؤمنين وكادوا يقتتلون فيما بينهم بعد ان أثاروا ايامهم في الجاهلية . فقال تعالى :

﴿ يأأيها الذين آمنوا إنّما الخَمْرُ والمَيْسِرُ وَالأنْصَابُ[1] والأزلام رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشيطان فاجتنبوه لعلكم تُفلحون . إنّما يُريدُ الشيطان أن يُوقِعَ بينكم العَدَاوَةَ والبغضاء في الخمر والميْسر وَيَصُدَّكم عن ذِكْر اللهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أنتم مُنتهونَ ﴾ المائدة : ٩٠ ، ٩١ .

المتأمل في هذه الآية يرى جملة أمور تشدد على تحريم الخمر :

**أولاً** : ان الله قرن الخمر والقمار بالأوثان في النهي عنهما ، وجعلهما في مرتبة واحدة ، والأوثان من أشد المحرمات في الإسلام .

**ثانياً** : وصف الله الخمر والقمار بأنهما رجس ، والرجس في اللغة هو الشيء القذر أو النجس وذلك ليشمئز المؤمن ويبتعد عنهما .

**ثالثاً** : انهما من عمل الشيطان ، والشيطان لا يأتي منه إلاّ الشر البحت .

**رابعاً** : ان الله جعل اجتنابهما سبيلاً الى النجاح فدل ذلك على ان ارتكابهما سبيلٌ الى الخيبة والخسران .

**خامساً** : انهما يؤديان الى وقوع العداوة والبغضاء اللتين تؤديان الى القتال وسفك الدمـــاء .

**سادساً** : انهما يصدان عن ذكر الله وعن الصلاة في أوقاتها ، والصلاة هي عماد الدين .

**سابعاً** : ختم الله الآية بقوله : ( فهل أنتم منتهون ) فهنا استفهام على سبيل التهديد والوعيد لمن يظل على حاله في شرب الخمر وتعاطي القمار .

---

(١) الانصاب : هي آلهة الوثنيين قبل الإسلام نصبوها ليعبدوها .

ولقد كان جواب المؤمنين على هذا الأمر الإلهي عندما سمعوا الآية : ( قد انتهينا يا رب ) واهرقوا ما عندهم من الخمر بعد هذا النهي الشديد ، وسالت الخمرة في طرق المدينة .

**دحض شبهة عن تحريم الخمر** : والغريب ان بعض المغرضين يريدون ان يشككوا في تحريم الخمر ليظلوا على ضلالهم . ويجادلون في ذلك بغير علم ولا هدى ولا دليل فيقولون : إن الله لم يقل ان الخمر حرام بل قال ( اجتنبوه ) وكلمة اجتنبوا في زعمهم لا تدل على التحريم كدلالة كلمة حرّمت . فنقول : إن كلمة اجتنبوا أدلّ على التحريم من كلمة حرّمت لأن اجتنبوا أي ابتعدوا عنه اي انه حرام فيجب اجتنابه . فكلمة اجتنبوا نهي من الله عن شرب الخمر ، وكل ما نهى الله عنه في القرآن فهو إثم كبير يجب اجتنابه[1]

ونزيد على ذلك فنقول إن مادة الاجتناب يغلب استعمال القرآن لها في كبائر الذنوب والمعاصي ، فقد جاء في القرآن على لسان ابراهيم :

﴿ واجنبني وبنيّ أن نعْبُدَ الأصنام ﴾ ابراهيم : ٣٥ .

ويقول تعالى مخاطباً المؤمنين :

﴿ فاجْتنبوا الرِّجْسَ مِنَ الأوثان واجتنبوا قَوْلَ الزور ﴾ الحج : ٣٠

والأوثان من أشد المحرمات في الإسلام ، ويقول تعالى :

﴿ والذين يَجْتَنبونَ كبائر الإثْمِ والفواحش ﴾ الشورى : ٣٧ .

هذا مع العلم ان النبي ﷺ نهى أشد النهي عن شرب الخمر ووصف إثمها الكبير ونص على تحريمها ايضاً كما سيأتي ، والمسلمون مأمورون في القرآن باتبـاع نبيهم :

﴿ وما آتاكم الرَّسُول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ الحشر : ٧ .

---

(١) لم تصدر كل المحرمات في الإسلام بكلمة ( حرم ) فقد حرّم الله الشرك بالله وقال : ( ولا تدع مع الله إلهاً آخر ) ، وحرم الزنى فقال : ( ولا تقربوا الزنى ) ، وحرم أكل مال اليتيم فقال : ( ولا تقربوا مال اليتيم ) .

## من أقوال النبي ﷺ في تحريم الخمر

شدّد النبي ﷺ على تحريم الخمر فأعلن ان المؤمن لايشرب الخمر، وأنه إذا شربها فهو بعيد عن الإيمان وعن جماعة المؤمنين إلاّ إذا تاب .

( لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، والتوبة معروضة بَعْدُ )[١] .

ويحذّر النبي المؤمنين من الخمر ويصف شاربها أو الذي له علاقة بها بأنه ملعون من الله :

( لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه )[٢] .

واللعن يؤدي الى الطرد من رحمة الله ، إلاّ إذا تاب شارب الخمر وامتنع عنها فإن الله يتوب عليه .

وروي ان رجلاً من اليمن سأل رسول الله عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له ( المِزْرُ ) فقال النبي : أَوَ مُسْكِرٌ هو ؟ قال نعم ، فقال : (كل مُسكر حرام ، إن على الله عز وجل عهداً لمن يشرب المسكر ان يسقيه من طِينة الخَبَالِ ، قال يا رسول الله وما طينة الخبال قال : عَرَق أهل النار أو قال عُصارة أهل النار )[٣] .

ويقول النبي ﷺ : (لا يشرب الخمر رجل من أمتي فيقبلُ الله منه صلاة اربعين يوماً )[٤] .

ويقول ايضاً : ( لا يدخل الجنة مدمن خمر )[٥] .

ويقول مشبهاً ( مدمن الخمر كعابد وثن )[٦] .

---

(١) رواه البخاري ومسلم .
(٢) رواه أبو داود وابن ماجة .
(٣) رواه مسلم والنسائي .
(٤) رواه النسائي .
(٥) رواه ابن ماجة .
(٦) رواه ابن ماجة .

## تحريم جميع أنواع الخمور

والخمر هي كل شراب مسكر ، سواء أكان متخذاً من العنب كالعرق والنبيذ ، أو كان متخذاً من الشعير كالبيرة ، أو كان متخذاً من التمر والعسل ، يقول النبي ﷺ :

( إن من العنب خمراً ، ومن التمر خمراً ، وإن من العسل خمراً ، وإن من البُرِّ خمراً ، وإن من الشعير خمراً )[١] .

او كان متخذاً من غير ذلك كالويسكي والشمبانيا والكونياك والفودكا والروم وسائر المشروبات لقول النبي ﷺ :

(كل مسكر خمر وكل خمر حرام )[٢] .

(كل شراب اسكر فهو حرام )[٣] .

والإسلام لم يحدد القدر المشروب من الخمر ولم يعين كمية الكحول الموجودة في المشروب ، بل حرّم تناول الخمر مطلقاً ، يقول النبي ﷺ :

( وما أسكر كثيره فقليله حرام )[٤] .

والإسلام ينكر التداوي بالخمر ، فقد رُوي ان طارق بن سويد الجُعفي سأل النبي عن الخمر فنهاه ، أو كره أن يصنعها فقال : إنما اصنعها للدواء فقال : إنه ليس بدواء ولكنه داء[٥] .

وما قاله النبي يؤيده الطب ، وهذا ما سنذكره في آخر هذا البحث .

## تحريم بيع الخمور

ولمضار الخمر وإثمها حرّم الإسلام الاتجار بها ، واعتبر المال الذي يكسبه الإنسانِ من جراء ذلك مالاً حراماً لا يباركه الله ، وإن انفقه في القربات فهو غير مقبول منه ، فقد جاء في الصحيحين عن النبي ﷺ قوله :

( إن الله ورسوله حرّم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام )[٦] .

---

(١) رواه أبو داود وأخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجة . (٢) رواه البخاري ومسلم.
(٣) رواه البخاري ومسلم . (٤) رواه أبو داود وأخرجه الترمذي وابن ماجة .
(٥) رواه مسلم . (٦) رواه البخاري ومسلم .

ويقول : ( إن الله حرّم الخمر وثمنها وحرّم الميتة وثمنها ، وحرّم الخنزير وثمنـــه )[1] .

وروي عن النبي ﷺ قوله : ( إن الله الذي حرّم شربها حرّم بيعها )[2] .

ولهذا يقول الفقهاء : إذا بيع العنب لمن يعصره خمراً حرم أكل ثمنه بخلاف ما إذا بيع لمن يأكله فإنه حلال .

## أضرار الخمر الاجتماعية

عندما يتناول الإنسان الخمر بصورة متواصلة يُسمى عمله هذا إدماناً .

والمدمنون فريقان :

اولهما : اولئك المصابون بالأزمات النفسانية، وهم يبدأون بتناول الخمر إحساساً منهم بالانشراح والتحرر من القلق والانقباض الذي ينتابهم ، ولكن عند زوال تأثير الكحول سرعان ما يصبح قلقهم اكثر فيحتاجون الى شرب كمية اكثر منه ، وهكذا يصبحون أسارى للشراب .

فالأزمات النفسانية لا يقضى عليها بتناول الخمر بل بتقوية الوجدان الخلقي والصبر والصلاة والعزاء الروحي .

ثانيهما : أولئك الذين يبدأون بتناول الخمر في المناسبات الاجتماعية وبتأثير من اصدقائهم ، وعند تكرار ذلك يصبح تناول الخمر لديهم عادة ، فإن استمروا عليها دون انقطاع يتغير سلوكهم ويصبحون مهملين نسبياً وقلقين خائفين ، وبالتالي يضطرون الى الشرب اكثر من ذي قبل للتخلص مما هم فيه من الحالات الشاذة ، ويصيبهم بعدئذ التحلل من جميع القيود الاجتماعية وفقدان الثقة بأنفسهم وأزواجهم من حولهم .

ويعتبر الإدمان مرض المدنية الحديثة .

فالخمر تؤثر بالدرجة الأولى على الجهاز العصبي وتسمم جميع المراكز العصبية في الدماغ فتقتل الإحساس بكل شيء ، وتقلل من سيطرة الإنسان على نفسه، والتحكم في سلوكه، واضعاف صوت ضميره، وذهاب الحياء منه

---

(١) رواه أبو داود . (٢) رواه مسلم .

مما يدفع بشارب الخمر الى نبذ الأخلاق وفعل كل منكر قبيح ، وإن كثيراً من حوادث الزنا والخيانة الزوجية تقع تحت سلطان الخمر مما يؤدي الى خراب البيوت، كما ان الواقع الملموس اثبت ان حوادث الشغب وما تؤدي اليه من ارتكاب الجرائم تحدث في الأمكنة التي تُشرب فيها الخمور كالحانات وغيرها .

والإدمان على الخمر له نتائج خطيرة تنصبُّ على العقل مباشرة كضعف الذاكرة وتأخر في القدرة على التفكير المنطقي المنظم وتسلط الأوهام والوساوس ، كما ان الإدمان يلعب دوراً هاماً في الأمراض العقلية .

والخمر لها أخطار على السلامة العامة، فقد ظهر ان الخمر لها علاقة وثيقة بحوادث السير ولو كان تناولها بكمية قليلة ، فإن جرعة صغيرة بمقدار فنجان القهوة ( ٣٠ سي سي ) من مشروب الويسكي مثلاً تعرقل عملية قيادة السيارة، لأن الكحول تقلل من سرعة استجابة الجسم للتفاعلات الحيوية في داخله ، فيقلل من حدة البصر وكأنه وضع على عينيه نظارات سوداء ، ثم ان محيط رؤياه يتقلّص شيئاً فشيئاً ويحصل له اختلال في التوازن العام ، وإذا اراد ان يعود الشارب الى حالته الطبيعية يحتاج الى ساعة من الزمن ، وكلما اسرف الشارب في الشرب ، زاد الخطر واحتاج الى زمن أطول للرجوع الى حالته الطبيعية ، ولهذا صار من المألوف عند كثير من الدول مصادرة ( رخص سوق السيارات ) من السائقين السكارى مع إلزامهم بدفع غرامات كبيرة .

## أضرار الخمر الصحية

الجرعة القليلة من الخمر تحدث شيئاً من الارتفاع في ضغط الدم ، وهذا الارتفاع وحده قد لا يكون له ضرر كبير ، ولكن الضرر يتضاعف إذا كان الشخص مرتفع الضغط من نفسه، فإذا كانت كمية الخمر وافرة كانت كافية لأن تحدث هيجاناً يزيد في الضغط لدرجة ينفجر معها شريان في المخ يسبب شللاً قد ينجو منه الشخص جزئياً أو لا ينجو كلية .

والخمر تؤثر في غدد الجسم عموماً ، وتسبب الاضطراب لها وللقلب ، وقد سألت أحد اساتذة الطب المتخصصين في أمراض القلب عن صحة ما يشاع

من ان الويسكي مفيـــدة لضعاف القلوب فنفى ذلك نفياً باتاً بل أكّد ان الإسراف بها يضر القلب .

وقد سألت ايضاً الدكتور مصطفى الحفار استاذ أمراض الجهاز الهضمي في كلية الطب الفرنسية عن أثر الخمر على الجهاز الهضمي وقد أفادنا مشكوراً بمـــا يلي :

الخمور وما تحتويه من كحول وأثير على اختلاف انواعه يفتك بالجسم مروراً في الأنبوب الهضمي ككل ليصل الى الغدد الهضمية ( الكبد وغـــدة البنكرياس ... ) ثم الى باقي أعضاء الجسم .

ومن المعروف ان الكبد هو العضو الأساسي المعرّض لأضرار المـــواد الكحولية ، ولما كان الكبد يؤلف « مصنعاً » فائق الأهمية لصياغة العناصر الأولية للجسم من مركبات آزوتية ودهنية وسكرية وخمائر ضرورية للهضم وعناصر أساسية لتوازن الدم ... علمنا ما ستكون ردود فعل كل قصور وظائفي لهذا العضو الفريد من نوعه .

فالمواد الكحولية تسبب للكبد التهابات وتمزيقاً لخلاياه ، وتجمعاً للدهنيات في ما تبقى منها ، ثم تحجراً مع تليّف يصل بالكبد الى مرحلة التشمع التي لا شفاء منها ، مع ما تحققه من عوارض مرضية تنذر بأشد المضاعفات عنفاً وخطراً ... منها الاستسقاء والتورم المنتشر ، واليرقان ، وسيلان الدم ، وارتفاع الضغط في الشريان الكبدي – البابي – وما ينجم عنه من ( دوالي ) في المعدة واسفل البلعوم مما يسبب نزيفاً بالغ الخطورة على حياة المريض .

ومن المعروف والمؤكد علمياً ان نسبة السرطان الكبدي في حالة تشمع الكبد مرتفعة جداً .

والكحول تترك أثرها السيء على كثير من الاعضاء الأساسية ، فغدة البنكرياس تتحجر هي بدورها ايضاً ، كما تصيب الأمعاء والمستقيم بنزيف شرجي ، وتحقنات في أسفل الأمعاء الغليظة .

والكحول تؤدي الى التهابات شديدة مباشرة على الفم والبلعوم والمعدة والأمعاء والعضل والأعصاب والدماغ والغدد الصماء والحواس ( العين والأذن الخ .. ) .

والالتهابات الهضمية التي تسببها الكحول تؤدي الى قلة امتصاص الأغذية وقصور نسبة الفيتامينات سواء من حيث قلة امتصاصها أو كثرة استهلاكها، وعوارض هذه الالتهابات : (قشب) في الشفتين ، واحمرار التهابي دائم في اللثة واللسان ، وتساقط في الأسنان ، وتورّم في البلعوم والمعدة وتقرّحات بنسبة مرتفعة مما يعرضها لأصابات سرطانية وهزال .

وأمّا عن انجاب الأولاد فالعنة متفشية بين السكيرين ، وأولادهم غالباً ما يصابون بعاهات في مختلف أجسامهم لما للكحول من تأثير فتاك في النطفة ، فمن المألوف ان يقال في فرنسا مثلاً عن ولد متأخر عقلياً وجسمياً انه ابن يوم الأحد (اليوم الذي يكثر فيه تناول المسكرات) .

ثم سألت الدكتور مصطفى الحفار عن فكرة التداوي بالخمر فأجاب :

لم تكن الخمر يوماً بدواء داخلي ، ولو جنح البعض من الأطباء في أيامنا هذه وفي ما مضى الى ما يعتبرونه مفيداً لما تؤثره في توسيع الأقنية الدموية في الأطراف أو في عضلة القلب، تبين في ما بعد وفي أيامنا الحاضرة بأن هذا التأثير على الشرايين هو مؤقت تتبعه حالة شلل وتحقن وهذا ما يظهر على بشرة السكيرين من تحقنات دموية في الوجه والأطراف ، وتبين ايضاً علمياً بأن الخمر تقلص العضلات الشريانية وتحجرها .

وأمّا بالنسبة للأطباء النفسيين فكان ميلهم اعطاء قليل من الخمر للمصابين بحالة الوهن العصبي لما في هذه الجرعة الكحولية من حالة تنشيط (اصطناعي) للنفس تمكنهم من التغلب على الكآبة . وهنا أيضاً تبين بأنه حينما ينتهي تأثير الخمر تتعاظم الكآبة مما يثير عند المريض رغبة متزايدة في تناول كميات أضافية اكثر فأكثر حتى درجة الإدمان .

والجدير بالذكر ان بعض الأطباء في الحقبة الأخيرة — في فرنسا واميركا — دافعوا عن مزايا الخمر ولكن تبين فيما بعد انهم جميعاً أصحاب اسهم وأراضٍ زراعية تنتج الكحول والمسكرات .

## الفصل الثاني

# المآكل المحرّمة

لحم الخنزير ومضاره – تناول الدم ومضاره – أكل الميتةومضارها أكل لحوم الحيوانات المفترسة والطيور الجارحة – أكل ما ذبح للأصنام .

من جملة ما جاء في تعريف كبائر الإثم ما ورد فيه النص بالتحريم ، وهذا ما سنذكره هنا في التكلم عن المآكل المحرمة التي نص عليها القرآن :

﴿ إنما حرّم عليكم المَيْتَةَ والدَّمَ وَلَحْمَ الخنزير وَمَا أُهِلَّ به لِغَيْرِ اللهِ ، فمن اضطر غير باغٍ ولا عادٍ فلا إثْمَ عَلَيْهِ إنَّ الله غفور رحيم ﴾ البقــرة : ١٧٣ .

وجاء في القرآن : ﴿ قل لا أجد ما أوحي إليَّ محرّماً على طاعم يطعمه إلاّ ان يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجسٌ ، أو فسقاً أهِلَّ لغير الله به ﴾ الانعام : ١٤٥ .

**قذارة الخنزير** : لقد وصف القرآن لحم الخنزير في الآية الثانية بأنـــه ( رجس ) والرجس في اللغة هو القذر او النّجس او المأثم، وقد يعبّر به عن الحرام والفعل القبيح .

والجدير بالذكر ان عبارة (خنزير ) في اللغة الانكليزية وغيرهـــا من اللغات ترمز الى التحقير والشتيمة والازدراء والقذارة ، فكيف يحتقر الإنسان شيئاً ويشهد بقذارته ثم يضعه في جوفه ليسري في دمه ويؤثر على طباعه .

ولقد كان من أهداف رسالة محمد ﷺ ما بينه القرآن :

﴿ ويحلّ لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث ﴾ الأعراف : ١٥٧ .

ومن جملة الخبائث لحم الخنزير .

ولما كان لحم الخنزير شائعاً تناوله عند كثير من الناس لذا سنبدأ بالكلام عنـه :

# لحم الخنزير ومضاره

يعجب الكثيرون لتحريم أكل لحم الخنزير ويتساءلون عن سبب ذلك ، وبعضهم يستحل أكله غير آبه لتحريم الله له آخذاً بتقليد الغربيين متعلّلاً بأنهم سبقونا مراحل في التقدم والمدنية .

ولكن العالم بحقائق الأمور المطلع على ما كشفه العلم من مضار اكل لحم الخنزير لا يلبث ان يخر ساجداً لله شاكراً له على تشريعه في القرآن الذي لم يترك شيئاً يضر الإنسان إلاّ ونهى عنه .

والى القارىء عرضاً لبعض الأضرار التي تنشأ عن تناول لحمه :

يأوي في جسم الخنزير عـــدد كبير من أنواع الطفيليات ، كما يصاب بأمراض شتّى . وهذه الطفيليات والأمراض تنتقل إلى الإنسان إذا ما أكل من لحمه وتصيبه بأمراض خطرة يمكن ان تودي بحياته .

ونقل لنا صديقنا الفاضل الأستاذ حسن شقير [1] ما جاء في دائرة المعارف البريطانية [2] عن بعض هذه الأمراض والطفيليات وأضرارها ما يلي :

### أمراض الخنزير

« إن اشد الأمراض فتكاً من بين تلك التي تصيب الخنزير : كوليرا الخنزير أو حُمّى الخنزير Hog Cholera وهو مرض مُعْدٍ ينتشر بين كافة

---

(١) الحائز على ماجستير في اللغة الإنكليزية وآدابهـــا .

(٢) ورد هذا البحث تحت مادة خنزير Pig في دائرة المعارف المذكورة طبعة عام ١٩٧٠ المجلد السابع عشر ، وكذلك تحت مادة Trichinosis في المجلد الثاني والعشرين ، وقد كتب هذا البحث اختصاصيون في الأمراض الحيوانية .

الخنازير على اختلاف اعمارها وسلالاتها ، وتسبّبه فيروس معينة تسير في الدم والبراز حتّى قبل ظهور عوارضه ، ويمكن ان ينتشر بين الخنازير التي تتعرّض له ... إما مباشرة أو بصورة غير مباشرة عن طريق الإنسان أو الطيور أو الحشرات .

ومنها ايضاً : « الحُمّى المتموّجَة Brucellosis التي تتميز بإصابات مركّزة ، وخاصة في الفقرات الظهرية والمفاصل والخصية، بحيث لا يجدي فيها العلاج نفعاً ، وفي حال انتقال المرض الى الإنسان فإنه يكون شديداً ووخيم العاقبـــة » .

## طفيليات الخنزير

من الطفيليات الشائعة في لحم الخنزير: (التّرخينة) Trichinella Spiralis وهي نوع من الديدان السلكية المدوّرة ، وتوجد الديدان البالغة منها في الأمعاء ، بينما تقطن اليرقات في أنسجة العضلات ، حيث تسبّب داء مميتاً يُدعى داء الشعرية أو داء التّرخينة Trichinosis وهذا الداء من أشد الأمراض تأثيراً في الإنسان ، رغم ان الخنزير لا تبدو عليه عوارض المرض على الإطلاق . وتصاب الخنازير بهذا المرض من جراء تناولها النفايات أو فضلات الذبائح في المسلخ أو من جراء تناولها الخنازير الميّتة والفئران وما تبقى من حيوانات تؤوي أكياس هذه اليرقات encysted larvae ، أما الإنسان فانه يصاب بالداء لمجرد تناوله لحم الخنزير .

ويقول بول وينستاين(١) : « إن داء التّرخينة يصيب الإنسان عند تناوله لحم الخنزير النيء الذي يحتوي أكياس يرقات التّرخينة ، والتي تخرج مـــن الأكياس التي تحفظها وتنتقل من المعدة الى الأمعاء الدقيقة حيث تلتصق بجدارها بشدة . وفي الأمعاء الدقيقة تنمو الديدان ذكوراً واناثاً ، الى حين اكتمال نموها بحيث يصبح طول الذكر منها ١/١٦ من البوصة ، والأنثى ١/٦ . وبعد التّزاوج بين الذكور والإناث تستمر فترة فقس اليرقات الصغيرة حوالى ستة اسابيع أو أكثر . وتدخل هذه اليرقات الحيّز الليمفاوي lymph spaces

(١) المسؤول عن مختبر أمراض الطفيليات التابع للمؤسسة الوطنية للحساسية والأمراض المعدية في أميركا .

في جدار الأمعاء وتنتقل من ثمّ الى القلب حيث تنتقل من هناك الى الدورة الدموية الكبرى . كما أنها تخترق أنسجة عديدة، لكن نموّاً إضافياً لا يحصل لها إلاّ في ألياف العضلات الإرادية . وبمرور ثلاثين يوماً تصل اليرقة الواحدة الى طول مليمتر واحد وتلتف بشكل حلزوني ، ثم تتغلف بصورة تدريجية في اكياس تحويها ، ويبقى العديد منها على قيد الحياة لسنوات طويلة وقد تموت أو يمتصها الجسم أو تتكلس ، وتصبح اليرقات الترخينية مُعدِية بعد نمو يمتد لفترة واحد وعشرين يوماً تقريباً في العضلة » .

أما من حيث اعراض داء الترخينة يقول وينستاين : « إن الاشخاص الذين تنزل بهم اصابات طفيفة من داء الترخينة لا يبدو عليهم أي دليل على مرض أو سقم ... قد تبدو عليهم بوادر الغثيان والتقيّؤ والاسهال والألم البطني بين الأربع والعشرين والثماني والأربعين ساعة بعد الإصابة ، وهي المدة التي يتم فيها نموّ الديدان في الأمعاء . وقد لا تظهر هذه العوارض ، إلاّ ان تلك العوارض الناتجة عن انتقال اليرقات في انحاء الجسم يمكن اكتشافها بين الأسبوع الأول والثالث بعد الإصابة ، وتشمل هذه العوارض: ضعفاً في الجسم وارهاقاً ووجعاً في الرأس وحُمّى تصاحبها حالات من البرد وتصبّب العرق، كما يظهر عند بعض المرضى جفاف في الحلق والتهاب أو تقرّح في الحنجرة مع بعض السعال . والتورّم الذي يحصل حول العينين وفي الوجه هو عارض عام ، وقد يظهر طفح جلدي في البدن ايضاً وفي الأطراف العليـــا .

« وما أن تبلغ اليرقات الألياف العضلية حتى ينتاب الشخص المصاب ألم مُبرّح في العضلات وتيبّس في المفاصل، وقد تظهر عليه عوارض مرض القلب ، كما ان التهاب الرئة يصبح نتيجة طبيعية لهذه التأزمات ، وقد تجتاح اليرقات الحبل الشوكي Spinal cord والدماغ مما ينتج عنه عوارض تشبه عوارض التهاب السحايا ، والتهاب الدماغ ، أو شلل الأطفال ، وتتراوح المرحلة الصعبة من المرض ما بين اليومين والثلاثة أيام إذا كانت الإصابة معتدلة ، ويمكن ان تصل المرحلة الى ثلاثة أو حتى أربعة أسابيع عند الاشخاص الأشد إصابة ، أما إذا برزت تعقيدات إضافية فإن فترة المرض قد تطول أكثر من ذلك » .

وتقدم دائرة المعارف البريطانية إحصائية تفيد ان عدد المصابين بداء الترخينة لتناولهم لحم الخنزير يُقدّر بحوالي ٢٨ مليون شخص من سكان الأرض وأن ٢١ مليوناً منهم من سكان الولايات المتحدة الأميركية وحدها ، كما يرتفع عدد المصابين في اميركا ٣٥٠ ألفاً كل عام » .

ويذكر نورمان ليفين[١] ان أكثر الطفيليات خطراً في لحم الخنزير : هي الديدان السلكية المدورة Round Worms ... وأشدها ضرراً هي الصُفَّريَّة أو حيَّة البطن Ascaris Suum وتوجد الذكور منها في الأمعاء الدقيقة ... إلاّ ان ضررها الأكبر ينجم عن انتقال يرقات الديدان من مكان لآخر ، أما إناث الديدان فإن ما تبيضه يخرج من جسم الخنزير ، وسرعان ما تنمو اليرقات داخل البويضات المطروحة أرضاً ، كما ان هذه البويضات لها من القدرة الفائقة على مقاومة مؤثرات الحرارة والبرودة وأشعة الشمس والمواد الكيمائية ، ما يمكنها البقاء على قيد الحياة داخل التربة أكثر من أربع سنوات ، فإذا ما ابتلعها أحد الخنازير فانها تفقس في أمعائه ، ثم تنتقل اليرقات الى الكبد والرئتين حيث تنمو ، ثم يخرجها الخنزير عن طريق السعال ، لكنه لا يلبث ان يبتلعها ثانية ، وفي نهاية الأمر تصل سن البلوغ في أمعائه الدقيقة ، ويؤدي تنقلها في الجسم إلى اصابة الكبد والرئتين مما ينتج عنه التهاب رئوي ، وصعوبة في التنفس ، وتوقف في النمو الطبيعي ثم الموت ...

ومن طفيليات لحم الخنزير : ديدان الرئة lung worms وهي مؤذية أيضاً إذ تسكن في القنوات الشُّعَبية bronchial tubes وتسبب في وقوع التهاب الرئة ، ثم انها تساعد في نقل فيروس الانفلونزا الخنزيرية وربما نقلت فيروس حُمّى الخنزير ايضاً .

ومن الطفيليات أيضاً : الدودة السوطية whip worm التي تلتصق بجدار المصران الأعور ومنها أيضاً دودة الكلية kidney worm التي تؤذي الكبد والكليتين وأعضاء أخرى .

هذه خلاصة بعض الأمراض والطفيليات التي تصيب لحم الخنزير وتنتقل بالعدوى الى الإنسان من جراء تناول لحمه نقلناها عن دائرة المعارف البريطانية.

(١) أستاذ مادة الطفيليات في جامعة إيلينوى .

## دهن الخنزير وأضراره

ولحم الخنزير يحتوي على دهن اكثر من ضعفي اللحوم العادية وبذلك يجد آكلو لحم الخنزير ان كمية من الدهن ترسب في أجسامهم . وقد وجد العلماء ايضاً ان ( الكولسترول ) هو فضلة من فضلات الدهن تسيل في الدم بنسبة خاصة ، فإذا زاد تعاطي الدهن والزبدة والزيوت زادت نسبة ( الكولسترول ) في الدم . وهذا الكولسترول هو الذي يحدث تصلباً في الشرايين وأمراض القلب .

ويُنقل عن البروفسور ( دام ) الدانمركي الحاصل على جائزة نوبل في الكيمياء الحيوية أنه اثبت بالتجربة ان دهن الخنزير يصيب حيوانات التجارب بتكون الحصى في المرارة وانسدادها ، بينما تزول عنها هذه العلل إذا تضمن طعامها زيوتاً نباتية او دهوناً حيوانية أخرى .

## لحم الخنزير والإصابة بآلام المفاصل

لحم الخنزير يسبب امراضاً كثيرة لأنه يحتوي على أكبر كمية من « حمض البوليك » بين سائر الحيوانات، أما الحيوانات الأخرى غير الخنزير فهي تفرز هذه المادة بصفة مستمرة عن طريق البول ، ولهذا يشكو الخنزير من آلام المفاصل . والذين يأكلون لحمه هم الآخرون يشكون من آلام المفاصل والروماتيزم وما إلى ذلك من الأمراض المماثلة .

## لحم الخنزير وتأثيره على طبائع الإنسان

الغذاء له تأثير على طبع الإنسان وميوله وتنتقـــل اليه صفات وأخلاق الحيوان المتغذي بلحمه . فالخنزير في الأصل من الحيوانات المفترسة ، ومن المعروف ان نابي الخنزير يقطعان وهو صغير وإلاّ كان خطراً على كل من يقترب منه بعد نموه واكتمال قوته، كما ان الشائع جداً ان انثى الخنزير كثيراً ما تصاب بجنون النفاس بعد الولادة فتأكل مواليدها إن لم يبعدوها عنها ، كما ان الخنزير يأكل الفئران والجرذان . وقد حرّم الإسلام أكل لحم كل حيوان مفترس بل حرّم تناول لحوم الحيوانات آكلة اللحوم عامّة وإن لم تكن مفترسة كالقطط والكلاب لأسباب صحية لا تخفى على أحد .

والملاحظ ان القبائل المتخلفة في افريقيا التي تأكل الحيوانات آكلة اللحوم تصاب بنوع من الشراسة ، والميل الى العنف والقتل بدون حاجة وبلا سبب إلاّ الرغبة في سفك الدماء .

**الرد على اعتراض:** ولنرجع الى مسألة الطفيليات في لحم الخنزير ، فيقول البعض: إن إجادة طهو لحم الخنزير وطرق التعقيم الحديثة كفيلة بالقضاء على هذه الطفيليات[1] ، فنقول: ان الولايات المتحدة وما بلغته من مستوى معيشي مرتفع ، والتي لا يدخر المسؤولون فيها عن الصحة العامة وسعاً في اتخاذ أصلح الوسائل للتوقي من أضراره ولكن رغم كل هذا نرى ضخامة هذه الإصابات بداء الترخينة وعددها ٢١ مليون إصابة كما ذكرت ذلك دائرة المعارف البريطانية بالإضافة الى امراض أخرى تنشأ عنه .

## تناول الدم ومضاره

والاسلام حرّم تناول الدم ، والمراد به المسفوح أي المائع الذي يسيل ويراق من الحيوان وإن جمد بعد ذلك بخلاف المتجمد في الطبيعة ، كالطحال والكبد . وما يتخلل اللحم عادة من دم فإنه لا يعد مسفوحاً .

والدم ضار بالصحة إذا استعمل غذاء ، فالتحليل يثبت ان الدم يحوي كمية كبيرة من « حمض البوليك Uric Acid » وهو مادة تضر بالصحة إذا استعملت غذاء .

وقد يكون في الدم جراثيم وفيروسات بعض الأمراض المعدية فيكون في ذلك الضرر الكبير لمن يتناوله . وهذا هو السر في تحريم الإسلام لتناول الدم كما أنه هو السرّ في فرض الإسلام ذبح المواشي من الوريد الرئيسي في العنق حتى يخرج سائر الدم من جسم الحيوان .

والغريب ان الشعب الأوروبي الذي يدّعي الرقي يجعل الدم من الأغذية التي يتناولها بعد طهيها وجبلها بالطحين وهو غافل عن مضارها في الجسم .

---

(١) كثيراً ما تكون العدوى من المقانق والسجق ، فالشوي والقلي لهذين الصنفين يتمان سريعاً عادة ومن ثم لا يقضيان على الطفيليات الدفينة .

## أكل الميتة ومضارها

والإسلام حرّم الميتة ، الحيوان الذي مات ميتة طبيعية أو بحادثة من الحوادث . فالحيوان الميت ميتة طبيعية لا يموت إلاّ نتيجة مرض ، وهذا ما يجعل أكل لحمه ضارّاً ، وقد يكون مرضه معدياً وهنا الخطر على صحة الإنسان .

ويقاس على أكل لحم الميتة ما نص القرآن على تحريمه من أكلها وهي : ﴿ والمنخنقة ، والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع ﴾ .

فالمنخنقة : هي التي ماتت خنقاً ، والموقوذة : هي التي ضربت حتى ماتت ، والمتردية : هي التي سقطت من علو فماتت ، والنطيحة : أي التي ماتت بسبب نطح غيرها لها ، وما أكل السبع : أي ما مات بسبب أكل حيوان مفترس منه ، وهذه كلها لحوم ميتة ماتت من انفعالات فظيعة أو جروح تسرّبت اليها الميكروبات وجعلت أكل لحمها مضرّاً وخصوصاً ان دمها ما زال فيها .

## لحوم الحيوانات المفترسة والطيور الجارحة

والاسلام حرّم أكل كل ذي مخلب من الطير ، وكل ذي ناب من السباع لصلابة عضلاتها ، وتلوّن لحمها ، وقبح رائحتها . يقول النبي ﷺ : ( حرّم عليكم كل ذي مخلب من الطير ، وكل ذي ناب من السباع ) ، والمخلب للطير بمنزلة الظفر للإنسان . فلحوم هذه الحيوانات غير صالحة لمعدة الانسان لأنها تبذل جهداً عضلياً في افتراسها لغيرها ، فتقوى بذلك عضلاتها ، وتصلب وتكون عسرة الهضم .

## أكل ما ذبح للأصنام

وهو ما أطلق عليه القرآن ﴿ ما أُهلَّ لغير الله ﴾ .

والإهلال رفع الصوت ، فقد كان الوثنيون قبل الإسلام إذا ذبحوا رفعوا أصواتهم بقولهم : باسم اللات او العزى أو مناة وهي أسماء أصنام لهم كانوا يعبدونها .

فالحكمة من تحريم هذه اللحوم أن فيها مشاركة للوثنيين ومشايعة لهم ، فالإسلام يريد ان يحمي أهله من كل مظاهر الإشراك بالله لأن الذبائح لا تكون إلاّ باسم الله وحده ، قال تعالى : ﴿ فكلوا مما ذُكر اسم الله عليه إن كنتم مؤمنين ﴾ الأنعام : ١١٨

فذكر الله وحده هو اقرار بالعبودية له وحده ، وإن ازهاق ارواح هذه الحيوانات لأكلها لم يكن إلاّ استجابة لأمر الله ( فكلوا منها ) فالله هو الذي سخرها للإنسان للانتفاع بلحومها .

## الباب السادس

# خطايانا

# في المجتمع

- الظلم
- عدم التناهي عن المنكر
- التخلف عن جهاد العدو
- الكذب
- شهادة الزور
- النميمة
- البخل
- امتهان كرامة الغير

### اعتناء الإسلام بالمجتمع

اخترنا هذه الانواع من الخطايا الاجتماعية لأن خطرها يلحق بالمجتمع افدح الأضرار ، ويعود على الأمة بالوبال ، ونحن اذ نعرضها نحذر الناس من الوقوع فيها لأن اذاها يصيب صاحبها اولاً والمجتمع ثانياً ، وسنعرضها بالتفصيــــل .

# الظُـــــلم

الظلم في اللغة : الجوْر ومجاوزة الحدّ ، ووضع الشيء في غير موضعه ، وانتقاص الحق .

والظلم شرعاً : هو التعدي على الحق والميل الى الباطل ، وقيل : هـــو التصرف في ملك الغير ، ومجاوزة حدّ القانون الالهي ، والظالمون : هـــم المانعون أهل الحقوق حقوقهم .

فالإنسان الذي يتعدى على مال الغير هو ظالم .

والحاكم الذي لا يساعد الناس على نيل حقوقهم هو ظالم .

والقاضي الذي يخرج في حكمه عن الحق هو ظالم .

والشريك الذي يخون شريكه هو ظالم .

والزوج الذي يسيء معاملة زوجته وأولاده هو ظالم .

والزوجة التي لا تراعي حقوق زوجها ، وتهمل تربية أولادها هي ظالمة .

وبالإجمال كل عمل فيه انتقاص للحق وعدوان على الغير هو من الظلم .

وعلى هذا المفهوم انزل الله الشرائع — التي فيها العدالة المطلقة — للقضاء على الظلم بين الناس ، فعدم الأخذ بها وترك السير على مقتضاها هو غايـــة الظلم ، وقد صرح بذلك القرآن الكريم بقوله :

﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فأولئك هُمُ الظالمون ﴾ المائدة: ٤٥

﴿ ومن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فأولئك هُمُ الظالمون ﴾ البقرة : ٢٢٩ .

والظلم مرض اجتماعي يجب استئصاله حال ظهوره، وإلاّ كان خطره عاماً على الأمة ، والقرآن نبهنا الى هذه الحقيقة حين قال :

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الذين ظَلَمُوا مِنْكُم خَاصَّة ، واعْلَموا أنَّ اللهَ شديدُ العقاب ﴾ الانفال : ٢٥ .

والميل الى الظالمين والرضا بأعمالهم ومشاركتهم في ميولهم يؤدي الى عذاب النـــار :

﴿ ولا تَرْكَنوا(١) إلى الذينَ ظَلَمُوا فَتَمسَّكُمُ النَّارُ ﴾ هود: ١١٣ .

وشيوع الظلم في قوم يؤدي الى وصول اشرار الناس الى الحكم ، فتذوق الأمة جمعاء ألواناً من ظلمهم وسوء تصرفهم ، قال تعالى :

﴿ وكذلك نُولِّي بَعْضَ الظالمين بَعضاً بِمَا كَانوا يَكْسِبُون ﴾ الانعـــام : ١٢٩ .

والمجتمع الذي يسود فيه الظلم هو مجتمع يستحق اللعنة ، ويستحق عقاب الله في الدنيا والآخرة ، يقول سبحانه :

﴿ وَتِلكَ القُرى أهلَكْنَاهم لَمَّا ظَلَموا وَجَعَلْنا لِمَهْلِكهم مَوْعِداً ﴾ الكهف : ٥٩ .

﴿ يَوْمَ لا يَنْفَعُ الظالمين مَعْذِرَتُهُم ، وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّار ﴾ المؤمن : ٥٢ .

﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ غافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُون ، إنَّمـــا يُؤخِّرُهُم لِيَوم ٍ تَشْخَصُ فيه الأبْصَارُ ﴾ ابراهيم : ٤٢ .

وقد ورد عن النبي ﷺ أقوال في التنديد بالظلم وبيان عاقبته الوخيمة فقال فيما يرويه عن ربه :

---

(١) تركنوا : الركون إلى الشيء هو السكون والميل إليه بالمحبة . وقيل : لا تطيعوهم وتوادوهم ، وقيل : لا ترضوا بأعمالهم .

( يا عبادي إني حرّمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرّماً فـلا تظالموا )[1].

ويقول النبي ﷺ : ( إن الله ليُملي[2] للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلته )[3] ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ وكذلك أخْذُ ربك إذا أخذ القُرى وهِيَ ظالمةٌ إنّ أخذَهُ أليمٌ شديدٌ ﴾ هود : ١٠٢ .

ورُوي ان النبي ﷺ قال : ( من كانت له مَظْلمَةٌ لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلّله[4] منه اليوم قبل ان لا يكون دينار ولا درهم ، إن كان له عمل صالح أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمته، وإن لم تكن له حسنات أُخذ من سيئات صاحبه فَحُمِلَ[5] عليه )[6] .

ويقول النبي ﷺ ايضاً : ( أتدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس منا من لا درهم له ولا متاع ، فقال : إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيُعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النـار )[7] .

وروي ان النبي ﷺ قال لمعاذ لمّا بعثه الى اليمن: ( اتقِ دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب )[8] .

كما روي عن النبي ﷺ قوله : ( انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، فقال رجل : يا رسول الله أنْصُرُه إذا كان مظلوماً ، افرأيت إن كان ظالماً فكيف أنصره ؟ قال : تحجزه أو تمنعه عن الظلم فإن ذلك نصره )[9] .

ونختم كلامنا عن الظلم بهذين البيتين من الشعر لأحدهم :

لا تظلمنّ إذا ما كنت مقتدراً ... فالظلم ترجع عقباه الى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبـه ... يدعو عليك وعين الله لم تنم

---

(١) رواه مسلم . (٢) يملي : يمهل ويؤخر . (٣) رواه البخاري ومسلم .
(٤) فليتحلله : أي ليسأله أن يجعله بحل وليطلب منه براءة ذمته .
(٥) حمل عليه : عوقب الظالم به . (٦) رواه البخاري . (٧) رواه مسلم .
(٨) رواه البخاري ومسلم . (٩) رواه البخاري .

# عَدَمُ التَّنَاهِي عَنِ المُنكَرِ

لا صلاح لمجتمع في الأرض إذا لم يشعر فيه كل فرد بمسؤولية تجاه الآخرين .

ولقد نبه الإسلام أتباعه الى هذه المسؤولية التي تتبدى بصورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين هما جماع الفضائل كلها .

ولقد اعتبر الإسلام الجماعة التي تتجنب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جماعة آثمة تستحق اللعنة ، أي الطرد من رحمة الله ، وهذا ما حكاه الله عن جماعة من بني اسرائيل :

﴿ لُعِنَ الذينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي اسْرائيلَ على لِسَانِ داودَ وَعيسَى ابْنِ مَرْيَم ذلك بِمَا عَصَوْا وكانوا يَعْتَدون . كانوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُنْكَرٍ فَعَلُوه لَبِئْسَ ما كانوا يَفعلون ﴾ المائدة : ٧٨ ، ٧٩ .

لقد تقاعس بنو اسرائيل عن النهي عن المنكر فاستحقوا اللعنة من الله ، وهذا ينطبق على كل جماعة تتقاعس عن النهي عن المنكر .

فرؤية المنكر والسكوت عنه هو إثم كبير يحمل وزره كل فرد في المجتمع ، لأن السكوت عنه هو رضاء به ، وتشجيع للمفسدين لإشاعة فسادهم ، وإذا شاع الفساد عمّ الناس بلواه ، وأصابهم العذاب من حيث لا يشعرون ، ولهذا وصف الله المؤمنين بقوله :

﴿ والمُؤمِنُونَ وَالمُؤمِنَاتُ بَعْضُهُم أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يأمُرُون بالمعروف ويَنْهَوْنَ عَنِ المنْكَرِ ﴾ التوبة : ٧١.

قال الغزالي : افهمت هذه الآية ؟ ان من هجر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خرج من المؤمنين ، لذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أخص صفات الأمة الإسلامية التي نعتها الله بأنها خير أمة اخرجت للناس لاتصافها بهذه الصفات . قال تعالى :

﴿كنتم خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَت للناس ، تأمُرُون بالمَعْروف ، وتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَر ، وتُؤمِنُون بالله ﴾ آل عمران : ١١٠ .

ولقد أوصى النبي ﷺ المسلمين بمراعاة هذا الأصل فقال :

( من رأى منكم مُنكراً فليغيّره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان )[1] .

ويقول بعض أصحاب النبي ﷺ انهم بايعوه على عدة أمور ، احدها : ( ان نقول الحق أينما كنّا لا نخاف في الله لومة لائم )[2] .

ويقول النبي ﷺ : ( أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر )[3] .

كما يقول النبي ﷺ ايضاً : ( ما من قوم يُعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدرون على ان يغيّروا ثم لا يغيّرون إلاّ يوشك ان يعمهم الله بعقاب )[4] .

هذا المبدأ الذي قرره الإسلام لا يوازيه أي مذهب سمواً وصلاحاً ، فالإسلام يريد ان يكوّن في معتنقيه ( رأياً عاماً ) يقف في وجه كل شرّ وكل فساد مهما كان مصدره .

فما نراه اليوم من شيوع الفساد بداعي الحرية الشخصية لا مكان له في المجتمع الإسلامي ، لأن الحرية يجب ان تكون ضمن حدود الخير ، فإذا تعدّت ذلك كانت عدواناً على الآخرين ، وهذا مالا يجوز السكوت عنه ، بل تجب مقاومته بكل الوسائل .

## التخلّف عن جهاد العدوّ

التخلف عن جهاد العدو ومواجهته ، والفرار من المعركة ، من الأمور التي أولاها الإسلام اهتماماً خاصاً لخطورتها وأثرها في مستقبل الأمة ، لأن ذلك يؤدي الى الهزيمة ، وما يستتبع ذلك من إلحاق العار والذل بها ، وجرّ نير العبودية اليها .

والتخلف عن المعركة يكون في أثناء القتال والتحام الجيوش ، وهو المعروف باسم ( التولي يوم الزحف ) وتلك جريمة نعتها القرآن بأنها من

(١) رواه مسلم . (٢) رواه البخاري ومسلم . (٣) رواه أبو داود والترمذي .
(٤) رواه أبو داود .

الكبائر التي تفضي بصاحبها الى أمرين : غضب الله ، وعذاب النار في الآخرة ، قال تعالى :

﴿ يا أَيُّها الذينَ آمنوا إذا لَقيتُمُ الذينَ كَفَرُوا زَحفاً فَلا تُوَلُّوهم الأَدْبار ، وَمَن يُولِّهم يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إلاّ مُتَحَرِّفاً لِقِتالٍ أَوْ متحيِّزاً إلى فِئَةٍ فَقَدْ باءَ بغَضَبٍ مِنَ الله ، ومأواه جَهَنَّم وبئسَ المَصير ﴾ الانفال : ١٥ ، ١٦ .

فالله سبحانه ينهانا إذا لقينا الكافرين زاحفين للقتال ان نوليهم الادبار ، وهو كناية لطيفة عن الفرار ، وقد استثنى الله من الفرار حالتين : ١ ــ التحرف لقتال : أي الظهور بمظهر الانهزام لخدعة حربية . ٢ ــ التحيز الى فئة : أي الانضمام الى فئة للقتال معها فهاتان الحالتان لا إثم فيهما .

ويبين النبي الاثم الكبير للمتخلف عن جهاد الاعداء بقوله :

( اجتنبوا السبع الموبقات [1] ، قالوا : وما هن يا رسول الله ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرّم الله إلاّ بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي [2] يوم الزحف [3] ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات ) [4] .

وقد يكون التخلف عن جهاد العدو بالتقاعس عن خوض غمار المعركة ، وعدم المشاركة في جيوش المسلمين لدفع خطر الأعداء تكاسلاً وتهاوناً دون عذر إيثاراً للدعة وخفض العيش ودون مبالاة بأمور المسلمين كما حصل لثلاثة من المسلمين على عهد النبي ﷺ ، وهؤلاء قد أدبهم الإسلام أدباً نفسياً مؤلماً ، وعاقبهم عقاباً اجتماعياً كاد يخرجهم من جماعة المسلمين .

ويروي البخاري ومسلم قصتهم في حديث طويل يثير الألم والإشفاق حين تخلفوا عن الغزو مع رسول الله في غزوة تبوك دون عذر مقبول ، فأدبهم النبي بمقاطعتهم ومقاطعة المسلمين إياهم ، فكانوا لا يحادثونهم ، ولا يعاملونهم ولا يسلمون عليهم ولو كانوا من ذوي قرباهم ، ولننقل على لسان أحدهم بعض وقائع هذا الحادث باختصار :

---

(١) الموبقات : المهلكات . (٢) التولي : الإعراض والتخلف أو الفرار .
(٣) الزحف : السير البطيء ، والمراد به هنا زحف جيوش الأعداء المجهزة بأدوات الحرب
(٤) رواه البخاري ومسلم .

قال كعب بن مالك : فلما بلغني ان رسول الله توجه قافلاً[1] من (تبوك) حضرني بثّي[2] فطفقت اتذكر الكذب وأقول بِمَ اخرج من سخطه غداً ... فأجمعت صدقه وأصبح رسول الله قادماً ، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع ركعتين ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك جاءه المخلّفون ( أي عن المعركة) فطفقوا يعتذرون اليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلاً فقبل رسول الله منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ، ووكل سرائرهم الى الله ، حتى جئت فلما سلمت عليه تبسَّمَ تبسّم المغضب ثم قال لي: تعال ، فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال لي : ما خلّفك ؟ قلت يا رسول الله : والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت اني سأخرج من سخطه بعذر ... ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى عني به ليوشكن الله ان يسخطك عليّ ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد[3] عليّ فيه إني لأرجو فيه عفو الله ، لا والله ما كان لي من عذر ، والله ما كنت أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك ، فقال رسول الله : أما هذا فقد صدق ، فقم حتى يقضي الله فيك فقمت وبادرني رجال من بني سلمة واتبعوني فقالوا لي : والله مـــا علمناك كنت اذنبت ذنباً قبل هذا ، لقد عجزت ان لا تكون اعتذرت الى رسول الله بما اعتذر به المخلّفون ، فلقد كان كافيك من ذنبك استغفار رسول الله ، فوالله ما زالوا يؤنبونني حتى اردت ان ارجع الى رسول الله فأكذب نفسي ، ثم قلت لهم : هل لقي هذا معي من أحَدٍ قالوا نعم ، لقيه معك رجلان قالا ما قلت ، وقيل لهما مثل ما قيل لك ، فقلت : من هما ؟ قالوا مرارة بن الربيعة العامري وهلال بن أمية الواقفي ...

ونهى رسول الله الناس عن كلامنا نحن الثلاثة من بين من تخلّف عنه ، فاجتنبنا الناس حتى تنكرت لي في نفسي الأرض ، فما هي بالأرض التي كنت اعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة .

فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان ، وأما أنا فكنت اشب

---

(١) قافلاً : راجعاً . (٢) البث : أشد الحزن . (٣) تجد : تغضب .

القوم وأجلدهم[1] ، فكنت اخرج فأشهد الصلاة ، وأطوف بالاسواق فلا يكلمني أحد وآتي رسول الله فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة ، وأقول لنفسي : هل حرّك شفتيه برد السلام أم لا ، ثم أصلي قريباً منه وأسارقه النظر فإذا أقبلت عليّ صلاتي نظر إليّ فإذا التفت نحوه أعرض عني ،حتى إذا طال ذلك عليّ من جفوة المسلمين مشيت حتى تسوّرت حائط ابي قتادة — وهو ابن عمي وأحب الناس إليّ — فسلمت عليه فوالله ما ردّ عليّ السلام فقلت له : يا أبا قتادة انشدك الله[2] تعالى هل تعلمن إني أحب الله ورسوله، فسكت ، فعدت فناشدته فسكت فعدت فناشدته ، فقال : الله ورسوله أعلم ، ففاضت عيناي وتوليت ..

مضت أربعون ليلة من الخمسين إذ برسول رسول الله ﷺ يأتيني ، فقال : إن رسول الله يأمرك ان تعتزل امرأتك فقلت : أطلقها أم ماذا أفعل ؟ قال : بل اعتزلها ولا تقربنها ، وارسل الى صاحبيّ مثل ذلك ، فقلت لامرأتي إلحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر ...

فلبثنا عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله ﷺ عن كلامنا ، ثم صليت الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله منا ، قد ضاقت عليّ نفسي ، وضاقت عليّ الأرض بما رحبت سمعت صارخاً يقول بأعلى صوته : ياكعب بن مالك أبشر فخررت ساجداً ، وعرفت ان قد جاء فرج فآذن[3] رسول الله بتوبة الله علينا حين صلى الفجر فذهب الناس يبشروننا ...

انطلقت قاصداً رسول الله يتلقاني الناس فوجاً بعد فوج يهنئونني بالتوبة ويقولون لتهنئك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله جالس في المسجد وحوله الناس ... فلما سلمت عليه قال وهو يبرق وجهه من السرور : ابشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك ، قلت : أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال : بل من عند الله ... فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله : إن من توبتي ان انخلع من مالي صدقة الى الله والى رسوله

---

(١) أشب القوم وأجلدهم : أي أصغرهم سناً وأقواهم .

(٢) أنشدك بالله : أي أسألك بالله .

(٣) آذن : أعلم .

قال : امسك عليك بعض مالك فهو خير لك ... وقلت يا رسول الله إنما انجاني الله بالصدق ، وإن من توبتي ان لا أحدث إلاّ صدقاً ما بقيت .

وفي هذه الحادثة نزلت الآيات التالية تعلن توبة الله على هؤلاء الثلاثة منوهة بصدقهم :

﴿ لَقَد تَابَ اللهُ عَلَى النبي والمهَاجرين وَالأنصَار الذين اتّبعوه في سَاعَةِ العُسْرة[1] مِنْ بَعْدِ ما كَادَ يَزيغُ قُلُوبُ فَريقٍ مِنْهُم ثُمَّ تَابَ عليهم إنّه بِهِم رَؤوفٌ رَحيمٌ . وعَلَى الثلاثة الذين خُلّفوا حتى إذا ضَاقَتْ عليهم الأرضُ بِما رَحُبَتْ وضاقَتْ عَلَيهم أنفُسُهُمْ وَظَنّوا أنْ لا ملجأ مِنَ الله إلاّ اليه ثُمَّ تَابَ عليهم ليتوبوا إنَّ اللهَ هُوَ التَوّابُ الرحيم . يا أيُّها الذينَ آمنوا اتقوا الله وكونوا مَعَ الصَّادِقينَ ﴾ التـوبة : ١١٧ - ١١٩ .

هذا هو أسلوب الإسلام في عقوبة المتخلفين عن الجهاد حين يتحتّم القتال وهي عقوبة جماعية يشترك فيها كل فرد في الأمة حتى زوج الرجل وأهله لأن التخلف جرم اجتماعي يصيب كل فرد في الأمة ويتأثر به الجميع .

**فضيلة الجهاد** : وإذا كان التخلف عن الجهاد من الكبائر التي تستوجب غضب الله فإن الإسلام بالمقابل حث على الجهاد في سبيل الله لدفع الظلم ورد العدوان لتكون كلمة الله هي العليا ، وليعيش الناس آمنين في أوطانهم وعقيدتهم ومن أجل ذلك أمر الإسلام باعداد العدة ، وتأمين وسائل الدفاع حسب مـا يقتضيه كل عصر حتى لا تؤخذ الأمة على حين غرة ، وليكون ما لديها من القوى رادعاً للعدو ان يفكر في الغزو او الاعتداء ، قال تعالى :

﴿ وأعدّوا لَهُم ما استَطَعتُمْ مِنْ قُوّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الخَيْلِ تُرهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوّكُم ، وآخرين مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونهم الله يَعْلَمُهُم ﴾ الانفال : ٦٠ .

ومن جهة ثانية حث الإسلام على بذل المال والنفس في سبيل الله ، وان اجر المجاهد لا يعدله شيء ، فهو قد دخل في صفقة تجارة مع الله فهو على

---

(١) ساعة العسرة : أي في وقت الضيق والشدة وهو وقت غزوة تبوك .

حد تعبير القرآن يبيع نفسه مقابل جنان الخلد ، قال تعالى :

﴿ إنَّ الله اشترى مِنَ المؤمنين أنْفُسَهُم وأمْوالَهم بأنَّ لهم الجنّة ، يُقاتلون في سَبيلِ الله ، فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾ التوبة : ١١١ .

هذا فضلاً عن ان من يقتل في سبيل الله يسبغ الله عليه نعمة الحياة ، فهو إن قتل حيّ يرزق عند ربه ، قال تعالى :

﴿ ولا تحسبَنَّ الذين قُتِلوا في سَبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عِنْدَ ربهم يُرزقون ﴾ آل عمران : ١٦٩ .

ولا ريب أن الأمة التي تترك الجهاد تُغلب على أمرها ويغزوها العدو في عقر دارها ويسلب منها خيراتها ويجعلها ذليلة مستعبدة ، ومن هنا كانت نظرة الإسلام الى المتخلف عن الجهاد ، المتخاذل عن نصرة وطنه ، نظرة خطيرة يستحق عليها غضب الله وعذابه .

# الكَذِبُ

الكذب هو آفة المجتمعات في كافة العصور ، فهو يسبب الكثير من الرذائل والمساوىء ، فما صلح مجتمع والكذب رائج بين أفراده ، وما ارتقى شعب إلاّ عندما أصبح الصدق دعامة له .

فالكذب يولّد البغضاء بين الناس ، ويؤدي الى فقدان الثقة بينهم ، ويجعلهم متباعدين لا يُقام فيهم تعاون ، ولا تسري بينهم أُلفة ، ولهذا اعتبر الإسلام الكذب من كبائر الإثم ، ويكفي في ذلك قوله تعالى :

﴿ إنَّ الله لا يَهْدي من هو مُسْرِفٌ كذّاب ﴾ غافر : ٢٨ .

﴿ ثم نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ الله علَىَ الكَاذبين ﴾ آل عمران : ٦١.

ويقول النبي ﷺ موصياً بالصدق ومحذراً من الكذب :

( إن الصدق يهدي الى البِرّ ، وإن البرّ يهدي الى الجنة ، وإن الرجل لَيَصْدُقُ حتى يُكتب عند الله صدّيقاً ، وإن الكذب يهدي الى الفجور ، وان الفجور يهدي الى النار ، وإن الرجل لَيَكْذِبُ حتى يُكتب عند الله كذّاباً )[1] .

(١) رواه البخاري ومسلم .

ويقول النبي ﷺ :

( آية المنافق ثلاث : إذا حدّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان )[1] .

# شَهادَة الزّور

ومن مظاهر الكذب : شهادة الزور التي يترتب عليها ضياع حقوق الناس ، او الاعتداء على أملاكهم ظلماً وبهتاناً .

والجدير بالذكر ان الإسلام اعتبر شهادة الزور من اكبر كبائر الإثم ، وفي ذلك يقول النبي ﷺ :

( اكبر الكبائر : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وشهادة الزور ، فما زال يكررها حتى قلنا له : ليته سكت[2]) .

وشهادة الزور يساوي إثمها الاشراك بالله وفي ذلك يقول النبي ﷺ :

( عدلت[3] شهادة الزور الشرك بالله — قالها ثلاثاً[4] — ثم تلا قوله تعالى : فاجتنبوا الرِّجْسَ مِنَ الأوثان ، واجتنبوا قَوْلَ الزُّورَ . حُنَفَاءَ لله غَيْرَ مُشركين به ) الحج : ٣٠ ، ٣١ .

كما اخبرنا النبي بأن اليمين الكاذبة التي بواسطتها يأخذ الإنسان مال أخيه ظلماً هي من الكبائر ، فقد سأل اعرابي عن الكبائر ، فقال النبي ﷺ : ( الاشراك بالله، قال الاعرابي ثم ماذا ؟ قال النبي : عقوق الوالدين، قال ثم ماذا ؟ قال النبي : اليمين الغموس ، قال الاعرابي : وما اليمين الغموس ؟ قال النبي : الذي يقتطع[5] مال امرىء مسلم هو فيها كاذب )[6] .

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) ليته سكت : قال الصحابة ذلك شفقة على رسول الله وكراهية لما يزعجه ويغضبه وهذا الحديث رواه البخاري . (٣) عدلت : ساوت . (٤) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة . (٥) يقتطع مال امرىء : أي يأخذ قطعة من ماله لنفسه .

(٦) رواه البخاري.

# النميمة

من أهم أهداف الإسلام توثيق المحبة بين الأفراد والقضاء على كل أسباب الفرقة والبغضاء بينهم .

ولذلك حرّم الإسلام الأمور التي تنفّر القلوب ، وتثير العداوة والبغضاء ، ويأتي على رأس هذه الأمور : النميمة ، وقد عرفوها : بأنها نقل كلام الناس بعضهم الى بعض على وجه الإفساد بينهم ، وإفشاء السرّ وهتك الستر عما يُكره كشفه ، لهذا ينبغي السكوت عن حكاية ما شوهد من أحوال الناس مما يلحق الضرر بهم ، ويستثنى ما كان في حكايته نفع للغير او دفع ضرّ .

والباعث على النميمة إرادة السوء بالمحكي عنه ، أو التقرب للمحكي له ، أو الفرح بالخوض في الفضول ، ورؤية الناس متعادين متباغضين ليحصل للنمام من جراء ذلك نفع على حساب الضرر بالغير ، أو إرضاء لقلبه الأسود .

وقد جاء في القرآن في تقبيح النميمة والوعيد عليها قوله تعالى : ﴿ ويل لكل هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ﴾ قيل : هم المشاؤون بالنميمة المفرّقون بين الأحبة .

ووصف القرآن امرأة أبي لهب بأنها ( حمالة الحطب ) قيل بأنها كانت نمامة حمالة للحديث إفساداً بين الناس ، وسميت النميمة حطباً لأنها تنشر العداوة بين الناس كما ان الحطب ينشر النار .

ويقول النبي ﷺ محذراً من النميمة مبيناً إثمها العظيم : ( لا يدخل الجنة نمام ) [1] وفي رواية ( قتّات ) وهو النمام .

وروي ان النبي مرّ بقبرين فقال : ( انهما يعذبان ، وما يعذبان في كبير ( أي ذنب كبير ) أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة ، وأما الآخر فكان لا يستنزه من بوله [2] ) .

ولما كان النمام عنصراً خطراً على المجتمع أصبح لزاماً علينا مقاطعة هذا الصنف من الناس وعدم تصديقهم لأنهم فسقة في نظر القرآن ، قال تعالى :

---

(١) رواه البخاري ومسلم . (٢) يستنزه من بوله : لا يختفي عن أعين الناس عند قضاء الحاجة . وهذا الحديث رواه البخاري ومسلم .

﴿ يا أَيُّها الذين آمنوا إنْ جَاءَكم فاسِقٌ بنَبَأٍ فتَبَيَّنوا أن تُصيبوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فتُصْبِحُوا على ما فَعَلْتُم نادمين ﴾ الحجرات : ٦ .

وقد سمى القرآن النمام بالفاسق لأنه ينقل خبراً للإفساد بين الناس ، ولذلك حذرنا الله منه وأوصانا ان نتثبت من صحة أقواله ، لأن النمام لا يتورع عن اختلاق الكلام الفاسد مما يؤدي الى تسرع الفريق المنقول اليه الخبر الى الاساءة الى قوم ابرياء ، ثم يصبحون نادمين بعد ان يتبين لهم انهم كانوا على خطأ بسبب النميمة التي أشعلت الفتنة .

ويقول تعالى في النهي عن تصديق النمامين : ﴿ وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَهين . همّازٍ مَشّاءٍ بنميم ﴾ القلم : ١٠ ، ١١ .

فالمشاء بنميم هو ناقل الحديث بين الناس ليفتنهم ويوقع بينهم .

والنمام لا يوثق بصداقته ، ولا يؤمن شره ، وقد بيّن ذلك الحسن رضي الله عنه بقوله : ( من نمّ لك نمّ عليك ) .

# البخـل

البخل هو الأنانية الطاغية في اجلى مظاهرها ، فهو ينم عن قسوة في القلب وفقدان الرحمة وخلو من النزعة الإنسانية .

فالبخل يصيب المجتمع بأشد الكوارث والأضرار فهو يزرع الأحقاد في قلوب المحرومين نحو الأغنياء البخلاء مما يجعلهم يتحينون الفرص للتآلب عليهم وتدمير ممتلكاتهم .

وما حصل عبر التاريخ من ثورات دامية مدمرة كان مصدرها بخل الأغنياء الذين استأثروا بخيرات المجتمع ، وراحوا يصرفون أموالهم على ملذاتهم وشهواتهم بينما أبناء وطنهم يُقاسون الحرمان ويشتهون لقمة العيش .

لهذا اعتبر الإسلام البخل من كبائر الإثم ، فقد جاء في القرآن :

﴿ ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شرٌ لهم سيُطوّقون ما بخلوا به يوم القيامة ﴾ . آل عمران : ١٨٠

فالإسلام يعتبر المال الذي في حوزة الإنسان هو مال الله أعطاه للإنسان كوديعة لينفق منه على نفسه وعلى المستحقين من عباد الله. فالبخل بـــه على المحرومين هو احتكار للوديعة ومنع للمال من أن يؤدي دوره الخيّر في المجتمع مما يؤدي الى انعكاسات سيئة على أصحاب الثروات.

ولقد بيّن النبي ﷺ الإثم الكبير الذي يلحق بالبخيل فقال:

(البخيل بعيد من الله، بعيد من الجنة، بعيد من الناس)[1].

ويقول النبي ﷺ ايضاً: (لا يدخل الجنة خبٌّ[2] ولا بخيل ولا منّان)[3]

كما ان النبي ﷺ يعتبر البخل من أشد الأمراض ضرراً على المجتمع لما يترتب عليه من آثار سيئة فيقول: (وأي داء ادوأ من البخل)[4].

ويبين النبي ﷺ الآثار السيئة التي تترتب على البخل بقوله:

(إياكم والشح[5] فإن الشح أهلك من كان قبلكم أمرهم بالقطيعة فقطعوا[6] وأمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالفجور ففجروا)[7].

(إياكم والشح فإنه دعا من قبلكم فاستحلوا محارمهم[8] وسفكوا دماءهم وقطعوا أرحامهم)[9].

فالمؤمن أبعد الناس عن البخل لأن من أولى واجبات الإيمان الإحساس بآلام الخلق وان يحب الإنسان لأخيه ما يحب لنفسه لقول النبي ﷺ:

(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[10].

فالغني الذي يرى أخاه في الإنسانية يُقاسي الحرمان ولا يمد له يد العون هو أبعد الناس عن الإيمان ولهذا يقول النبي ﷺ هذا القول البليغ الجامع:

(خصلتان لا تجتمعان في مؤمن: البخل وسوء الخلق)[11].

---

(١) رواه الترمذي. (٢) خب: خداع. (٣) رواه الترمذي. (٤) رواه البخاري.
(٥) الشح: شدة البخل. (٦) فقطعوا: أي قطع صلة الأقارب.
(٧) رواه الإمام أحمد. (٨) استحلوا محارمهم: أي جعلوا الحلال حراماً.
(٩) رواه الإمام أحمد. (١٠) رواه البخاري ومسلم. (١١) رواه الترمذي.

# إمتهان كرامة الناس

سنت المدنية كثيراً من آداب السلوك التي تحفظ كرامة الغير ، ولكنها لم تبلغ الكمال والدقة في سبر أغوار النفس الإنسانية ، ولم تعط النفس الإنسانية حظها من الكرامة والاحترام كما فعل الإسلام بما شرعه من آداب السلوك مع الناس .

ولا ريب ان احترام الناس وحفظ كرامتهم من اهم الأمور التي تشيع الود في المجتمع وتحفظ وحدته ، كما ان امتهان كرامة الغير يؤدي الى البغضاء والتفرقة وفقدان التعاون، ولهذا اعتبر الإسلام كل ما يمس من كرامة الناس من الآثام التي يجب ان يجتنبها المؤمن ويندرج تحته : السخرية بالغير ، والطعن به ، ووصمه بالألقاب المكروهة ، وسوء الظن به ، والتجسس، والغيبة .

وهذه الآثام ذكرها القرآن في آيات كريمة استهلها بتبيان ان المؤمنين إخوة فرابطة الإيمان التي تجمعهم تعتبر كأخوة النسب ، فلا يحسن ان تخدش بأي أذى معنوي أو حسي ، قال تعالى :

﴿ إنّما المؤمنون إخْوَةٌ فأصْلحوا بَيْنَ أخَوَيْكُم ، وَاتّقوا الله لَعلّكُم تُرحَمون . يا أيها الذين آمنوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أن يكونوا خَيْراً مِنْهُم ، وَلاَ نِساءٌ مِنْ نساءٍ عَسَى أنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ ، ولا تَلْمِزُوا أنْفُسَكُم وَلاَ تَنَابَزوا بالألْقَابِ بِئْسَ الاسمُ الفسوقُ بَعدَ الإيمان وَمَنْ لَمْ يَتُب فأولئك هُمُ الظالمون . يا أَيُّها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً مِنَ الظَّنِّ إنَّ بَعْضَ الظنِّ إثْمٌ ولا تجسَّسُوا ولا يَغْتَبْ بَعْضكم بَعْضاً أيُحبُّ أحدكم أن يأكُلَ لَحْمَ أخيه مَيْتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله توابٌ رحيم ﴾ الحجرات : ٩ ــ ١٢ .

هذه الآيات نهت عن الآثام التالية :

**السخرية** : نهى الله المؤمنين ان يسخر فريق من فريق ، والسخرية من الصفات القبيحة التي تنم عن العجب بالنفس ، وعن احتقار الناس، وهي من

الأمور التي تولد العداوة بين الأفراد .

ومما يلفت النظر ان القرآن بعد ان نهى ان يسخر قوم من قوم ـ ويشمل هذا الرجال والنساء ـ عاد فخص النساء بالخطاب لأن السخرية اكثر ما تكون في محيط النساء .

والقرآن يبين حقيقة السخرية فيتساءل : كيف يسخر المؤمنون بعضهم من بعض فقد يكون المسخور منه أفضل من الساخر عند الله ، فالقيم الظاهرة التي يراها الرجال في أنفسهم ويراها النساء في أنفسهن هي قيم سطحية تتراءى لبعض قصار النظر ، فقد يسخر الذكي من الساذج والغني من الفقير ، وقد تسخر الجميلة من القبيحة ، والشابة من العجوز ، ولكن هذه القيم وأمثالها من قيم الأرض ليست هي القيم الحقيقية ، وبالتالي ليست هي المقياس ، فميزان الله الذي يرفع ويخفض يعتمد غير هذه الموازين، فهناك قيم داخلية في النفس لا يطلع عليها إلاّ الله .

**الطعن بالناس**: ونهى الله المؤمنين ان يعيب بعضهم بعضاً ـ بعد ان صدّر الآية بأنهم إخوة ـ فمتى عاب الإنسان أخاه فكأنما عاب نفسه وهذا معنى قوله تعالى : ( ولا تلمزوا أنفسكم ) وهو معنى لطيف يلفت القرآن أنظار المؤمنين إليه ليستشعروا بذلك وحدتهم ، وان هذه الوحدة لا يجدر ان يتطرق اليها أي عامل من عوامل التفــرقة .

ولقد أصبح الطعن بالناس من سمات هذا العصر فترى ذلك السياسي المرموق يطعن بسياسي آخر على صفحات الصحف قاصداً الحط من منزلته ليتبوأ هو المكان الأفضل فيسيء بذلك إليه والى أنصاره ومؤيديه ، وترى كثيراً من الناس يبتغون من الطعن بالغير سبيلاً لتنفيس حسدهم ، وإفراغ حقدهم ، أو سبيلاً للظهور .

وهكذا أصبح الطعن بالناس من الأمراض الشائعة في مجتمعنا الحاضر يفعله اكثر الناس غير آبهين بنهي الله عن هذا العمل الآثم .

**الألقاب المكروهة** : ونهى الله المؤمنين عن ( التنابز بالألقاب ) أي وصم المؤمنين بعضهم بعضاً بالألقاب المكروهة ولا فرق ان يكون اللقب المكروه

صفة له أو لأبيه او لأمه أو لغيرهم ممن له به صلة .

ثم يقول الله تعالى بعد ذلك : ( بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ) أي ان من يفعل السخرية واللمز والتنابز بالألقاب يوصف ( بالفسق ) أي الخارج عن طاعة الله والمؤمن يقبح منه ان يُسمى بالفاسق بعد ايمانه ، ثم يؤكد القرآن تحريمه لهذه الأمور بقوله : ( ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ) أي من لم يترك هذه الخصال الذميمة ينطبق عليه وصف الظلم ، والظلم أوعد الله عليه بالعذاب في الدنيا والآخرة .

**الظن السيّء** : وأمر الله المؤمنين باجتناب كثير من الظن فلا يتركون أنفسهم نهباً لكل ما يهجس في خاطرهم حول الآخرين من ظنون وشبهات ، ويعلل القرآن هذا الأمر : ( إن بعض الظن إثم ) وهذا التعبير يوميء باجتناب الظن السيء أصلاً ، لأن المؤمن لا يدري أي ظنونه تكون إثماً .

وبهذا يطهر الإسلام الضمير ان يتلوث بالظن السيء فيقع في الإثم ويدعه نقياً بريئاً من الهواجس والشكوك .

**التجسس** : ونهى الله المؤمنين عن التجسس لأنه الحركة التالية للظن السيء ، فالتجسس هو الرغبة في كشف العورات والاطلاع على السوءات ، والقرآن يقاوم هذا العمل الدنيء فللناس حرياتهم وحرماتهم وكراماتهم التي لا يجوز ان تنتهك في أي صورة من الصور ولا ان تمس بأي حال من الأحوال ، فالناس يحكم عليهم حسب ظواهرهم وليس لأحد ان يتعقب بواطنهم ، ولا ان يؤاخذهم إلاّ بما يظهر منهم من مخالفات .

أما ما تفعله الحكومة من بث العيون لتتبع خطوات المفسدين والمخربين فهو ليس من التجسس الذي نهى الله عنه لأنه يعتبر من باب درء المفاسد ونفعه يعود على الأمة شرط ان يُراعى في ذلك حرمات الناس .

**الغيبة** : ونهى الله المؤمنين عن الغيبة ، وهي ان يذكر المؤمن أخاه بما يكرهه سواء أكان الذكر صراحة ، ام كناية ، ام اشارة ، ام كتابة ، ام رمزاً ، وسواء اكان ما يذكره متعلقاً بدينه أم دنياه ، وبخُلقه ام خَلقه ، ولا فرق في الغيبة ان تكون في غيبة المغتاب ام بحضرته .

وقد قال النبي ﷺ : ( أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : ذِكرُكَ أخاك بما يكره ، قيل : أفرأيت لو كان في اخي ما أقول ، قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بَهتّه[1] أي قلت فيه كذباً وبهتاناً .

هذا وقد نفّر القرآن من الغيبة هذه حتى جعل المغتاب كأنه يأكل لحم أخيه المؤمن ميتاً ( أَيحِبُّ أحَدُكُم أن يأكُلَ لَحْمَ أخيه مَيْتاً فكرهتموه ) .

أمّا المجاهر بالفسق والداخل في مواطن الريب فلا يحرم ذكر حاله إذا قصد التنفير من عمله والتحذير من سلوكه .

فالغيبة من أقبح الصفات التي تعكر صفو العلاقات بين الناس ، ذلك ان الذي يوثق المودة بين المؤمنين هو تلك النفوس الطيبة التي تضمر الود والخير للناس ويتبدى ذلك منها في بريق العينين واللهجة الصادقة الصادرة من اعماق النفس ، أما الكلام عن الغير في غيبته بما يسوؤه ويخدش من كرامته فهو تعكير لأجواء النفوس وخدش لتلك الرابطة الوثيقة التي تربط بين المؤمنين .

ثم ختم الله هذه الآيات بقوله : ( واتقوا الله إن الله توابٌ رحيم ) فمن يتق الله ويجتنب ما نهى عنه ويقلع عن فعل هذه الصفات الذميمة فإن الله تواب رحيم .

وبهذا يتضح دور الإسلام في آداب السلوك وتحذيره المؤمنين من ممارسة هذه الصفات الذميمة حتى يظل المؤمنون إخوة يشيع بينهم الود والإخاء .

---

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي .

الباب السابع

# خطايانا

# في المعاملات

- الغش
- أكل أموال الناس بالباطل
- الحلف الكاذب
- أكل مال اليتيم
- الرشوة
- أكل الربا
- الاحتكار

## منهج الإسلام في المعاملات

المعاملة المثلى للناس تقوم على اعطائهم حقهم كاملاً مع اجتناب كل ما يصيبهم من ضرر ، ولقد أدركت المدنية الحديثة هذا المفهوم العادل للمعاملات ، فسارت على ضوئه وسنت القوانين التي تكفل تحقيقه .

ولقد جاء الإسلام منذ أربعة عشر قرناً بتعاليم غاية في السمو في المعاملات لم تبلغها المدنية الحديثة ، وهذه التعاليم تقوم على العدل المطلق والمساواة بين الجميع ، ورفع الضرر والأذى عن الغير ، وبالإضافة الى ذلك فهي تهذب الوجدان ، وتعالج الجانب الخفي من اعمال الإنسان التي لا يصل اليها قانون العقوبات ، إذ هو يسري على الجرائم والمخالفات الظاهرة دون الخفية ، لأنه لا يطلع عليها . أما الإسلام فيجعل ضمير الإنسان رقيباً على الأعمال الظاهرة منها والخفية ، لأن الله لا تخفى عليه خافية ، يقول تعالى :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان وَنَعْلَمُ ما تُوسْوِسُ به نَفْسُهُ ، ونَحْنُ أقْرَبُ إلَيهِ مِنْ حَبلِ الوَرِيد ﴾ ق : ١٦ .

كما أفهمنا الإسلام ان الأعمال سواء الظاهرة أو الخفية ستعرض على رب العالمين يوم القيامة ، وسيحاسب الناس عليها .

والإسلام لم يكتف بذلك ، بل اعطى لأولي الأمر السلطة لمعاقبة الذين يتعدون على حقوق الغير وتأديبهم بما يتناسب مع تعدياتهم .

والى القارىء بعضاً من آفاتنا في المعاملات وكيفية معالجتها في نظر الإسلام بما يحقق صلاح المجتمع .

# الغش

هو آفة المعاملات ، فهو الذي يقضي على الثقة بين الناس ، وإذا انتفت الثقة بينهم حلّ محلها الشك والبغض والأثرة ، وقضي على التعاون الذي هو أهم عنصر في تسهيل المعاملات والنهوض بالمجتمع .

يُروى ان النبي ﷺ مرّ على صبرة[١] طعام ، فأدخل يده فيها فنالت اصابعه بللاً ، فقال : ( ما هذا يا صاحب الطعام ؟ قال : أصابته السماء ( أي المطر ) يا رسول الله ، فقال النبي : أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس ؟ من غش فليس منا )[٢] .

من يتأمل قول النبي : ( من غش فليس منا ) يعلم ان الغش أمر عظيم ، وإن فاعله يسير على غير سيرة ومذهب المسلمين من الصدق في المعاملة والنصيحة في البيـــع .

ومن الغش الذي ينكره الإسلام : ان يبيع البائع بضاعة فيها عيب ، ولا يبين هذا العيب للمشتري[٣] ، يقول النبي ﷺ :

( المسلم أخو المسلم ، ولا يحل لمسلم إذا باع من اخيه بيعاً فيه عيب ان لا يبينه )[٤] .

والإسلام يريد ان يغرس في نفوس الناس الاستقامة في المعاملة حتّى انه يذهب بعيداً في ذلك ، فيأمر البائع ان ينصح الشاري ، ويرغب له بالخير مثل ما يرغب لنفسه ، فيقول النبي ﷺ : ( الدين النصيحة )[٥] ويقول : ( لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه )[٦] .

---

(١) الصبرة : ما جمع من الطعام بلا كيل ولا وزن . (٢) رواه مسلم والترمذي .

(٣) من مظاهر الغش في بلادنا ما يفعله المزارعون في صناديق الفاكهة والخضار ، حيث يجعلون الأصناف الجيدة في القسم الأعلى والأصناف الرديئة في أسفل الصناديق ، فيجب القضاء على هذه الآفة بأشد العقوبات حتّى يرتدع كل من تسول له نفسه الاستفادة عن طريق الإضرار بالغير .

(٤) رواه الإمام أحمد وابن ماجه . (٥) رواه النسائي . (٦) رواه البخاري ومسلم .

ومن الغش الذي أنكره الإسلام أشد الإنكار : تطفيف الكيل وعدم ايفاء الوزن حقه . قال تعالى : ﴿ وزنوا بالقسطاس المستقيم ﴾ الشعراء : ١٨٢ . والمعنى : وزنوا الأشياء بالميزان العدل المضبوط .

وأوعد الله بالعذاب الذين يغشون الناس بإنقاص حقهم في المكاييل والأوزان مذكراً إياهم بموقف الحساب يوم القيامة حيث يبعثون احياء من قبورهم ليجازيهم الله على ما اقترفوا في دنياهم .

﴿ وَيْلٌ للمُطفّفين . الذين إذا اكتالوا[1] عَلَى النّاس يَسْتَوفون[2] . وإذا كالُوهم أو وَزَنُوهم يُخْسِرونَ . ألاَ يَظُنُّ أولئك أنّهمُ مَبعُوثونَ لِيَوم ٍ عظيم . يَوْمَ يَقومُ النَّاسُ لربِّ العالمين ﴾ المطففين : ١ — ٦ .

ولقد ذكر القرآن قصة مدينة ( مدْيَن ) التي نشأ فيها الغش بالمكاييل والأوزان فأرسل الله إليهم نبيه شعيباً مُرشداً لهم ، قال تعالى :

﴿ وَإلى مَدْيَنَ أخاهم شُعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم مِنْ إله غَيْرُهُ قد جَاءتكم بيِّنَةٌ مِنْ ربّكم ، فأوفوا الكيْلَ والميزان ولا تَبْخَسوا الناس أشيَاءهم ولا تُفْسِدُوا في الأرض بَعْدَ إصْلاحها ذَلِكُمْ خَيْرٌ لكم إنْ كُنتُم مؤمنين ﴾ الاعراف : ٨٥ .

ولكن أهالي مدينة ( مدين ) لم ينتهوا عَمّا هم فيه ، ولم يستجيبوا لدعوة نبيهم ، فيخبرنا القرآن بأن الله أرسل عليهم العذاب وأهلكهم بصاعقة شديدة ، قال سبحانه :

﴿ وَلمَّا جَاء أمْرُنا نَجّينا شُعيباً والذين آمنوا مَعَهُ بِرَحمَةٍ مِنَّا ، وَأَخَذَتِ الذين ظَلَموا الصَّيحة فَأصْبَحوا في دِيَارهم جاثمين ﴾ هود : ٩٤.

وهذا إرشاد للناس بأن شيوع الغش في الكيل والميزان والفساد في الأرض نذير بحلول عذاب الله على مرتكبيه .

---

(١) اكتالوا : أخذوا بالكيل . (٢) يستوفون : يأخذون الكيل وافياً .

# اكل أموال الناس بالباطل

ومن الآفات ايضاً في مجتمعنا الحاضر: أكل أموال الناس ظلماً وعدواناً ، ولقد شرعت المدنية الحديثة كثيراً من القوانين لتقضي على الخلاف بين الأفراد، ولكن هذه القوانين لم تعط ثمارها المنشودة بسبب ضعف الوازع الديني وسوء التربية الخلقية عند الأفراد ، فنرى الشكاوى والدعاوى تكتظ بها سجلات المحاكم ، ولا يجد القضاة الوقت الكافي للبت فيها فيظل قسم كبير معلقاً سنين في المحاكم مما يضيع الحقوق ، وينزع الثقة ، ويشجع الفساق والأشرار على زيادة مغامراتهم لاعتقادهم أنهم في منأى من العقاب ، إذ لن يكتشف احد أمرهم ، ولن تثبت ادانتهم إلاّ بصعوبة وبعد وقت طويل .

والإسلام — بجانب ما شرعه من العقوبات للمعتدين على حقوق الغير — يتوجه الى أعماق النفس ليستثير فيها الضمير والخوف من الله لتسلك سبيل الخير مع الغير وتتجنب أكل ماله بالباطل ، قال تعالى :

﴿ يا أيُّها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بَيْنكم بالبَاطل إلاّ أنْ تَكونَ تِجارةً عَنْ تَراضٍ منكم ولا تَقْتلوا أنْفُسَكم إنّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رحيماً . ومَنْ يَفْعَل ذلك عُدواناً وظُلْماً فَسَوفَ نُصليه نَاراً وكَانَ ذَلِكَ على الله يَسيراً ﴾ النساء : ٢٩ — ٣٠ .

وأكل مال الغير يشمل كل مأخوذ بغير حق سواء أكان على جهة الظلم كالغصب والخيانة والسرقة والمقامرة[١] ، أم على جهة المكر والخديعة كالمأخوذ بعقد فاسد .

وفي قوله تعالى : ( إلاّ ان تكون تجارة عن تراضٍ منكم ) بيان ان التجارة لا تحمد ولا تحل إلاّ إذا صدرت عن تراضٍ من الجانبين ، والتراضي يحصل حيث لا يكون هناك غش ولا تدليس .

---

(١) القمار إثمه كبير حتى أن طلب مقامرة الغير بدون ممارسة القمار يعتبره الإسلام إثماً يجب التكفير عنه بالصدقة ، فقد قال النبي : ( من قال لصاحبه تعال أقامرك فليتصدق ) رواه البخاري

وقد أضاف الله الأموال الى الجميع فقال: ( لا تأكلوا أموالكم ) فلم يقل لا يأكل بعضكم مال الآخرين للتنبيه الى تكافل الأمة في حقوقها ومصالحها فهو يقول : إن مال كل واحد منكم هو مال أمتكم ، فمن أكل مال أخيه بالباطل فكأنما أكل مال نفسه ، أو كأنما أكل مال المؤمنين جميعاً ، وهذه نظرة تكافلية جاء بها الإسلام فهو يجعل مال كل فرد مالاً لأمته جميعاً مع احترام الملكية الخاصة .

ثم حذّر الله في آخر الآية بأن من يفعل ذلك فعقوبته العذاب الأليم يوم القيامة .

وللنبي ﷺ وصاية في غاية السمو تنهى عن أكل أموال الناس بالباطل ، منها قوله :

( من أخذ من الأرض شيئاً بغير حقه خُسِفَ به يوم القيّامة إلى سبع أرضين )[1] .

( من أخذ أموال الناس يريد إتلافها أتلفه الله )[2] .

ويحذّر النبي ﷺ من أكل مال الحرام بقوله : (كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به )[3] .

وذكر النبي ﷺ حال ثلاثة هو خصمهم يوم القيامة منهم : (رجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ( أي أتعابه ) ولم يعطه أجره )[4].

ويبين النبي ﷺ للباعة الطريقة التي يجب ان يتبعوها للحصول على الخير الكثير ، واجتناب الضرر فيقول : (البيّعان بالخيار ما لم يتفرّقا ، فإن صدقا وبيّنا بورك لهما في بيعهما ، وإن كتما وكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعهما )[5].

---

(١) رواه البخاري .
(٢) رواه البخاري .
(٣) رواه الترمذي .
(٤) رواه البخاري .
(٥) رواه البخاري و مسلم .

# الحلف الكاذب

ولما كان هناك سبيل الى اكل أموال الناس بالباطل عن طريق الحلف الكاذب فقد حذّر النبي ﷺ من ذلك بأنه يُذهب بركة الكسب ، ويعرّض الحالف لغضب الله فقال :

( الحلف مَنفَقَةٌ لِلسِّلْعَة مَمحَقَةٌ[١] للكسب )[٢].

وذكر النبي ﷺ حال ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكّيهم[٣] ولهم عذاب أليم، فذكر منهم : ( المنفق سِلْعَتَه بالحِلْفِ الكاذب )[٤].

ويقول النبي ﷺ ايضاً : ( من حلف على يمين كاذباً ليقتطع مال رجل لقي الله وهو عليه غضبان )[٥] .

وقد انتشر الحلف الكاذب انتشاراً ذريعاً في عصرنا الحاضر ، وخُدِعَ بواسطته كثير من أصحاب النفوس السليمة ، فلا غرابة ان كان الحالف مكروهاً من الله ،وكان المال الذي يكتسبه من ذلك مالاً حراماً لا بركة فيه .

# أكْل مَالِ اليَتيم

اليتامى صغار ضعاف فقدوا المعين فاستحقوا من الله مزيد عناية ، ورحمة وكرامة ، فمن عنايته بهم التحذير من أكل أموالهم وجعل ذلك من كبائر الإثم، قال تعالى :

﴿ وآتوا اليتامى أمْوَالَهُم وَلاَ تَتَبَدَّلُوا الخبيثَ بالطيّب ، ولا تأكلوا أمْوالَهُم إلى أموالكم إنّه كَانَ حُوباً[٦] كبيراً ﴾ النساء : ٢ .

كما أوعد الله بالعذاب الشديد يوم القيامة من يأكل أموالهم ظُلماً ، فقال سبحانه :

---

(١) ممحقة : مهلكة . (٢) رواه البخاري ومسلم .
(٣) يزكيهم : يطهرهم من ذنوبهم . (٤) رواه مسلم . (٥) رواه البخاري .
(٦) حوباً : إثماً عظيماً ، وخصه بعض العلماء بالذنب العظيم .

﴿ إنَّ الذين يأْكلونَ أمْوالَ اليتَامى ظُلْـماً[1] إنّما يأكلونَ في بطونِهم نَاراً وسيَصْلون سعيراً ﴾ النساء : ١٠ .

ويقول النبي في التحذير من أكل مال اليتيم :

( اجتنبوا السبع الموبقات)[2] وذكر منها : ( أكل مال اليتيم ) [3].

**ثواب كفالة اليتيم** : وإذ حذّر الإسلام من أكل مال اليتيم ظُلماً فإنه من جهة أخرى يستثير الرحمة في قلوب الأولياء المشرفين على تربية اليتامى ، يقول تعـالى :

﴿ ولْيَخشَ الذين لو تركوا مِنْ خَلْفِهم ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافوا عليهم فليتّقوا الله ﴾ النساء : ٩ .

والمعنى : فليخش الأولياء الذين يشرفون على أموال اليتامى من أكل أموالهم كخيفتهم على ذريتهم الضعاف من بعد موتهم .

ويرغّب النبي ﷺ بثواب من يقوم على كفالة اليتيم بالعناية والرحمة فيقـول :

( أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا )[4] وأشار بإصبعيه السبّابة والوسطى وفـرّج بينهما .

ويقول ايضاً : ( خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يُحسن اليه ، وشرّ بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يُساءُ اليه )[5] .

ما أسمى هذا المفهوم الذي يدعو اليه الإسلام من تجنب أكل مال اليتيم والحض على كفالته والاعتناء به ، لا ريب ان ذلك من أهم الأسباب لتخفيف لوعة اليتم وشقائه .

---

(١) ليس من الظلم أخذ الولي الفقير المحتاج أجراً عادلا من أموال اليتيم في مقابل ولايته . والأجرة العادلة هي التي لا يستنكرها أهل المروءة والخبرة بالأعمال ، أما الولي الغني فإن الإسلام يأمره بالعفة عن أخذ شيء من أجرة على ولايته وليكون عمله إنسانية ومروءة .

(٢) الموبقات : المهلكات . (٣) رواه البخاري ومسلم .

(٤) رواه البخاري . (٥) رواه ابن ماجة .

# الرّشْـــوَة

هي اعطاء صاحب منصب أو نفوذ مالاً أو متاعاً ليسهّل له اخذ شيء لا حق له فيه ، فكلٌ من الراشي والمرتشي أخذ ما ليس له به حق ، لذلك نهى الله المؤمنين عن أكل أموال الناس عن طريق رشوة الحكام فقال سبحانه :

﴿ ولا تأكلوا أمْوالكم بينكم بالباطل وتدْلُوا بها إلى الحكّام لِتأكلوا فَريقاً مِن أموالِ النّاسِ بالإثم وأنْتُم تعلمون ﴾ البقرة : ١٨٨ .

ومعنى الآية : لا تصانعوا الحكام ولا ترشوهم لتستولوا على مال غيركم بغير حق ، فكيف تقدمون على ذلك وأنتم تعلمون ان هذا الفعل باطل قبيح .

إن حكم هذه الآية ينطبق على مجتمعنا الحاضر الذي كثرت فيه الشكاوى والدعاوى في المحاكم ، فكثير من الناس يستولون على مال الغير ظلماً عن طريق المحاكم التي تبني أحكامها على الأدلة الظاهرة وهم يمهدون لذلك عن طريق استغلال بسطاء القلوب ورشوة بعض المتنفذين والشهود والخبراء والاستعانة بالمحامين المهرة .

ونلاحظ ان الآية ذكرت رشوة الحكام ولم تذكر سواهم لكثرة حدوث هذا النوع من الرشوة ، ولأن ضررها فاحش جداً .

وللنبي ﷺ أقوال في تقبيح الرشوة عموماً، فقد رُوي عن عبد الله بن عمر قوله :

( لعن رسول الله الراشي والمرتشي )[1] .

ورُوي ايضاً عن ابي هريرة انه قال : ( لعن رسول الله الراشي والمرتشي في الحكم )[2] .

فالراشي هو الذي يعطي الرشوة ، والمرتشي هو الذي يأخذ الرشوة ، وإنما تلحق اللعنة إذا قصد بها أذية الغير ، أو نيل ما لا يستحق ، أما إذا اعطى ليتوصل الى حق له ، ويدفع عن نفسه ظلماً ، فإنه غير داخل في اللعنة .

---

(١) رواه أبو داود والترمذي . (٢) رواه الترمذي وابن ماجه .

ورُوي في حديث آخر ان اللعنة تصيب ( الرائش ) ايضاً وهو الساعي بين الراشي والمرتشي .

والإسلام يحرم الرشوة في أي صورة كانت وبالأخص ما جاء تحت اسم الهدية ، يقول النبي ﷺ :

( من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً ( أي منحناه راتباً ) فما أخذه بعد ذلك فهو غلول[1] ) .

( واستعمل النبي رجلاً من قبيلة الأزد يُقال له ابن اللتيبة على الصدقة فلما قدم قال : هذا لكم وهذا أُهدي لي ، فقال النبي : فهلاّ جلس في بيت ابيه أو بيت أمه فينظر يُهدى له أم لا ، والذي نفسي بيده لا يأخذ أحد منه شيئاً إلاّ جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته ... )[2] .

## أكل الربا

بث الإسلام روح التعاون بين الأفراد والجماعات ، وأثار عاطفة الخير في القلوب ، ولهذا نراه اباح من أنواع المعاملات ما يحقق هذا المبدأ النبيل ، وحرَّم كل ما من شأنه ان يقطع أواصر الألفة ويؤدي الى العداوة والبغضاء .

ومما حرّمه الإسلام أشدّ التحريم وجعله من كبائر الإثم : الربا ، فقد شدّد في تحريمه وبالغ في النكير على المتعاملين به وجعلهم من الخالدين في النار كما جعلهم في مرتبة واحدة مع الكفار الآثمين ، قال تعالى :

﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلاّ كما يَقُومُ الذي يتخبّطهُ الشّيطان مِنَ المَسّ ، ذَلِكَ بأنّهم قالوا : إنما البَيْعُ مِثْلُ الرّبا ، وأحلَّ اللهُ البيع وَحَرَّمَ الرّبا فَمَنْ جاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ ربّه فانتهى فَلَهُ مَا سَلَفَ وأمْرُهُ إلى الله وَمَنْ عَادَ فأولئك أصْحَابُ النّارِ هُمْ فيها خالدون . يَمْحَقُ اللهُ الرِّبا ويُربي الصّدَقات واللهُ لا يُحبّ كل كفّار أثيم ﴾ البقرة : ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

(١) غلول : خيانة . وهذا الحديث رواه أبو داود . (٢) رواه البخاري .

وجعل النبي ﷺ المتعاملين بالربا وشهوده والكاتبين صكوكه شركاء في الإثم ، وشملهم جميعاً بلعنته ، فقد رُوي عن ابن مسعود انه قال :

( لعن رسول الله آكل الربا ومُوكله وشاهديه وكاتبه )[١] .

وعَدّ النبي ﷺ الربا من المهلكات في الدنيا والآخرة ، وجعله في مرتبة تلي القتل في الإثم فقال :

( اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا يا رسول الله وما هن ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرّم الله إلاّ بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات )[٢] .

وكيف لا يكون الربا قرين القتل وقد خرّب البيوت العامرة ، وشتت الأسر الكريمة ، وأورث القلوب غلاً وحقداً ، وماذا وراء ذلك إلاّ سفك الدماء وإزهاق الأرواح .

فالإسلام حرّم الربا لأنه يجعل العلاقة بين افراد المجتمع علاقة مادية بحتة لا ظل فيها للتعاون ، ولا قيمة فيها للأخلاق ، يجعل طبقة من الناس طفيلية تعيش على جهد الغير فتستنزف عرق جباههم وتسعد بشقائهم .

كما ان الربا يغري أرباب الأموال بأن لا يستغلوا أموالهم إلاّ في هذا الباب لأنه في زعمهم أضمن فائدة ، وأبعد عن مظان الخسارة ، وحينئذ تموت المشاريع العمرانية والصناعية التي يعود خيرها على جميع الطبقات ، إذ المال ليس سلعة مقصودة لذاتها في التجارة ، وانما هو وسيلة للبيع والشراء ، بينما الربا يصيّره مقصوداً لذاته فيحتكره المرابون فتتعطل مصالح الناس ، وتتولّد من جراء ذلك الثورات والاضطرابات في المجتمع .

ثم إن الربا ايضاً يجعل العلاقة بين أصحاب الأموال وبين العاملين في التجارة والصناعة علاقة مقامرة ومشاكسة مستمرة ، فإن المرابي يجتهد في الحصول على أكبر فائدة ، ومن ثمّ فهو يمسك المال حتى يزيد في اضطرار أصحاب التجارة والصناعة إليه فيرفع سعر الفائدة عندئذ حتى تبلغ أضعاف الربح المتوقع المألوف ، مما يؤدي بالمدينين إلى الافلاس وربما الى الانتحار .

---

(١) رواه الترمذي وأبو داود . (٢) رواه البخاري ومسلم .

ومن المشاهد ان المستهلكين من عامة الشعب يؤدون ضريبة غير مباشرة للمرابين ، فإن أصحاب الصناعات والتجار لا يدفعون فائدة الأموال التي يقترضونها بالربا إلاّ من جيوب المستهلكين ، فهم يزيدون في أثمان السلع الاستهلاكية فيتوزع عبئها على المستهلكين من أبناء الشعب لتدخل بغير حق في جيوب المرابين في النهاية .

والربا نظام معيب من الوجهة الاقتصادية ، وقد أشار الى ذلك بعض أساتذة الاقتصاد الغربيين أنفسهم ، يقول الدكتور ( شاخت ) الألماني ومدير بنك الرايخ سابقاً في محاضرة له بدمشق عام ١٩٥٣ : انه بعملية رياضية غير متناهية يتضح ان جميع المال في الأرض صائر الى عدد قليل من المرابين ، ذلك ان الدائن المرابي يربح دائماً في كل عملية بينما المدين معرض للربح والخسارة ، ومن ثَمّ فإن المال كله في النهاية لا بد — بالحساب الرياضي — ان يصير الى الذي يربح دائماً ، وإن هذه النظرية في طريقها للتحقق الكامل ، فإن معظم مال الأرض الآن يملكه ملكاً حقيقياً بضعة ألوف من الماليين الذين يتعاملون بالربا ويسيطرون على المصارف .

لهذه الحقائق كلها وغيرها يعلن القرآن ان المجتمع الذي يقوم على الربا ملعون ومعرض لحرب الله ، وأهله مطرودون من رحمته ، قال تعالى :

﴿ يا أَيُّها الَّذين آمنوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا ما بَقِيَ مِنَ الرِّبا إن كُنتُم مؤمنين . فإن لَمْ تَفْعَلُوا فأذنوا بحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُوله، وإن تُبْتُم فَلَكُمْ رؤوسُ أموالكم لا تَظْلِمُونَ ولا تُظْلَمونَ ﴾ البقرة : ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

ولعل البشرية لم تصل في تاريخها الطويل الى مثل ما وصلت اليه اليوم من علوم ومعارف ، ولكنها مع ذلك لم تصل — في تاريخها الطويل — الى مثل ما وصلت اليه اليوم من اضطراب الأحوال والمشاكل الطارئة .

أليست هذه نُذُراً من الله لعباده، بتلك الحرب التي آذنهم الله بها لانتهاكهم حرماته وخروجهم على تعاليم دينه وجعلهم الربا أساساً من أسس معاملاتهم ، وويل للبشرية يوم تصبح في حالة حرب مع الله .

فالإسلام نظام متكامل ، فهو حين يُحرّم التعامل بالربا يقيم نظامه كله على أساس الاستغناء عنه ، لذا كان من واجبات الدولة الإسلامية ان تقوم بإقراض المحتاجين ، بل ان تقوم بأكثر من ذلك بأن تفي الديْن عن المدينين الذين استدانوا بغير اسراف ، أو لحاجة ملحة ولا قدرة لهم على الوفاء ، وهذا ما قرره الإسلام في مصارف الزكاة .

كما ان الإسلام حض على التعاون ( وتعاونوا على البر والتقوى ) فيجب إنشاء الجمعيات التعاونية والمصارف اللاربوية التي تحقق هذا الهدف فيعم الخير الجميــع .

وما يجري الآن من اهمال كثير من الدول الإسلامية في تطبيق الإسلام بحذافيره والتعامل بالربا بواسطة البنوك وغيرها يثير التساؤل وما هو موقف الإسلام منه ويجيب على ذلك احد كبار علماء الأزهر [1] بقوله :

( أما عن فوائد الأموال المودعة في البنك فقد قرّر المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية ان اخذها حرام ) .

ثم سُئل : هل يترك المودع الفائدة للبنك فأجاب :

( رأيي انه إذا كان ترك هذه الفوائد سيؤدي الى أن تتخذ وسيلة لزيادة قوة أعداء الإسلام واستغلالها والضغط عليهم فإنه في هذه الحالة يجوز أخذها من البنك لا ليستملكها الآخذ بل ليصرفها في وجوه الخير لأن ذلك يعتبر حيلولة دون الإضرار بالمسلمين ) .

# الاحتِكَار

الاحتكار الذي حرمه الإسلام هو : امساك شيء من الأغذية وضروريات الناس والامتناع عن بيعها انتظاراً للغلاء ، حتى إذا ازداد اضطرار الناس اليها تحكم محتكرها ببيعها بالسعر الفاحش الذي يفرضه عليهم ، وهذا العمل حرام لا يعد من البيع الذي أحله الله .

---

(١) فضيلة الشيخ علي الخفيف .

وأخطار الاحتكار في المجتمع جسيمة فهو يحدث اختلالاً كبيراً في التوازن المالي بين الطبقات ، فالمحتكرون يمتصون بفعلهم هذا جلّ أموال الشعب بدون رأفة ، ويحدثون بالإضافة الى هذا خللاً في الأسواق التجارية ، فلا تسير أسعار الحاجيات في الأسواق سيراً طبيعياً مألوفاً ، فترى الناس يتهافتون على شراء الحاجيات ، ويتناولون من مرافق الحياة أكثر من الحاجة المطلوبة لهم رغم ارتفاع ثمنها خوفاً من فقدانها ، وفي هذا حرمان الفقراء من حاجاتهم الضرورية ، ذلك الحرمان الذي ماكان ليحدث لولا طبقةالمحتكرين.

إن مثل المحتكرين كمثل المرابين من جهة استغلال الفريقين حاجة الناس وتحكمهم فيهم بسبب هذه الحاجة ، غير ان المحتكرين يزدادون عند الله إثماً من جهتين : احداهما ان استغلال حاجة الناس الى الأقوات والأغذية وما اشبهها[1] أشد ضرراً من استغلال الحاجة الى النقود، والثانية: ان استغلال المحتكرين لأقوات الناس وضرورياتهم يعم ضرره جماهير الناس لا فئة معيّنة تحتاج الى المال .

وقد بيّن النبي عاقبة المحتكر الوخيمة بأن الله لن يبارك في أمواله ، وأنه سيصيبه بأخبث الأمراض، وانه آثم خارج عن سبيل الله، يقول النبي ﷺ في المحتكر :

( من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالإفلاس أو بجذام )[2] .

( من احتكر طعاماً فهو خاطىء )[3] .

( من احتكر طعاماً أربعين ليلة فقد برىء من الله وبرىء الله منه )[4] .

( الجالب[5] مرزوق والمحتكر ملعون )[6] .

ثم ان المحتكر بعيد عن رحمة الله لأنه لا يرحم الناس ، مصداقاً لقول النبي ﷺ : ( لا يرحم الله من لا يرحم الناس )[7] .

---

(١) ويرى الفقيه أبو يوسف أن كل ما أضر بالناس حبسه فهو احتكار وإن كان ذهباً أو ثياباً .

(٢) رواه الإمام أحمد .

(٣) رواه مسلم وأبو داود .

(٤) رواه الإمام أحمد .

(٥) الجالب : الذي يجلب البضاعة للبيع .

(٦) رواه ابن ماجه .

(٧) رواه البخاري .

## الباب الثامن

# في البطر

- معنى البطر
- كفران النعمة
- الترف مُهلك للامة
- الاسراف والتبذير
- الكبرياء
- الفساد في الارض

## معنى البطر

البطر كما جاء في لسان العرب : التبختر ، وقيل : الطغيان عند النعمة وطول الغنى ، وبَطِرَ النعمة بطراً : لم يشكرها .

ولقد حذّر الله من البطر وبَيَّن ما يترتب عليه من عواقب سيئة فقال سبحانه :

( وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعيشَتَهَا فَتلكَ مَسَاكنُهُم لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهم إلاَّ قَليلاً وَكُنَّا نَحْنُ الوَارِثينَ ) القصص : ٥٨ .

فالله سبحانه يقول : انه بعث على الذين بطروا عذاباً أهلكهم ودمّر قريتهم الى حدّ ان القرية لم تصلح للسكن من بعدهم إلاّ فترات عابرة للمارين بها ولم يبقَ لها مالك من بعدهم إلاّ الله .

وكفى بهذا تحذيراً من البطر يرهب النفوس فترتد الى جادة الصواب .

ومن اهم مظاهر البطر : كفران النعمة ، والترف ، والاسراف ، والكبرياء ، والفساد في الارض ، وهذه الأمور مهلكة للأمة إذا انتشرت ، وتمكنت في الأفراد والجماعات .

وفي هذا البحث سنعالج هذه الأمور وما تحمل في طياتها من اخطار جسام .

# كفران النعمة

الخوف : تلك الظاهرة الغريبة التي عمت لبنان عام ١٩٧٥ .

خوف من الموت ، خوف من الحرب الأهلية ، خوف من المتفجرات والصواريخ والقنابل ، خوف من السلب والنهب ، خوف من رصاص القناصين المصوب على الأبرياء ، خوف من الخطف والتعذيب والتشويه ، وكانت حصيلة ذلك أكثر من مئة وعشرين الف قتيل وجريح ، واحراق ونهب آلاف البيوت والمتاجر .

وبجانب الخوف كانت مشكلة الجوع ، فقد أصاب الجوع عشرات الألوف ممن كانوا في منطقة الاشتباكات الدامية ممن كان يتعذر عليهم الخروج من منازلهم لشراء قوت يومهم ، أو ممن فقدوا اعمالهم وموارد رزقهم بسبب احراق معاملهم ومخازنهم وتوقف عجلة العمل .

كما سيطر شبح الجوع على لبنان بأسره بسبب تعذر وصول الطحين إلى المخابز من جراء فقدان الأمن ، فكان الناس ينتظرون الساعات الطوال أمام الأفران للحصول على قسم من استهلاكهم اليومي من الخبز ، وفقدت المحروقات والوقود وما يستتبع ذلك من توقف الأفران عن العمل ، وتعذر نقل الخضار والفواكه من المزارع إلى المدن .

الجوع والخوف الذي ذاقه لبنان ذاقته كثير من أمم الأرض في الحروب العالمية والأهلية وذاقته أمم أخرى من جراء حدوث كوارث طبيعية لا عهد لها بها .

ومن المدهش حقاً ان القرآن تحدّث عن الجوع والخوف وبين اسبابهما بهذه الآية البليغة :

﴿ وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمنَةً مُطْمَئِنَّةً يأْتيها رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كانوا يَصْنَعُونَ ﴾
النحل : ١١٢

تأمل ما وصفه القرآن للقرية التي أصابها الجوع والخوف :
( يأتيها رزقها رغداً[1] من كل مكان ) .

ما أشد انطباق هذا القول على لبنان فقد أعطى الله أهله أجمل بلد ، ويسّر لهم الحياة المرفهة الطيبة الى أبعد حدود ، وأتتهم خيرات العالم برّاً وبحراً وجوّاً ، ولكنهم لم يقدّروا هذه النعمة حق قدرها ، ولم يعرفوا كيف يحافظون عليها ، فامتدت يد الفتنة إلى لبنان وأدت الى اقتتال أهله ، وما نجم عن ذلك من تذوق آلام الخوف ومرارة الجوع والتشرد .

فالجوع والخوف اللذان اجتاحا لبنان وبعض أمم الأرض يبين القرآن ان أسبابهما هو كفران نِعَمِ الله ( فكفرت بأنعم الله ) .

فالذي ينكر ان للكون خالقاً أنعم على الإنسان بنعمة الوجود ، ورزقه هذه النعم هو : كافر بنعمة الله .

والذي لا يشكر الله على نعمه ويجحد فضله هو : كافر بنعمة الله .

والذي يعصي الله ، ويتخذ من نِعَمِ الله سبيلاً الى الانغماس في الخطايا هو : كافر بنعمة الله .

والذي يتصرف بنعم الله بالإسراف على نفسه وملذاته الشخصية ويحرم بعضاً منها جاره وأبناء وطنه المحرومين هو : كافر بنعمة الله .

---

(١) رغداً : الرغد من العيش الطيب الواسع .

والذي يحتكر ارزاق العباد في سبيل زيادة ثروته ويترك عامة الشعب يُقاسون الحرمان هو : كافر بنعمة الله .

والذي لا يتصدى للفتنة في مهدها ولا يسعى للقضاء عليها فهو : كافر بنعمة الله .

ولكن البعض يتساءل : إن الذين يكفرون بنعم الله هم فئة من الأمة فَلِمَ نرى الخوف والبلاء يعم جميع الأمة ؟

هذا التساؤل أجاب عنه القرآن :

﴿ واتّقوا فِتْنَةً لا تُصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصّةً واعْلَموا أنّ اللهَ شَديدُ العقاب ﴾ الانفال : ٢٥ .

ولقد ضرب الله مثلاً في القرآن ما أصاب احدى المدن من جراء كفرانها نعم الله وهي مدينة ( سبأ ) في اليمن فقد أقامت هـــذه المدينة سدّ مأرب وأصبحت بفضل الله والمياه التي يجود بها السد تنعم بغياض وبساتين عن يمين المدينة وشمالها تدر عليها الخيرات . فقيل لأهل المدينة : ﴿ كلوا من رِزق ربّكم واشكروا له بَلْدَةٌ طيّبة وَرَبٌّ غفور ﴾ .

ولكن اعراضهم عن شكر النعمة وكفرهم وبطرهم سبّب لهم حدوث كارثة أودت بالمدينة وخيراتها فقد تصدع السد وانجرفت المياه مهلكة البساتين والعباد . وهكذا بدل الله ما كان للمدينة من بساتين مثمرة بفضل السد أراضي شبه قاحلة تعطي بعض الأثمار الصحراوية ذات الطعم المرّ وبعض الشجر الذي لا يثمر وشيء من نبق قليل . وهذا ما ذكره القرآن :

﴿ لَقَدْ كان لِسَبَأٍ في مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَان عن يَمينٍ وشِمالٍ كُلُوا مِنْ رزق رَبِّكُمْ واشكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ . فَأَعْرَضوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيهِم سَيْلَ العَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِم جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيءٍ مِن سِدْرٍ قَليلٍ . ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كفروا وَهَلْ نُجازي إلاّ الكَفُورَ ﴾ سبأ : ١٥ ــ ١٧ .

# التّرفُ مُهلِكٌ للأمّة

معنى الترف ـ كما جاء في لسان العرب ـ التنعّم ، والمترف الذي قد ابطرته النعمة وسعة العيش . وقيل : المترف هو المتنعّم المتوسع في ملاذ الدنيا وشهواتهـــا .

والترف في الإسلام من كبائر الإثم ، فقد وصف الله المترفين بالظلم والإجرام ، وأنذرهم بالعذاب في الدنيا والآخرة .

فالترف له اخطار جسيمة على المجتمعات البشرية ، فالناظر في أسباب سقوط كثير من الأمم كالرومان والفرس ، وكذا الناظر في سقوط الدولة العباسية ، وفي ضياع الأندلس يرى ان من أهم اسباب سقوط الممالك والدول هو الترف .

فالأمة بعد ان تبلغ درجة عالية من الحضارة والقوة تطمئن الى انها في مأمن من خطر جيرانها عليها ، لذلك تبدأ بالتمتع بالترف والثراء الذي حصلت عليه فيؤدي ذلك الى ميوعـــة الشعب وضعف نفسيته ونمو الأثرة عنده ، وكثرة الفساد فيه ، فتفقد الأمة بذلك اكبر مصادر قوتها وتماسكها فيغير عليها جيران لها يطمعون بخيراتها ويستولون عليها بعد أن يصيبها من ذلك الدمار والخراب ويلحقوا بأهلها الذل والعار .

كما ان الترف يؤدي الى اخطار جسام في داخل الأمة فاستئثار طبقة معينة بخيرات المجتمع ، وانكبابها على ملذاتها وشهواتها يولد الحقد في الطبقات المحرومة مما يجعلها تتكتل وتتحين الفرص للانقضاض على الطبقة المترفة والاستيلاء على ما استأثرت به من أموال وقصور ومزارع فتحصل بذلك حروب أهلية يعم ضررها الأمة جمعاء .

ومما يسجل للقرآن انه حلّل الترف واخطاره تحليلاً دقيقاً مبيّناً ما يترتب عليه من اخطار جسيمة وفي مقدمة ذلك انه مهلك للأمم ، قال تعالى :

﴿ وإذا أَرَدْنَا أن نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا (١) مُتْرفيها فَفَسَقُوا (٢) فيها فَحَقَّ عليها القولُ فَدَمَّرْنَاهَا تدميراً ﴾ الاسراء : ١٦ .

---

(١) أمرنا مترفيها : أي ان الله أمرهم بالطاعات والخيرات فخالفوا هذا الأمر وفسقوا . وقيل : أمرنا مترفيها ، أي كثرنا فساقها . فالعرب تقول : أمر القوم إذا كثروا .

(٢) فسقوا : خرجوا عما أمرهم الله .

والمعنى : إذا اراد الله اهلاك قرية بسبب ظهور المعاصي من اهلها لم يعاجلهم بالعذاب بل يأمر مترفيها بالطاعة والرجوع عن تلك المعاصي فلا يستجيبون ويظهر عنادهم واصرارهم على ما هم فيه من ترف ومحرمات فحينئذٍ يصب الله عليهم العذاب صباً .

فالمترفون يصلون الى السلطة بسبب ثرائهم ، ثم يسنون القوانين التي تحافظ على ديمومة نعيمهم وترفهم ، ولهذا يرفضون كل دعوة اصلاحية لأن فيها التنازل عن بعض النعيم الذي هم فيه .

ومن الحقائق التي اوردها القرآن : ان المترفين كانوا غالباً ما يقفون ضد دعوة الرسل ، لأن الرسالات الالهية هي ضد الترف والفساد وضد الامتيازات الباطلة التي يتنعمون بها ، فهؤلاء المترفون وقد تمادوا في غيهم رفضوا دعوة رسل الله فكان مصيرهم انتقام الله منهم ، وهذا ما ذكره القرآن :

﴿ وَكَذَلِكَ ما أرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ في قَرْيَةٍ مِنْ نذير إلاّ قال مُتْرَفوها : إنّا وَجَدْنَا آباءنا على أمّةٍ وإنّا على آثارهم مُقتَدُون . قال : أوَلَوْ جئتكم بأهْدَى مِمَّا وَجَدْتُم عليه آباءَكم قالوا : إنَّا بِمَا أُرْسِلتُم به كافرون . فانْتَقَمْنَا مِنْهُم فانْظُر كَيْفَ كان عاقِبَةُ المكذّبين ﴾ الزخرف : ٢٣ ، ٢٤ .

والترف قرين الظلم ، فاستئثار الأغنياء بأموالهم وانفاقه في وجوه الترف هو ظلم للفقير والمحروم وبأحرى للمجتمع عامة ، وما شاع الظلم في مجتمع إلاّ كان ذلك نذيراً بعذاب الله .

فها هو القرآن يتحدث عن اهلاك الله للأمم الظالمة بسبب ماانغمست فيه من ألوان الترف :

﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كانت ظَالِمَةً وأنشأنا بَعْدَهَـا قَوْماً آخرين . فلما أحسُّوا بأْسَنَا إذا هم منها يَرْكُضُون . لا تَرْكُضُوا وارْجِعُوا الى ما أُترفتم فيه ومساكِنِكُم لَعَلَّكُمْ تُسألون ﴾ الأنبياء : ١١ — ١٣ .

والمعنى : ان كثيراً من القرى اهلكنا أهلها بسبب ظلمهم وانشأنا بعد زوالهم قوماً غيرهم احسن منهم حالاً . فإذا ما أحسوا بما سيقع عليهم من العذاب سارعوا الى الهرب ، ولكن لا تسرعوا أيها الظالمون فلن يعصمكم من عذاب الله شيء وارجعوا الى ما كنتم فيه من نعيمكم وترفكم ومساكنكم لعلكم تُسألون غداً عما جرى عليكم ونزل بأموالكم ومساكنكم من الهلاك .

وتارة يضيف القرآن صفة الاجــرام الى صفة الظلم للمترفين ، يقول تعــالى :

﴿ فَلَوْلا كَانَ مِنَ القرون مِنْ قَبْلِكُم أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْن عَنِ الفَسَاد في الأرض إلاّ قليلاً مِمَّن أَنْجَيْنَا منهم واتَّبَعَ الذين ظلموا ما أُترفوا فيه وكانوا مجرمين . وما كان رَبُّكَ لِيُهلِكَ القُرى بِظُلْمٍ وأهْلُها مُصْلحون ﴾ هود : ١١٦ ، ١١٧ .

والمعنى : كان ينبغي ان يكون في تلك الأمم السابقة جماعة من أولي الرأي والصلاح ينهون قومهم عن الفساد ولكن لم يكن هذا فيهم بل كان فيهم قليل من المؤمنين لم يسمع لهم رأي ولا توجيه ، فأنجاهم الله مع رسله ، أما الأكثرون فهم الظالمون الذين آثروا حياة الترف والنعيم فبطروا وفسدوا وكانوا مجرمين مستحقين لغضب الله وعذابه . وما كان من سنة الله ان يظلم أمة فيهلكها وهي متمسكة بالحق ملتزمة بالفضائل ، عاملة على ما يصلح أمرها .

والترف كما يؤدي الى الهلاك في الدنيا فهو يؤدي أيضاً الى عذاب الله في الآخرة، فالمترفون هم اشد الناس انزلاقاً في الخطايا وبعداً عن طاعة الله؛ فالترف يؤدي بهم عادة الى نكران الآخرة والحساب يوم القيامة لأن الإيمان بذلك يحدّ من ترفهم وشهواتهم وهم لا يرغبون في أي تغيير يطرأ على حياتهم .

ففي سورة الواقعة يذكر القرآن أصحاب اليمين وما هم فيه من نعيم ثم يعقب على ذلك بقوله :

﴿ وأصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمال في سَمُومٍ (١) وَحميم (٢) .

---

(١) سموم : هي الريح الحارة التي تنفذ في مسام البدن . (٢) حميم : وهو الماء الحار الذي بلغ أقصى درجات الحرارة .

وَظِلّ مِنْ يحموم[1]. لا بَارِدٍ ولا كريم ـ إنَّهم كانوا قَبلَ ذلك مُتْرَفين . وكانوا يُصرّون على الحِنْثِ العَظيم[2] . وكانوا يقولون أإذا مِتْنَا وكُنَّا تُراباً وعظاماً أإنّا لمبعوثون . أوَ آباؤنا الأوّلون . قُل إنّ الأولين والآخرين لمجْمُوعونَ إلى ميقاتِ يَوْمٍ مَعْلوم ﴾ ٤١ ـ ٥٠ .

فالقرآن ربط بين الترف وبين نكران اليوم الآخر ، لأن المترفين غايتهم التمتع بالحياة الدنيا غير عابثين بما بعد الموت .

والنبي محمد ﷺ كان في حياته مثال التقشف والبعد عن أسباب الترف ، وهو القدوة المثلى لقومه .

يقول احد أصحابه : دخلت على النبي ﷺ فإذا هو مستلق على حصير قد أثّر في جنبه وتحت رأسه ( مخدة ) من أدم حشوها ليف .

وكان النبي ﷺ ينهى قومه عن مظاهر الترف، من ذلك نهيه عن لبس الحرير ، فقد قال :

( من لبس الحرير في الدنيا فلن يلبسه في الآخرة )[3].

كما نهى قومه عن الأكل والشراب في أواني الذهب والفضة ، رُوي عن حذيفة رضي الله عنه انه قال : ( نهانا النبي ان نشرب في آنية الذهب والفضة ، وان نأكل فيها ، وعن لبس الحرير والديباج وان نجلس عليه )[4].

ويقول النبي ﷺ : ( الذي يشرب في إناء الفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم )[5] .

ولما كانت العادة المتبعة عند المترفين إقامة الولائم الفاخرة لبعضهم البعض والانفاق عليها بسخاء والاعلان عنها بالصحف من باب التفاخر ، فقد ذم الإسلام هذه الولائم بسبب ما تثيره من حفيظة الفقراء نحو الأغنياء فقال النبي ﷺ :

( شَرُّ الطّعام طَعَامُ الوليمة يُدعى لها الاغنياء ويُترَكُ الفقراء )[6] .

---

(١) يحموم : الدخان القاتم السواد . (٢) الحنث العظيم : الذنب العظيم، وهو الشرك بالله .
(٣) رواه البخاري . (٤) رواه البخاري . (٥) رواه البخاري .
(٦) رواه البخاري ومسلم .

# الاسراف والتبذير

ومن أهم مظاهر الترف : الاسراف في انفاق الأموال وتبديدها دون ضرورة مما يحرم مستحقيها فيشيع من جراء ذلك البؤس والشقاء في الطبقات الكادحة ، ومن البؤس والشقاء يتفجّر الحقد ، وتروج الرذيلة ، وينبت الإجـــرام .

فالإسلام يرى : ان مال كل فرد هو مال الأمة ، وهو في الأصل مال الله اعطاه للإنسان وديعة لينفقه على نفسه وعلى مجتمعه في سبل الخير ، وهذا ما صرح به القرآن :

﴿ وآتوهم مِنْ مَالِ الله الذي آتاكم ﴾ النور : ٣٣ .

﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُسْتَخْلَفِين فيه ﴾ الحديد : ٧ .

فإسراف الغني في انفاق المال وتبديده بغير الطرق المشروعة هو اعتداء على مجموع الأمة ، لأن المال عصب الحياة ومصدر قوة الأمة ، به تُنشأ المعامل التي تؤوي العاطلين عن العمل ، وبه تستصلح الأرض للزراعة ، وبه تحصل الأمة على السلاح الذي يقيها من اعتداء الغير ، وغير ذلك مما فيه رفاهيتها وصلاحها ومنعتها .

ولهذا يأمر الاسلام الحكام ان يكونوا عيناً على تصرفات الأفراد ليحولوا بينهم وبين كل اسراف وتبذير لأموال الأمة بغير حق .

ولقد وصف الله المبذرين بالسفه ، وأمر بالحجر على أموالهم ، قال سبحانه :

﴿ وَلَا تُؤتوا السُّفَهَاءَ أمْوالكم التي جَعَلَ اللهُ لكُم قياماً ﴾ النساء : ٥ .

في هذه الآية اشارتان بليغتان في النهي عن التبذير :

الأولى ـ قوله تعالى : ( اموالكم ) ليلفت الأنظار الى ان مال السفيه هو مال الأمة .

الثانية ـ قوله تعالى : ( التي جعل الله لكم قياماً ) أي ان الأموال جعلها الله لتقوم عليها مصالحكم فيجب المحافظة عليها وعدم اعطائها للسفيه .

ولقد راج التبذير في مجتمعنا في الطبقة الغنية والطبقة المتوسطة وهـذا ما ينذر بأوخم العواقب .

ففي الطبقة الغنية تطالعنا الصحف دوماً أخبار بعض المبذرين من ذلك ما نشرته جريدة النهار التي تصدر في لبنان في عددها الصادر ١٩٧٤/١٢/١٣ : لاس فيغاس ( ولاية نيفادا ) :

« خسر رجل يرتدي بذلة داكنة مليون دولار في ليلة وخسر ثلاثة آخرون اكثر من مليون دولار معاً خلال خمسة ايام . وكان لدى هؤلاء الرجال عامل مشترك اضافة الى الخسارة الكبيرة هو انهم من اثرياء العرب . وقال موريس جيفر مدير الكازينو في فندق ( غراند ) خلال الـ٢١ عاماً التي أمضيناها هنا رأيت كثيرين من المبذرين ولكنني لم ارَ واحداً ينفق ويقامر مثل العرب» .

هذا ولولا خوفنا من التطويل لأوردنا عشرات الأمثلة مما يحصل في مجتمعنا العربي ولكن لا حاجة لذكرها فقد أصبح ذلك معلوماً لدى الجميع .

أما في الطبقة المتوسطة فقد راج فيها تبذير الأموال أيضاً فأكثر هؤلاء ينفقون على ( اثاث ) بيوتهم المبالغ الباهظة يستدينون اكثرها بالربا المحرم ، وقد ادخلت المدنية كثيراً من الكماليات التي فيها اهدار اموال الأمة ، وأصبح كل من يريد الزواج والسكن في بيت جديد يرى نفسه مكبلاً بوجوه من النفقات يشترطها أهل العروس وهو لا يستطيع تغطيتها ، وأصبح كثير من الزوجات يطالبن ازواجهن بسيل من النفقات غير الضرورية متأثرات بجيرانهن أو من يحيط بهن او يعرفن فحدث من جراء ذلك فساد اجتماعي حين اضطر الأزواج الى الحصول على المال من أي سبيل كان كالمقامرة والرشوة والسرقة وهذه آفات تؤدي الى فساد مرافق الأمة وتؤدي بصاحبها الى السجن والطرد من وظيفته والتعاسة الدائمة في الحياة .

ولهذه العواقب الوخيمة نهى الإسلام عن الإسراف والتبذير فقال تعالى : ﴿ وكلوا واشربوا ولاَ تُسْرفوا إنّهُ لا يُحبُّ المسْرِفين ﴾ الاعراف : ٣١ .

ويقول النبي ﷺ : ( ان الله كره لكم ثلاثاً : قيل وقال ، وإضاعة المال وكثرة السؤال )[1].

كما اعتبر الإسلام التبذير من الآثام بسبب ما يؤدي الى الكفر بنعم الله :

﴿ إنَّ المبذّرينَ كانوا إخْوَانَ الشّياطين وَكَانَ الشيطانُ لِرَبّه كفوراً ﴾ الاسراء : ٢٧ .

فهذه الآية تصرح بأن المبذرين هم اخوان الشياطين أي على مثالهم وسيرتهم ، وبما ان الشيطان كافر بربه ، فهذا تصريح بأن المبذر هو لربه كفور أيضاً وهذا استهجان للتبذير ليس بعده من مزيد .

# الكِبْرِيَاء

الكبرياء من كبائر الإثم التي حذرنا الله منها بقوله :

﴿ سأصْرِفُ عَنْ آياتي الذين يتكبّرون في الأرضِ بِغَيْرِ الحَقّ ﴾ الاعراف : ١٤٦ .

﴿ إنّه لا يُحب المستكبرين ﴾ النحل : ٢٣ .

﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ[2] اللهُ عَلى كُلّ قَلْبِ متكبّر جبّار ﴾ غافر : ٣٥

ومظاهر الكبرياء كثيرة أهمها : استعظام النفس ، واحتقار الغير وازدراؤه ، ورفض الانقياد له بالحق ، والمجانفة عن مساواته ، وقد جعل النبي ﷺ من علامة الكبر عدم الرضوخ للحق فقال : ( الكبر بطر الحق وغمط الناس ) فبطر الحق رده ، وغمط الناس احتقارهم وازدراؤهم .

وأمّا سبَب التكبر فيمكن ارجاعه الى اعتقاد الإنسان بتميزه على الغير بعلم ، أو عمل ، أو نسب ، أو مال ، أو جاه ، أو قوة ، أو كثرة اتباع ، أو جمال ، الجمال اكثر ما يثير التكبر بين النساء .

---

(١) رواه البخاري . (٢) طبع الله على قلبه : ختمه وأغلقه فلا يعي خيراً .

والكبرياء من آفات المجتمعات في كل الأزمان لأن اضرارها لا تحصى : فهي الأنانية الطاغية التي تصرفنا عن محبة الغير وتقديم الخدمات للمجتمع .

وهي المولدة للضغائن والمنازعات بين أفراد المجتمع ، فاستعظام النفس واحتقار الغير من أشد الصفات الذميمة التي تولد لصاحبها كراهية الناس له .

والكبرياء مهلكة لصاحبها لأن سبب الكبرياء هي اعجاب المرء بنفسه ، ومن أُعجِبَ بنفسه استعظم نفسه، وأصمّ أذنيه عن كل نصيحة من الغير ، واستبد برأيه فجرّه ذلك الى الخسران .

والتكبر على الناس يجر الى التكبر على الله ، وهناك الهلاك المحقق ، فإبليس لمّا تكبّر على آدم وحسده بقوله : ( أنا خير منه ) جرّه ذلك الى التكبر على الله ، فخالف أمره ، وبذلك هلك هلاكاً مؤبداً ، ولهذا خاطب الله ابليس طارداً إياه من الجنة :

﴿ قال : فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها، فاخرج إنك من الصاغرين[1] ﴾ الاعراف : ١٣ .

والنبي ﷺ حذر من الكبر ، وبين إثمه العظيم ، فقال :
( بينما رجل ممن كان قبلكم يجرّ إزاره من الخيلاء[2] خسف به ، فهو يتجلجل[3] في الأرض الى يوم القيامة )[4].

ومن أقوال النبي ﷺ :( إن الله لا ينظر إلى من يجر إزاره[5] بطراً ، لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرّة من كبر ، قيل يا رسول الله : ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً ، قال : إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق[6] وغمط الناس )[7] .

وقال النبي ﷺ :
( لا يزال الرجل يتكبر ويذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما أصابهم )[8] .

---

(١) الصاغرين : الأذلاء . (٢) الخيلاء : الكبر والعجب . (٣) يتجلجل : يغوص وينزل . (٤) رواه البخاري . (٥) إزار : رداء . (٦) بطر الحق : يطغى عند الحق أي يتكبر فلا يقبله . (٧) رواه مسلم . (٨) رواه مسلم .

( من تعظّم في نفسه واختال في مشيته [١] لقي الله وهو عليه غضبان )[٢] .

وهذا الحديث الأخير نظيره قوله تعالى :

﴿ وَلاَ تَمْشِ فِي الأرض مَرَحاً إنّ الله لا يُحبُّ كُلّ مختالٍ فَخُور ﴾ لقمان : ١٨ .

وعلاج الكبرياء ان يَعود الإنسان إلى نفسه بأن يتأمل منشأ خلقه ، فهو من تراب ثم كيف تكوّن من نطفة ، ثم بعد ان يمضي حياته المقدرة في دنياه يموت فيقبر حيث يعود جيفة قذرة ، ومن كان هذا شأنه في البدء والنهاية هل يسوغ له ان يتكبّر ؟

وقد دعا القرآن الإنسان الى النظر في أصل خلقه ، وحثه على الاعتبار ، فقال تعالى :

﴿ قُتِلَ الإنسَانُ ما أَكْفَرَهُ . من أيّ شيء خَلَقَهُ . من نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّره . ثُمَّ السبيل يسّره ، ثُمَّ أماتَهُ فأقبره ﴾ عبس : ١٧–٢١ .

ورأى أحد المسلمين المهلب – وكان ثريّاً – يتبختر في جُبّة خز فقال : يا عبد الله إن هذه مشية يبغضها الله ورسوله ، فقال له المهلب : أما تعرفني ؟ فقال : بلى أعرفك ، أولك نطفة مذرة ، وآخرك جيفة قذرة ، وأنت بين ذلك تحمل العذرة ، فخجل المهلب من نفسه وترك مشيته تلك .

---

(١) من ألوان الاختيال والبطر ما نراه اليوم في مجتمعنا من بعض أصحاب السيارات وخاصة من شباب هذا الجيل الذين يبالغون في تزيين سياراتهم ثم يغدون ويروحون بها باستمرار في طرقات المدن والقرى مستعلمين أبواقاً ذات أصوات مزعجة عالية متعدّدة النبرات توقظ النائم وتثير الأعصاب ، يفعلون ذلك لا لضرورة وإنما تيهاً واختيالاً غير آبهين براحة الغير ، ولا يكتفون بذلك بل يتعمدون إظهار صوت محرّك سياراتهم بصورة مزعجة تلفت الأنظار ، والسير بسرعة جنونية تعرّض المارة للخطر . فليت الحكومات تؤدّب هؤلاء المختالين وتعطيهم درساً في كيفية الحفاظ على راحة الغير ولا تترك حبلهم على غاربهم ليعمّ فسادهم ويشقى الكثير من تصرّفاتهم الرعناء .

(٢) رواه الإمام أحمد وأصحاب السنن الأربعة .

وقال الأحنف : عجباً لابن آدم يتكبر ، وقد خرج من مجرى البول مرتين ( أي مرة من أبيه ومرة من بطن أمه ) .

فالإنسان إذا عرف قدره حق المعرفة ، وعرف مبلغ هوانه كان ذلك حافزاً له على نزع الكبرياء من نفسه ، ولهذا يلفت القرآن نظر الإنسان الى هذا المعنى بقوله :

﴿ وَلاتَمْشِ في الأرض مَرَحاً إنك لن تَخْرِقَ الأرض ولن تَبْلُغَ الجبال طولا ﴾ الإسراء ٣٧ .

## الفَسَادُ في الارضِ

من أهم أهداف الإسلام إقامة المجتمع الصالح والقضاء على الفساد في الأرض ولهذا اعتبر الفساد من كبائر الإثم ، وحذّر من مغبته ، فهو يؤدي الى عذاب الله في الدنيا والآخرة والطرد من رحمته .

ولقد تحدّث القرآن عن أقوام استحقوا عذاب الله بسبب فسادهم في الأرض فقال سبحانه فيهم :

﴿ فأكثروا فيها الفساد[1] فصبَّ عليهم رَبُّك سَوْطَ عَذاب[2] ﴾ الفجر : ١٢ ، ١٣ .

وكثيراً ما يصيب الناس من ويلات ومحن مرجعه الى انتشار الفساد فيهم وهذا ما ذكره الله سبحانه بقوله :

﴿ ظَهَرَ الفَسَادُ في البَرّ وَالبَحْر بِمَا كَسَبَتْ أَيـدي الناس لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الذي عَمِلوا لَعَلَّهم يَرجعون ﴾ الروم : ٤١ .

فالله سبحانه يقول بأن الفساد ظهر في البر والبحر بسبب ما فعله الناس من جرائم وآثام فهو يعاقب الناس في الدنيا ببعض أعمالهم لعلهم يرجعون عن المعاصي .

---

(١) الفساد في اللغة هو نقيض الصلاح (٢) سوط عذاب : أي نصيب عذاب ويقال شدته .

ويذكر القرآن ما حل بمدينة ( مدين ) التي شاع فيها الفساد فأرسل الله نبيه شعيباً لهدايتهم ولكنهم كذّبوه ، فأهلكهم الله بزلزال شديد دمّر مساكنهم فغدوا فيها صرعى ، قال تعالى :

﴿ والى مَدْيَنَ أخاهم شُعيباً فقال يا قَوْم اعبدوا اللهَ وارجُوا اليَوْم الآخر ولا تَعثَوا في الأرض مُفسِدينَ . فَكَذَّبوه فَأَخَذَتهم الرَّجْفَةُ فأصبحوا في دارِهم جاثمين ﴾ العنكبوت : ٣٦ ، ٣٧ .

وإذا ذكرنا عذاب الله في الدنيا للمفسدين ، فإن الله خص المفسدين أيضاً بلعنته ، واللعنة هي الطرد من رحمته ، جاء في القرآن:

﴿ والذين يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ ميثاقه ويقطعون ما أَمَرَ اللهُ به أن يُوصَلَ ويُفسدون في الأرض أولئك لَهُمُ اللَّعْنَةُ ولهم سُوءُ الـدار[1] ﴾ الرعد : ٢٥ .

وأشد أنواع الفساد ضرراً على الأمة ما يجيء على أيدي الحكام والزعماء الفاسدين الذين يجعلون من الحكم أداة لتحقيق مآربهم ومكاسبهم وأشباع شهواتهم ، ومن روعة القرآن أنه فضح هؤلاء وبيّن الطريقة التي يصلون بها الى الحكم والسلطة ، فقال سبحانه :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قولُهُ في الحياة الدُّنيا وَيُشهِدُ الله على ما في قَلْبه وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَام . وإذا تولّى سَعَى في الأرض لِيُفسِدَ فيها ويُهلكَ الحرْثَ والنّسل والله لا يُحِبُّ الفساد ﴾ البقرة : ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

فالقرآن يقول ان من الناس من يصل الى الحكم والسلطة بواسطة ما يظهره للمجتمع من اخلاص ، وكلام معسول ، وبرامج اصلاحية ، ونصرة للحق والفضيلة فيغتر به الناس لما يؤكده من حلف بالله على صدقه ، ولكنه في الحقيقة أشد الناس خصومة وعداوة للناس لأنه يفعل ذلك نفاقاً وغشاً .

---

(١) سوء الدار : أي عذاب جهنم .

وعندما يتولى شؤون الحكم تكون تصرفاته فساداً في الأرض لتحقيق غاياته بأي الوسائل كانت فيعم الفساد ويستشري ويؤدي ذلك الى تناحر الأمة وتقاتلها فيهلك الألوف بل عشرات الألوف من نسلها وتخرّب المزارع ومرافق الأمــة .

ثم يتابع القرآن الحديث عنه بقوله :

﴿ وإذا قيل له اتّقِ الله أخَذَتْهُ العِزّةُ بالإثم فحَسْبُهُ جَهَنّمُ ولَبئسَ المهادُ ﴾ .

أي إذا أُمِرَ بمعروف، أو نُهي عن منكر يُسرع اليه الغضب ويعظم عليه الأمر فتأخذه الكبرياء والأنفة لأنه مصرٌ على افساده ، لا يخاف الله ويرى نفسه فوق الحق وأهله ، ولكن مصيره يوم القيامة جهنم وهي دار العذاب في الآخرة فبئس ذلك المستقر .

والإسلام حذّر أتباعه من افساد ماتم اصلاحه في المجتمع لافتاً انظارهم الى ان المحسنين هم أقرب الناس الى رحمة الله ، جاء في القرآن :

﴿ ولا تُفْسِدوا في الأرض بَعْدَ إصْلاحِها وادْعوه خَوْفاً وَطَمعاً إنّ رَحْمَةَ الله قريبٌ مِنَ المحسنين ﴾ الأعراف : ٥٦ .

كما بيّن الله سبحانه ان المترفعين عن الفساد والذين صلحت اعمالهم، وصلح مجتمعهم هم الجديرون بخلافة الأرض والتمكين بها بعد الخلاص من المفسدين .

﴿ ان الأرض يَرِثُها عِبادِيَ الصّالحون ﴾ .

هذا وإن للاسلام موقفاً صارماً أمــام الفساد والمفسدين لذلك شرع العقوبات الشديدة للمفسدين وهذا ما سنذكره في البحث التالي في كلامنا عن الإجــرام .

# الباب التاسع

# في الأجرام

- اعظم الذنوب : قتل الابرياء
- عقوبة القتل العمد
- عقوبة السرقة
- عقوبة قطع الطرق والافساد في الارض
- عقوبة البغي
- عقوبة الارتداد عن الاسلام
- عقوبة شرب الخمر

## حرص الإسلام على الأمن

عنيت الشريعة الإسلامية ببناء المجتمع على أسس سليمة ، وحرصت على تمكين أسباب الأمن والطمأنينة للأفراد والجماعات ، وسنت أفضل الطرق لمكافحة الجريمة ، والضرب على أيدي العابثين بالأمن والمنحرفين في سلوكهم كي يسلم الناس من أذاهم .

وقد جعلت الشريعة الإسلامية لكل جريمة عقاباً يتكافأ مع نوعهـا واضرارها في الأمة، وأهابت بالمسلمين ألاّ يتهاونوا في تنفيذ هذه العقوبات والاّ تأخذهم بالجاني شفقة ولا رحمة .

والقرآن الكريم لم يحدد العقوبات[1] إلاّ في أمهات الجرائم وكبائر المعاصي وهي التي يضطرب لها حبل الأمن ، ويفسد بها المجتمع ، وقد ورد في القرآن ست عقوبات وهي : قتل النفس بغير حق ، السرقة ، قطع الطرق والفساد في الأرض ، الزنا ، القذف ، البغي .

وهناك عقوبتان نص عليهما النبي ﷺ وهما : عقوبة الارتداد عن الإسلام وعقوبة شرب الخمر .

وقد ذكرنا في موضوع ( الجنس ) عقوبة الزنا والقذف وهنا سنذكر بقية العقوبات .

ونذكّر بأن كل ما ورد فيه حد ( أي عقوبة ) هو من كبائر الإثم .

واننا امام تيار الإجرام والفساد الذي يجتاح العالم — وبالأخص لبنان — لا يسعنا إلا ان نعلن على رؤوس الأشهاد بأنه لا يقضى على الإجرام والفساد إلاّ

---

(١) العقوبات في الإسلام تقسم إلى ثلاثة أقسام : ١ — الحدود ، وهي عقوبة مقدرة حقاً لله تعالى نص عليها القرآن لا يملك الحاكم العفو عنها ٢ — القصاص ، وهو معاملة الجاني بمثل اعتدائه ولا يسمى القصاص حداً لأنه حق للإنسان له فيه أن يعفو كما في القتل والجروح ٣ — التعزير ، وهو تأديب لا حدّ فيه ولا كفارة

عند الأخذ بشريعة الإسلام. ونقدم على ذلك مثالاً حياً فها هي المملكة العربية السعودية التي تنفذ أحكام الإسلام في المجرمين والمفسدين أصبحت في طليعة دول العالم التي تنعم بالأمن والاستقرار لا يجاريها في ذلك إلا بعض الأمم الغربية التي بلغت شأواً عالياً في الرقي .

## أعظم الذنوب : قتل الأبرياء

تعتبر جريمة القتل العمد من اخطر الجرائم وأشدها إخلالاً بالأمن ، وهي من أولى الجرائم والآثام التي يحاسب الله الناس عليها يوم القيامة . يقول النبي ﷺ :

( إن أوّل ما يحكم بين العباد في الدماء[1] ) .

وقد عظّم الإسلام إزهاق الروح الإنسانية فجعل قتل النفس الواحدة بمثابة قتل البشرية كلها ، فقال سبحانه وتعالى :

﴿ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ[2] أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرضِ فَكَأَنَّما قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً ، وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّما أَحْيَا النَّاسَ جميعاً ﴾ المائدة : ٣٢ .

هذه نظرة إنسانية شاملة — شرعها الله — تقصر دونها كل النظرات والفلسفات : فقتل نفس واحدة بغير حق — مهما كان دينها ومذهبها ولونها — كقتل الناس جميعاً ، واحياء نفس بتخليصها من المهلكات كالحرق والغرق والجوع والمرض كإحياء للناس جميعاً .

وفي هذا إشادة ضمنية بالجسم الطبي ، وبيان منزلته ، وحث الاطباء على التضحية وبذل المزيد من الجهد والدراسة في سبيل إنقاذ النفس الإنسانية من الموت .

---

(١) رواه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجة والترمذي .
(٢) بغير نفس : أي متعدياً ظالماً .

هذا المفهوم الإسلامي للنفس الإنسانية يجعل متبعيه يحترمون الحياة الإنسانية نهاية الاحترام ، ولا يتركون مجالاً لأحد ان يعتدي عليها أو يصيبها بسوء .

والاسلام يذكر ان مطلق الاعتداء على النفس الإنسانية بالقتل بغير حق هو من كبائر الإثم التي يستحق فاعلها الخلود في العذاب يوم القيامة ، قال تعالى :

﴿ولا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ التي حَرَّمَ اللهُ إلاّ بالحق ، ولا يزنون ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ آثاماً . يُضَاعفْ لَهُ العَذَابُ يَوم القيامَة ويَخْلُدْ فيهِ مُهاناً﴾ الفرقان : ٦٨ .

ويقول النبي ﷺ : اجتنبوا السبع الموبقات[١] وعدّد منها : ( قتل النفس التي حرّم الله إلاّ بالحق )[٢] .

فالإسلام بريء من كل من يعتدي على الآمنين والأبرياء بالقتل ، وإن كانوا من اتباع الأديان الأخرى ولهذا يقول النبي ﷺ :

( من قتل نفساً مُعاهداً لم يَرِح[٣] رائحة الجنة ، وإن ريحها يوجد من مسيرة اربعين عاماً[٤] ) .

والمعاهدون هم اتباع الأديان الأخرى الذين تعاهدوا مع المسلمين على العيش بسلام ووئام .

واليهود والنصارى الذين يعيشون في بلاد المسلمين يسمون ( أهل الذمة ) لأن لهم ذمة الله ورسوله لا يُعتدى عليهم ونحميهم مما نحمي منه أنفسنا وعيالنا إذا قاموا بشروط الذمة ولم يعتدوا على المسلمين . يقول النبي ﷺ في بيان إثم من يعتدي عليهم :

( من قتل قتيلاً من أهل الذمة لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً )[٥].

---

(١) الموبقات : المهلكات .  (٢) رواه البخاري و مسلم .
(٣) لم يرح : لم يشمها ، أي لا يدخل الجنة أصلا .  (٤) رواه البخاري .
(٥) رواه الإمام أحمد .

والإسلام ينذر قاتل المؤمن بأشد العقوبات يوم القيامة ، يقول تعالى :

﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فجزاؤه جَهَنَّمُ خَالداً فيها وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وأعدَّ لَهُ عَذاباً عظيماً ﴾ النساء : ٩٢ .

هذه أمور أربعة أوعد الله بها قاتل المؤمن كل واحد منها يقشعر له البدن فما بالك إذا اجتمعت في القاتل وهي : الخلود في جهنم ، ثم غضب الله ، ثم لعنته ، واخيراً إعداد العذاب العظيم له .

ويبين النبي ﷺ بأن المسلم يخرج عن ملة الإسلام في حال مقاتلة المؤمن ويصبح في زمرة الكافرين فقال :

( من حَمَلَ علينا السلاح فليس مِنّا )[1] .

( سباب المسلم فسوق وقتاله كفر )[2] .

كما يبين النبي ﷺ العاقبة السيئة الّتي تنجم عن الاقتتال بين المسلم واخيه المسلم :

( إذا التقى المسلمان بسيفيهما فقتل أحدهما صاحبه فالقاتل والمقتول في النار : قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال إنه كان حريصاً على قتل صاحبه )[3] .

وهذا نص صريح في تحريم المبارزة وبيان إثمها العظيم عند الله .

**إثم الانتحار** : ويحذر الإسلام اشد التحذير من الانتحار لما يترتب عليه من غضب الله وعذابه يوم القيامة ، يقول النبي ﷺ :

( من تردّى[4] من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردّى فيها خالداً مخلداً فيها ابداً ، ومن تحسّى[5] سُماً فقتل نفسه فسُمّه في يده يتحسّاه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً ، ومن قتل نفسه بحديـــدة فحديدته في يده يتوجّأ[6] بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها ابداً )[7].

---

(١) رواه البخاري ومسلم . (٢) رواه البخاري ومسلم . (٣) رواه البخاري ومسلم . (٤) تردى : أي رمى نفسه من عال كجبل فهلك . (٥) تحسى : شرب . (٦) يتوجأ : يطعن . (٧) رواه البخاري ومسلم .

# عُقوبَةُ القتلِ العَمْد

بيّن الإسلام جزاء القاتل عن عمد بقوله تعالى :

﴿ ولا تقتلوا النَّفْسَ التي حَرَّمَ اللهُ إلاّ بالحق ، ومن قُتِلَ مظلوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّه سُلطاناً فلا يُسرف في القتل ، إنه كان مَنْصُوراً ﴾ الاسراء : ٣٣ .

ويقول تعالى في تشريع عقوبة القاتل :

﴿ يَا أَيُّها الذين آمنوا كُتِبَ عليكم القِصَاصُ في القتلى : الحُرُّ بالحُرِّ ، والعَبْدُ بالعَبْدِ ، والأنثى بالأنثى ، فمن عُفِيَ له من أخيه شيء فاتّباعٌ بالْمَعْروفِ وأداء اليه بإحسانٍ ذَلِكَ تخفيفٌ مِنْ رَبكم ورَحمة ، فمن اعتدى بعد ذلك فله عذابٌ أليم . ولكم في القِصَاصِ حَيَاةٌ يا أولي الألباب لعلكم تتقون ﴾ البقرة : ١٧٨ ، ١٧٩ .

اما معنى القصاص الذي كتبه الله على جماعة المؤمنين في شأن القتلى فهو قَتْلُ من قَتَلَ متعمداً بما يقتل به عادة ، وهذا الحق جعله الإسلام لأولياء دم القتيـــل .

فالقاتل في الإسلام يُقَدَّم الى أولياء دم القتيل ليقتصوا منه بقتيلهم فهو في تلك الحالة في حكم المقتول ، ثم إن لأولياء القتيل بعد هذا ان يطلبوا من الحاكم ان يقتله او يعفو عنه مع القبول بالدية منه وذلك حسب مشيئتهم في القاتل وفيما يقع في تقديرهم للظروف والأحوال المتلبسة به ، فإن أمروا بقتله كان قتلهم إياه حقاً وعدلاً ، وإن عفوا عنه مع أخذ الدية كان ذلك إحساناً ورحمـــة .

وهذا القصاص إنما هو عقوبة دنيوية للقاتل وحق مطلق لأولياء القتيل ينفذه الحاكم ليكون عبرة رادعة لغيره .

أما إذا انعكس الوضع وجعلت المحكمة ـ كما هو الشأن في القوانين الوضعية ـ صاحبة الحق الأصلي ولها وحدها ان تقتص أو ان تعفو ، واكتفى

عن ذلك بحق التعويض لأهل القتيل فإن النفوس الحزينة الحاقدة على القاتل لا تهدأ حتى تشفي غليلها بالانتقام والأخذ بالثأر ، فيشتد بينهم وبين القاتل وقومه التشاحن والخصام ، ويستمر البغي والعدوان ، وربما انتقل الى عشائرهم القريبة ، فيفشو الفساد ويعم الإجرام ، وهذا ما نشاهده حالياً في كثير من القـــرى .

فالتشريع الإسلامي يستأصل الإجرام من أساسه عندما يجعل مصير القاتل عن عمد بين يدي أولياء القتيل .

فالقصاص من القاتل بناء على طلب أولياء القتيل هو في حقيقته حيـــاة للناس فإن اكثر ما يمنع الناس من الإقدام على القتل هو حرصهم على حياتهم وخوفهم من ان يقتص منهم بالقتل بمن يقتلونه، فهذا القصاص هو الذي حفظ لهم حياتهم وحياة من كانوا يحدثون أنفسهم بقتلهم، وهذا هو المعنى المراد بقوله تعالى :

﴿ ولكم في القِصَاصِ حَيَاةٌ يا أولي الألباب لعلّكم تتّقون ﴾ البقرة : ١٧٩ .

هذا بالنسبة الى القتل العمد ، أما القتل الخطأ ففيه الدية واحكام أخرى لا مجال هنا للكلام عنها .

## عُقوبَـــة السَّـــرقة

عالج الإسلام السرقة بالتربية والتهذيب لنفسية الإنسان بأن لا يطمع في مقتنيات الغير ، داعياً إياه الى العمل ، منفراً له من البطالة ، مستهجناً الشح وشدة التكالب على الدنيا .

كما ان الإسلام ضمن للإنسان العاجز عن الكسب والفقير معونة تؤخذ من الأغنياء عن طريق الحاكم وهي ما يطلق عليها ( الزكاة ) وبذلك يقرر الإسلام الضمان الاجتماعي لسائر افراد المجتمع ، فلا سبيل لأن يعتدي احد على اموال الناس، فمن أبى بعد كل هذه الضمانات إلاّ الاعتداء على اموال الناس استحق من الحاكم عقوبة السرقة التي حدّدها الله بقوله :

﴿والسَّارِقُ والسَّارِقَةُ فاقطَعُوا أيدِيَهُمَا جزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللهِ[1] واللهُ عَزِيزٌ حَكِيم﴾ المائدة: ٣٨ .

فجرائم السرقات لا يحسم شرّها إلاّ بتطبيق شريعة الإسلام بقطع يد السارق فإذا نظرنا الى مجتمعنا الحاضر رأينا جرائم السرقات على اختلاف ألوانها تمثل نسبه هائلة بين الجرائم التي تنظر بها المحاكم[2] ، والتي تشغل حيزاً كبيراً من وقت القضاة الثمين مما يعوقهم عن النظر في القضايا الأخرى فتظل أمامهم سنين طوالا .

من المسؤول عن كل هذا ؟ المسؤول هو التشريع الوضعي ، فاللص يقدم على جريمته وهو مطمئن الى ان اقصى ما يتعرض له – إن وقع في أيـــدي رجال الأمن – هو السجن شهوراً او سنوات قلائل لا يوازي ما جمعه في ذلك من مال مما يوفر له حياة مترفة بعد خروجه من السجن .

ومن المشاهد ان السارق في كثير من الأحيان يعاود السرقة بعد الإفراج عنه فيظل المجتمع في دوامة من الفوضى وفقدان الأمن ، والى القارىء هذا الخبر الذي نشرته جريدة النهار اللبنانية في عددها الصادر بتاريخ ٣/ ٥/ ٧٤ : « قبض رجال الأمن أمس على المدعو ..... ٣٩ عاماً فاعترف بارتكاب ١٧ سرقة بواسطة الكسر والخلع في بيروت وضواحيها من منازل ... وقدرت قيمة الأموال والحلى وأجهزة التلفزيون والراديوات وآلات التسجيل التي سرقها بأكثر من ٣٠٠ ألف ليرة ... وقد انفق الأموال في المقامرة وعلب الليل ، والمتهم كان قد خرج من السجن قبل شهر واحد وهو من أصحاب السوابق » .

هذا مثال عن السرقات التي تنشرها الصحف وتتكرر يومياً .

فتطبيق عقوبة الإسلام بقطع يد السارق ترهب المجرمين وتحول بينهم وبين السرقة . وهذه العقوبة لن تنفذ إلاّ على عدة أفراد كل عام بسبب وقعها

---

(١) نكالا من الله : عقوبة من الله .

(٢) عدد السرقات في لبنان عام ١٩٧٣ بلغ ١٦٠٠ سرقة .

الشديد على النفوس فترهب كل من تسوّل له نفسه باحتراف السرقة وبذلك نقضي قضاء مبرماً على هذه الآفة الخطيرة التي انتشرت في العالم .

لقد أصبح اللصوص في عصرنا الحاضر يشكلون عصابات خطيرة قضت على الأمن والطمأنينة في النفوس .

والقوانين الوضعية الحاضرة أفلست إفلاساً فاضحاً في اقرار الأمن ومحاربة اللصوصية فلنجرب شريعة الإسلام فهي العلاج الناجع لكل الآفات المستشرية في مجتمعنا الحاضر .

لقد طبقت بعض الدول الإسلامية هذه العقوبة وكانت قد تأصلت فيها بذور هذه الجريمة فاستتب الأمن بين ربوعها .

**المساواة في عقوبة السرقة:** جعل الإسلام حكم هذه العقوبة عاماً يخضع له الناس جميعاً خواصهم وعوامهم ، اغنياؤهم وفقراؤهم ، فمن ثبتت عليه جريمة السرقة تقطع يده أيّاً كانت مكانته في المجتمع .

رُوي انه في زمن النبي ﷺ اتهمت امرأة من بني مخزوم بالسرقة فلما ثبتت عليها الجريمة أمر النبي بقطع يدها ، وقد فزع بنو مخزوم لهذا العار الذي سينالهم من تطبيق حكم السرقة على امرأة من اشرافهم ، فقصدوا اسامة بن زيد الذي كان مقرّباً من النبي ﷺ ليشفع لهم بشأن هذه المرأة فكلم النبيَّ في العفو عنها ، فكان جواب النبي : ( اتشفع في حدّ من حدود الله ) ثم دعا المسلمين وخطبهم قائلاً : ( ايها الناس انما أهلك من كان قبلكم انهم كانوا يقيمون الحدّ على الوضيع ويتركون الشريف ، والذي نفسي بيده لو أن فاطمة ( أي بنت النبي ) فعلت ذلك لقطعت يدها )[1] .

**تشريع عقوبة السرقة** : ولقد اتخذ التشريع الإسلامي الاحتياطات العادلة لتنفيذ حد السرقة ضمن الشروط التالية :

١ ــ ان يكون المسروق شيئاً ذا قيمة ، أي له اعتبار في حياة الناس

---

(١) رواه البخاري .

الاقتصادية وقد كان ذلك مقدراً في عهد النبي بربع دينار فصاعداً ، فقد رُوي عن النبي ﷺ : انه قال : ( تقطع اليد في ربع دينار فصاعداً ) .

٢ ـ ان تقع السرقة في مال محروز ( أي محفوظ ) فالمال الضائع أو المتروك في طريق عام من غير حراسة ، والتمر الذي يكون في الشجر بلا حائط ، والماشية المرسلة من غير راع ونحو هذا لا قطع فيه ولكن يعزّر سارقه ويضاعف عليه الغُرم أي برد المسروق ومثله معه ، وكذلك ما أخذ بالفم أي لأكله ساعة أخذه من ثمر على شجر ولم يحمل منه شيء لا قطع فيه ، ومن حمل شيئاً غير ما أكل فعليه ضعف ثمنه مع التعزير .

٣ ـ يجوز لصاحب المال المسروق إذا ضبط السارق ان يعفو عنه قبل ان يصل الى القضاء ، وفي العفو تأديب للسارق ، أما إذا وصل الأمر الى الحاكم فلا مكان للعفو عنه .

٤ ـ لا تقام عقوبة السرقة على الذي يسرق بداعي الجوع الشديد ، فإن الخليفة عمر بن الخطاب لم يأخذ أحداً بحد السرقة في عام الرمادة لأنه كان عام مجاعة .

* * *

وإذا تكلم فقهاء الشريعة الإسلامية عن السرقة فإنما يقصدون السرقة الصغرى التي يؤخذ فيها المال خفية وبغير مغالبة . أما إذا تكلموا عن السرقات الكبرى كاقتحام المسلحين البيوت والمخازن والطرقات وأخذ الأموال والامتعة والسيارات بالقهر والغلبة على وجه يتعذر معه الغوث فإن ذلك عندئذ تختلف فيه العقوبة وتنتقل إلى عقوبة الحرابة ، وتسمى قطع الطرق والافساد في الارض التي جعل الإسلام عقوبتها أشد لأن خطرها يهدد السلامة العامة وهذا ما سنتكلم عنه فيما يلي :

# عقوبة قطع الطرق والافساد في الأرض

المجتمع الذي يتهاون مع المجرمين والمخربين ويتقاعس عن إنزال العقوبة الشديدة بهم هو مجتمع حكم على نفسه بالهلاك .

وقد يظن البعض ان الدين قائم على الوعظ ، ولكن الوعظ لا يفيد النفوس التي باعت نفسها للشيطان ، ولا يفيد النفوس التي خلا قلبها من خشية الله ، وفقدت ضميرها .

ومن عظمة الإسلام انه دين تصدى للمجرمين الفاسدين ، والمخربين العملاء وقاطعي الطرق بأقصى العقوبات التي تحفظ المجتمع من فسادهم وهذا ما ذكره القرآن :

﴿ إنَّما جَزَاءُ الذين يُحاربونَ الله وَرَسُولَهُ ويَسعوْن في الأرض فَسَاداً أنْ يُقَتَّلُوا أو يُصَلَّبوا أو تُقَطَّعَ أيديهم وأرْجُلُهُم مِنْ خِلافٍ أو يُنفَوْا مِنَ الأرض ذَلِكَ لهم خِزْيٌ في الدُّنيا وَلَهُمْ في الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظيم ﴾ المائدة : ٣٣.

فقوله تعالى : ( يحاربون الله ورسوله ) مقصود به مخالفة أمرهما والاعتداء على حقوق الناس .

وقوله تعالى : ( ويسعون في الأرض فساداً ) يشمل كل نوع من أنواع التخريب والفساد كالذي حصل في لبنان عام ١٩٧٥ من خطف الأبرياء المارين في الطرقات وتعذيبهم وقتلهم وتشويههم ، وقنص الأبرياء برصاص القناصين القاتل ، ونسف المتاجر ونهبها واحراق المعامل وتخريب مرافق الأمة .

وعقوبة هؤلاء المجرمين تنحصر بما يلي :

١ ــ القتل إن ثبت أنهم ارتكبوا جريمة القتل .

٢ ــ الصلب مع القتل إن قتلوا وسلبوا الأموال ، وكيفية الصلب هو رفعهم على مكان عال ليراهم الناس ويشتهر أمرهم ، وهو بعد القتل عند جمهور العلماء . ومنهم من قال : يُصلبون ثم يقتلون وهم مصلوبون .

٣ ـ قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ( اليد اليمنى والرجل اليسرى ) أو العكس ، هذا إن اقتصروا على سلب الأموال فقط .

٤ ـ النفي أي الحبس إن استعملوا الإرهاب ولم يقتلوا ولم يسلبوا .

وقيل إن ما ذكره الله من هذه العقوبات في الآية القرآنية هو في مجال التخيير . فللحاكم ان يختار أي العقوبات التي نص عليها القرآن بما يتوافق مع درجة فساد المجرم وخطره إن شاء قتله ، وإن شاء صلبه مع قتله ، وإن شاء قطع يده ورجله من خلاف وإن شاء نفاه .

ويفسر الإمام مالك هذا التخيير بقوله : إن قتل فلا بد من قتله وليس للإمام تخيير في قطع يده ورجله ولا في نفيه وإنما التخيير في قتله أو صلبه .

وأما إن أخذ المال ولم يقتل فلا تخيير في نفيه وانما التخيير في قتله أو صلبه أو قطع يده ورجله .

واما إذا أخاف السبيل فقط فالإمام عندئذ مخيّر في قتله أو صلبه او قطع يده ورجله او نفيه . والتخيير عنده في هذا المجال راجع الى اجتهاد الإمام ، فإن كان المحارب ممن له الرأي والتدبير فوجه الاجتهاد قتله أو صلبه ، وإن كان لا رأي له وانما هو ذو قوة وبأس قطع يده ورجله ، وإن كان ليس فيه شيء من هاتين الصفتين أُخذ بأيسر ذلك فيه وهو الضرب والنفي .

ولنرجع الى الآية القرآنية فقد بينت الحكمة من هذه العقوبات الصارمة بقوله تعالى :

﴿ ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴾ .

أي ان ذلك العقاب ذلٌ لهم واهانة تصيبهم في الدنيا ، ويكون في ذلك عبرة لمن تحدّثه نفسه القيام بمثل هذا العمل الإجرامي ، او تشهير بالجهة المحرضة لهم ، ولهم فوق ذلك عذاب عظيم في الآخرة وهو عذاب النار .

فالإسلام يقصد من وراء هذه العقوبات الصارمة لهؤلاء المفسدين إشاعة الطمأنينة في النفوس واستتباب الأمن بين الناس الذي هو المطلب الأول لأي مجتمع ينشد الاستقرار .

فموجة الخطف والقنص التي اجتاحت لبنان والتي قام بها دعاة الفتنة، وعدم مجابهة هؤلاء بالعقوبات الصارمة كانا المدخل الى الاحداث الدامية التي هددت كيان لبنان .

وإني أتساءل في نفسي لو ان حكومة لبنان نفّذت بهؤلاء القناصين والخاطفين عقوبة الإسلام : القتل والصلب ، أما كان في ذلك أشد الردع لهؤلاء المجرمين ؟

فالمسلمون لا يعترضون على إنزال هذه العقوبة الصارمة بهؤلاء المجرمين لأن ذلك من تشريع دينهم فمن يرفضه فهو كافر ، وقد جاء في القرآن : ﴿ ومن لم يَحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ المائدة : ٤٤ .

وأمّا بالنسبة الى المسيحيين فلو استفتيتهم في تطبيق هذه العقوبة فلربما لا يرفضونها أيضاً ، فإنهم في مجملهم كانوا – كالمسلمين – أشد الناس ألماً واستنكاراً للخطف والقنص وسلب البيوت والمتاجر واحراق المعامل .

## عُقوبَة البَغي

إذا رجعنا الى معاجم اللغة رأينا معنى البغي : قصد الفساد ، وفلان يبغي على الناس إذا ظلمهم وطلب أذاهم ، ويأتي البغي بمعنى الاستطالة على الناس والكبر .

والبغي من الكبائر التي حذرنا الله منها ونهانا عن ارتكابها وقد ورد في ذلك قوله تعالى :

﴿ قُلْ إنّما حرّم ربّيَ الفواحِشَ ما ظَهَرَ مِنها وَمَا بَطَنَ والإثمَ والبَغْيَ بِغَيْرِ الحق ﴾ الاعراف : ٣٣ .

وقال سبحانه :

﴿ إنّ اللهَ يأمُرُ بالعَدْلِ والإحْسَان وإيتاء ذي القُرْبى ويَنْهَى عَنِ الفَحْشَاء والمُنْكَر والبغي يَعِظُكُمْ لعَلّكم تَذَكّرون ﴾ النحل : ٩٠ .

وقد بيّن القرآن ان الإنسان يبغي في الأرض إذا ملك ناصية الثروة .

﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأرض ﴾ الشورى : ٢٧

فهذا وصف للطبيعة الإنسانية يرى حقائقها كل من يتأمل في سلوك كثير من الناس الذين اغتنوا بعد فقر ، فانقلب سلوكهم من وداعة وتواضع بين الناس الى بغي وتكبر واستطالة عليهم .

وقارون ـ الذي عاصر موسى عليه السلام ـ والذي اشتهر بغناه بغى في الأرض بسبب غناه ، قال تعالى :

﴿ إنَّ قارُون كان مِنْ قَوْمِ مُوسى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وآتَيْنَاهُ مِنَ الكنوز ما إنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بالعُصْبَةِ أُولي القُوَّة ﴾ القصص : ٧٦ .

ولقد نصحه قومه فلم يقبل نصيحتهم وأصرّ على بغيه فكان عاقبة بغيه ما ذكره القرآن :

﴿ فَخَسَفْنَا به وَبِدَارِهِ الأرض فما كان لَهُ مِنْ فِئَةٍ ينصرونه مِنْ دُونِ الله وما كانَ مِنَ المنتصرينَ ﴾ القصص : ٨١ .

وكما يكون البغي من الفرد يكون من الجماعة ، فالفئة الباغية هي الظالمة الخارجة عن طاعة الإمام العادل ، وقد بيّن القرآن الواجب المترتب على المؤمنين في حال اقتتال طائفتين من المؤمنين وبغي احداهما على الأخرى بقوله :

﴿ وَإِنْ طائِفَتَانِ مِنَ المؤمنين اقتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بينهما فإن بَغَتْ إحْدَاهُما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتّى تفيء إلى أمْرِ الله ﴾ الحجرات : ٩ .

فالفئة الباغية تُقاتل حتى ترجع الى حكم الله .

من كل ما تقدم يتبين ان البغي يكون إفساداً في الأرض او ظلماً للناس وتعدياً عليهم بغير حق ويكون افرادياً كما يكون جماعياً كاعتداء طائفة على طائفة اخرى . وقد حرّمه الإسلام تحريماً شديداً لما فيه من ايقاع الضرر بالغير وافساد المجتمع .

# عقوبة الارتداد عن الإسلام

ارتداد المسلم عن الإسلام من كبائر الإثم التي حذّر الله مرتكبها وأوعده بالعقوبة الشديدة يوم القيامة ، فقال تعالى :

﴿ومن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَنْ دينه فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فأولئك حَبِطَتْ أعمالُهُمْ في الدُّنيَا وأولئك أصْحَابُ النّارِ هُمْ فيها خالدون﴾ البقــرة : ٢١٧ .

والإسلام شرع عقوبة للمرتد ، فقد قال النبي ﷺ : (من بدّل دينه فاقتلوه )[١] .

وهذه العقوبة الشديدة بحق المرتد قررها الإسلام لأنه أقدم على أمر خطير . ذلك ان غير المسلمين قد كفل لهم الإسلام منتهى الحرية في عقيدتهم وعباداتهم والتزم بحمايته لهم ، وجعل لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين من حقوق.

فقتل المرتد لا يمكن تعليله إلاّ بأنه عقوبة على جريمة الخيانة العظمى المقررة في جميع قوانين الدول ، فالذي يعتنق الإسلام عليه الالتزام بمبادئه والثبات عليــه .

فالمرتد حين يعلن خروجه من الإسلام فهو يقصد بذلك الإساءة اليه والطعن فيه والانضمام الى أعدائه الذين يحاربونه ، وقد اتخذ هذا المسلك اليهود في صدر الدعوة الإسلامية فكانوا يتخذون من اعلان الدخول في الإسلام ثم الخروج منه بعد ذلك وسيلة للكيد ومحاولة لصد الناس عن الدخول فيه وكان يقول بعضهم لبعض فلنعطِ الرضا بالإسلام أولاً ثم نكفر به بعد ذلك فإنه اجدر ان يصدقنا الناس ويفهموا أننا قد رأينا منه ما كرهنا فلا يؤمن به من لم يؤمن ويرجع عنه من آمن ، وقد دخل بعضهم فعلاً في الإسلام ، ثم ارتد عنه مكراً وخديعة ، وفي هذا يقول تعالى :

---

(١) رواه البخاري .

﴿وقالت طائفة من أهل الكتاب[1] : آمنوا بالذي أُنزل[2] على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يَرجعون﴾ آل عمران : ٧٢ .

ومعنى الآية: وقالت جماعة من اليهود: آمنوا بالقرآن الذي أنزل على محمد أول النهار واكفروا في آخره لعلكم تستطيعون بهذا فتنة من آمن به فيرجعوا عن دينهم .

يقول الإمام محمد عبده : هذا النوع الذي تحكيه الآية عن صد اليهود الناس عن الإسلام مبني على قاعدة طبيعية في البشر وهي ان من علامة الحق ألاّ يرجع عنه من يعرفه ، ويظهر ان النبي ما أمر بقتل المرتد إلاّ لتخويف الذين يدبرون المؤامرات والفتن لإرجاع الناس عن الإسلام والتشكيك فيه .

وقد يقول قائل : إن بعض الناس قد يرتدون عن الإسلام لا حيلة ولا مكيدة ، فالجواب على هذا : قد يؤمن هؤلاء بأمر لاعتقادهم ان فيه منفعة شخصية لا لاعتقادهم انه حق في ذاته فإذا خاب ظنهم في المنفعة فإنهم يتركون ذلك الشيء .

ومن المشاهد انه لا يوجد مسلم فهم دينه حق الفهم ثم ارتد عنه بعد ان ذاق حلاوته واستشعر سمو مبادئه رغم استعمال اعدائه كل وسائل التمويه والترغيب والترهيب ، ورغم ما مرت به الشعوب الإسلامية من احتلال واستعمار وتبشير .

## عقوبة شرب الخمر

العقل هو مناط التكليف في الإسلام وهو الذي يميز به الإنسان الشرّ من الخير والفعل الحسن من القبيح .

والخمر عدو للعقل يصيبه بالخلل ، ومن يُصبْ في عقله تكنْ أفعاله شرّاً على الجماعة التي يعيش فيها .

---

(١) أهل الكتاب : هم اليهود والنصارى والذين يتحدث عنهم القرآن في الآية هم اليهود .
(٢) أي القرآن .

فأكثر مواطن الشغب والاجرام تحصل في اماكن شرب الخمر أو من تأثيرها .

كما ان لشاربي الخمر القسط الوافر من حوادث السير التي ينجم عنها الكثير من الضحايا البريئة . بالاضافة الى اضرار أخرى ذكرناها فيما سبق في كلامنا عن الخمر .

ولهذا شرع الإسلام العقوبة لشاربي الخمر لحفظ الجماعة من كل ما يؤول الى الضرر .

والقوانين الوضعية أدركت الأخطار التي يمكن ان تحصل من جراء الاعتداء على العقل واصابته بالخلل فعاقبت كل من يتناول المخدرات وتركت الناس تعب من الخمر عبّاً فكان ذلك التناقض بعينه لأن كليهما شرٌّ وبيل ولهما نفس الضرر على العقل .

أمّا الإسلام فقد حرّم الخمر وتعاطي المخدرات وساوى بينهما في العقوبة.

« فقد ثبت عن النبي ﷺ انه ضرب في الخمر بالجريد والنعال شارب الخمر اربعين ، وضرب ابو بكر الصديق رضي الله عنه أربعين، وضرب عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته ثمانين ، وكان عليّ رضي الله عنه يضرب مرة اربعين ومرة ثمانين .

فمن العلماء من يقول : يجب ضرب الثمانين ، ومنهم من يقول : الواجب أربعون والزيادة يفعلها الإمام عند الحاجة إذا أدمن الناس الخمر أو كان الشارب ممن لا يرتدع بدونها ونحو ذلك ، فأما مع قلة الشاربين وقرب أمر الشارب فتكفي الأربعون »(١) .

وقد اتفق الفقهاء على إقامة الحد على شاربي الخمر سواء أكان الخمر قليلاً أم كثيراً .

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية جـ ٢٨ ص ٣٣٦ .

ويشترط لإقامة الحد على شارب الخمر ان يكون مسلماً مكلفاً عاقلاً فإن الحد لا يُقام على الذمي (أي المسيحي) لأنه يعتقد إباحة الخمر .

وتثبت العقوبة بشهادة شاهدين والإقرار من الشارب بشروط لا مجال هنا لذكرها .

## الباب العاشر

# في المصيبة

- التخفيف من وقع المصيبة
- تحمّل المصيبة

## الفَصْلُ الأوّل

# التخفيفُ مِنْ وَقعِ المصيبة

وقع المصيبة وآثامها – مفهوم المصيبة في الإسلام – المصيبة يؤجر عليها الإنسان – الانسان ملك لله و إليه المرجع – المصيبة مقدرة من الله – الأعمار محددة – الزهد في الدنيا .

### وقع المصيبة وآثامها

من المشاهد (*) ان بعض الناس عند حلول المصائب يكفرون بخالقهم ، ويعترضون على قضائه ويدعون على أنفسهم بالهلاك ، وقد يتنكرون لكل قيم الخير ، وهم يحسبون ان المصيبة تبرّر لهم استحلال كل قبيح ، وفعل كل خطيئـــة .

كما ان المصيبة يكون وقعها فادحاً على النفوس المرهفة التي لم تتسلح بسلاح الإيمان فتؤدي بأصحابها الى اعتلال الاجسام ، أو اختلال العقل ، وربما جعلتهم غير صالحين للقيام بأعباء الحياة .

وكثيراً ما كان وقع المصيبة عند ضعاف الايمان فوق طاقتهم فيحملهم على الانتحار واكتساب إثمه العظيم .

ويمكن القول إن إيمان الذين يكفرون بخالقهم ويعترضون على قضائه عند المصائب هو إيمان سطحي لم يصل الى أعماق قلوبهم ، بل إن عبادتهم

---

(*) من مراجع هذا البحث كتاب « تسلية أهل المصائب » للإمام أبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد المنبجي الحنبلي .

كانت لمنفعة ينالونها ، فهؤلاء لم يصلوا الى كنه الدين وما يجب معاناته في سبيل ملاقاة ربهم والحصول على رضوانه ونيل ثوابه ، وقد وصفهم الله بقوله :

﴿ وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَعبُدُ اللهَ عَلى حَرْف ، فَإِنْ أَصابَهُ خَيرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ، وَإِنْ أصابَتْهُ فِتْنَةٌ[1] انْقَلَبَ عَلى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنيَا والآخرة ذَلِكَ هُوَ الخُسْرَانُ المُبينُ ﴾ الحج : ١١ .

والمعنى : ومن الناس من هو مزعزع العقيدة على طرف من الدين ، فإن أصابه ما يشتهي من مال وعافية وولد فَرِحَ به واطمأن ، وإن امتحنه الله بالبلاء والشدة في ماله ونفسه وولده ارتد الى الكفر ، فخسر بذلك في الدنيا راحة الاطمئنان الى قضاء الله ، كما خسر في الآخرة النعيم الذي وعد الله به المؤمنين الثابتين الصابرين .

## مفهوم المصيبة في الاسلام

وللمصيبة في الإسلام مفهوم خاص فهي ليست دائماً علامة سخط من من الله ، كما ان النعمة ليست دلالة رضى منه ، ولكن الله يجري النعم والمصائب ، والخير والشرّ على المؤمن ليرى اعماله وتصرفاته حيالها ويظهر جوهر ايمانه ، ومبلغ صدقه ام كذبه وهذا ما ذكره الله بقوله :

﴿ أَحَسِبَ النّاسُ أنْ يُتركوا أنْ يَقُولوا آمنّا وَهُمْ لا يُفْتَنُون . وَلَقَدْ فَتَنّا[2] الذين مِنْ قَبْلِهِم فليَعْلَمنَّ اللهُ الذين صَدَقوا وَليَعْلَمَنَّ الكاذبين ﴾ العنكبوت : ٢ ، ٣ .

والمعنى : هل توهم الناس انه يكفيهم ان يقولوا آمنا ليعتبروا من المقربين عند الله دون ان يُمتحنوا فيظهر انهم صادقون أو كاذبون ؛ ولقد اختبر الله الأمم السابقة بالتكاليف والمحن ليتميز الصادقون من الكاذبين .

ويقول الله تعالى في هذا المعنى : ﴿ ونبلوكم بالشرّ والخير فِتْنَةً وإلينا تُرْجَعون ﴾ الانبياء : ٣٥ .

---

(١) مصيبة وشدة . (٢) ابتلينا واختبرنا بالشدة .

ويقول النبي ﷺ : (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلاّ المؤمن إن اصابته سرّاء شكر فكان خيراً له وإن اصابته ضرّاء صبر فكان خيراً له )[1] .

وقد تكون المصيبة نوعاً من التحذير للمذنبين ليرتدعوا عن آثامهم ويرجعوا الى ربهم بالطاعة وهذا ما ذكره الله في القرآن :

﴿ وَلَقَدْ أرسلنا الى أُمَمٍ مِنْ قبلك فأخذناهم بالبأسَاءِ[2] والضَرّاء لَعَلَّهُم يَتَضَرَّعونَ ﴾ الانعام : ٤٢ .

فالله سبحانه يقول : ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك يا محمد رسلاً فلم يهتد قومهم فعاقبناهم بالشدائد تنزل بهم بما يضرهم في أبدانهم لعلهم يخشعون ويرجعون إلى الله .

## المصيبة يؤجر عليها الإنسان

ولقد جعل الإسلام المصيبة سُلّماً للارتقاء الروحي ، وتكفيراً للخطايا عن المؤمن وسبباً لنيل ثواب الله العظيم . وقد ورد في ذلك أقوال عن النبي ﷺ تحث المسلم ان يكون صامداً امام اشد المصائب وقعاً لينال ثواب ربه ، من ذلك قوله :

( ما يصيب المسلم من نَصَب[3] ولا وَصَب[4] ، ولا همّ ، ولا حُزن ، ولا أذى[5] ولا غمّ[6] ، حتى الشوكة يُشاكها إلاّ كفر الله بها من خطاياه )[7]

(من يُرد الله به خيراً يُصب منه )[8] .

( ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة )[9] .

وسُئل النبي ﷺ : أي الناس أشد بلاء؟ قال : الأنبياء ثم الأمثل

---

(١) رواه مسلم . (٢) البأساء : الشدة والمكروه . (٣) نصب : تعب .
(٤) وصب : مرض . (٥) أذى : ما يلحقه من تعدي الغير عليه . (٦) غم : إسم شامل لجميع أنواع المكروهات . (٧) رواه البخاري . (٨) رواه البخاري .
(٩) رواه الترمذي .

فالأمثل فيبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان دينه صُلباً اشتد بلاؤه ، وإن كان في دينه رِقّة ابتلي على حسب دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة[1] .

ويبين النبي ﷺ ثواب الصابر على فقد بصره :

( إن الله عز وجل قال : إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه ( أي عينيه ) فصبر عوضته منهما الجنة )[2] .

كما يبين النبي ﷺ ثواب الأم الصابرة التي فقدت بعض أولادها بقوله :

( ما منكن امرأة يموت لها ثلاثة من الولد إلا كانوا لها حجاباً من النار ، فقالت امرأة واثنين ؟ فإنه مات لي اثنان ، فقال رسول الله : واثنين )[3] .

ولقد وعد الله الصابرين على المصائب بحسن الأجر والثواب العظيم فقال تعالى :

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ : الذين إذا أصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا : إنَّا لله وإنَّا إلَيْهِ رَاجِعُونَ . أولئكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِم وَرَحْمَةٌ وَأولئك هُمُ المهتَدُونَ ﴾ البقرة : ١٥٥ ــ ١٥٧ .

فالله سبحانه يبشر الصابرين عند المصيبة بثلاث :

أولاً ( صلوات من ربهم ) فالصلاة من الله للصابرين الغفران والثناء الحسن عليهم .

ثانياً ( ورحمة ) وهي ما يكون لهم في نفس المصيبة من لطف الله ورعايته.

ثالثاً ( وأولئك هم المهتدون ) أي الى الطريق الواجب اتباعه في هذا السبيل .

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجة والإمام أحمد .
(٢) رواه البخاري . (٣) رواه البخاري .

## الإنسان ملك لله واليه المرجع

ولقد علمنا الله كلمة نرددها عند المصائب وهي قوله سبحانه :

﴿ والذين إذا اصابتهم مُصِيبَةٌ قالوا إنّا لله وإنّا إليه راجعون ﴾ .

ويقول النبي ﷺ : ( ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله به : إنّا لله وإنا اليه راجعون ، اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها إلاّ آجره الله في مصيبته وأخلف له خيراً منها )[1] .

فكلمة ( إنّا لله وإنّا اليه راجعون ) إذا آمن الإنسان بمحتواها وعمل بمقتضاها هانت عليه مصائب الأرض قاطبة ، فهي تتضمن أصلين هامين :

اولهما : ان نفس الإنسان وأهله وماله وولده مُلك لله ، وقد جعل الله هذه الأمور عند الإنسان بمرتبة الإعارة والوديعة ، فإذا أخذ الله منها شيئاً فهو يأخذ ما أعاره وائتمنه عليه ، وفي هذا المعنى قال الشاعر :

وما المال والأهلون إلاّ ودائع ولا بُدَّ يوماً أن تُرد الودائع

ثانيهما : ان مصير الإنسان ومرجعه الى الله عاجلاً أم آجلاً ولا بُدّ ان يخلف الدنيا وراء ظهره ويأتي ربه يوم القيامة فرداً كما خلقه أول مرة بلا أهل ولا مال ولا عشيرة ، ولكن يأتيه بالحسنات والسيئات ، يقول تعالى في مآل الإنسان يوم القيامة :

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى[2] كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَا خَوَّلْنَاكُم[3] وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ﴾ الانعام : ٩٤ .

ويقول النبي ﷺ : ( يتبع الميت ثلاثةٌ فيرجع اثنان ويبقى معه واحد ، يتبعه أهله ومالُهُ وعَمَلُه فيرجع أهله وماله ويبقى عَمَلُهُ )[4] .

## المصيبة مقدرة من الله

ومما يخفف وقع المصيبة على المسلم اعتقاده بأنها مقدّرة عليه ، وأنه ليس في وسعه ردّها ، وفي هذا يقول الله تعالى :

---

(١) رواه مسلم . (٢) فرادى : منفردون عن الأهل والمال والولد .
(٣) ما خولناكم : ما أعطيناكم من متاع الدنيا . (٤) رواه البخاري ومسلم .

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنْفُسِكُمْ إلاّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ، إنّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ. لِكَيْلا تأسَوْا عَلَى ما فَاتَكُم ، ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ الحديد : ٢٢ ، ٢٣ .

فالله يخبرنا بأن ما أصابنا من مصيبة في الأرض من قحط أو نقص في الثمرات ، وما أصابنا في انفسنا من مرض وفقر أو موت او غير ذلك فهي مكتوبة في اللوح المحفوظ مثبتة في علم الله من قبل ان يخلقها ، وهذا يسير على الله لشمول علمه كل شيء . ولقد أعلمنا الله ذلك كي لا يشتد حزننا بما وقع لنا من مصيبة وما فاتنا من نعيم الدنيا ، ولكي لا يشتد فرحنا عند حلول النعم فرحاً يطغينا ويبطرنا .

ويقول تعالى أيضاً :

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبةٍ إلاّ بإذْنِ اللهِ وَمَنْ يُؤمن بالله يَهدِ قلبه﴾ التغابن : ١١ .

قال جماعة من المفسرين تعليقاً على هذه الآية : هي المصائب تصيب المؤمن فيعلم انها من عند الله فيرضى ويسلّم .

ويقول النبي ﷺ في هذا المعنى :

( واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما اخطأك لم يكن ليصيبك )(١)

فإذا كانت المصيبة مقدرة من الله هانت على الإنسان المحن والمصائب ، إذ لا يقع في الكون شيء إلاّ بإذنه وبعلمه سبحانه وتعالى .

## الأعمار محددة

ومما يخفف وقع المصيبة على الإنسان اعتقاده بأن الآجال محدّدة ، وأن الأعمار كلها بيد الله ، فمن تحقق بذلك سلّم أمره الى الله ، وتقبّل مصيبته بفقدان ولده وأهله بثبات ويقين وعزاء . ولقد بيّن القرآن بأن الأعمار محددة :

﴿وما يعمّر من معمّر ولا يُنقص من عمره إلاّ في كتاب﴾ فاطر : ١١.

---

(١) رواه ابن ماجة .

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أن تَموتَ إلاّ بإذن الله ﴾ آل عمران : ١٤٥ .

﴿ فإذا جاء أجلهم لا يَسْتَأخِرون سَاعةً وَلاَ يَسْتَقدِمونَ ﴾ الاعــراف : ٣٤ .

ولا ريب في ان اعتقاد الإنسان بأن الأجل محدّد يلطف ويخفف من عميق حزنه عند مصابه بفقدان احد أفراد عائلته .

## الزهد في الدنيا

ومما يخفف من وقع المصيبة : الزهد في الدنيا والتطلع الى الآخرة .

فالدنيا جعلها الله دار ابتلاء لا ترى فيها لذة إلاّ وهي مشوبة بالكدر ، فكل ما يظن في الدنيا انه شراب فهو سراب ، وعمارتها وإن حسنت صورتها فهي الى خراب[1] .

ولقد بيّن الله للمؤمنين حقيقة الدنيا بما يثلج صدورهم ويخفف مــن بلواهم، فقال سبحانه ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدنيا قليل والآخرة خَيْرٌ لِمَنِ اتقى ﴾ النساء : ٧٧ .

فالاستمتاع بالدنيا قليل ، وثواب الآخرة خير وأفضل لمن اتقى ، فلا أسف على الدنيا لمن ابتلي بها في نفسه وماله وأولاده لأن له من العزاء بوجود الآخرة ونعيمها للمتقين ما يخفف عنه وقع كل مصيبة .

وقد رُوي عن عبد الله بن عمر أنه قال : أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال : (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل )[2] .

أي لا تركن الى الدنيا ولا تتخذها وطناً ، ولا تحدث نفسك بطول البقاء فيها ولا تغتر بها فإنها غرارة خداعة.

---

(١) وقد صدق الشاعر إذ قال :

يا عامراً لخراب الدهر مجتهداً ... بالله هل لخراب الدهر عمران
ويا حريصاً على الأموال يجمعها ... أنسيت أن سرور المال أحزان
يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته ... وتطلب الربح مما فيه خسران
أقبل على النفس فاستكمل فضائلها ... فأنت بالروح لا بالجسم إنسان

(٢) رواه البخاري وابن ماجه.

وروي ان رجلاً أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله دُلّني على عمل إذا أنا عملتُهُ أحبّني اللهُ وأحبني الناس فقال رسول الله : ازهد في الدنيا يحبّك الله ، وازهد في ما في أيدي الناس يحبوك )[1].

وكيف لا يزهد الإنسان في الدنيا وهي ان أضحكت قليلاً أبكت كثيراً ، وإن سرّت يوماً او أياماً ساءت اشهراً أو اعواماً ، وإن متعت قليلاً منعت طويلاً ، وما حصل للإنسان فيها من سرور إلاّ خبأت له أضعاف ذلك شروراً ، وقد قال ابن مسعود : لكل فرحة ترحة[2] ، وما ملىء بيت فرحاً إلاّ ملىء ترحاً .

وقال ابن سيرين : ما من ضحك إلاّ يكون بعده بكاء .

وقال أحدهم : من بلغ غاية ما يحب فليتوقع غاية ما يكره .

وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه : من زهد في الدنيا هانت عليه المصائب ومن ارتقب الموت سارع في الخيرات .

وروى ابن ابي الدنيا قال : انشدني الحسن بن السكن :

حياتك بالهـم مقرونة　　فما تقطع العيش إلاّ بهم
لذاذات دنياك مسمومة　　فما تأكل الشهد إلاّ بسُمّ
إذا تم أمرٌ بـدا نقصه　　توقّع زوالاً إذا قيل تم

وقال أحدهم :

حكم المنية في البرية جاري　　ما هذه الدنيا بدار قـرار
بينا يُرى الإنسان فيها مخبراً　　حتى يُرى خبراً من الأخبار
طُبعت على كدر وأنت تريدها　　صفواً من الأقذاء والأكدار

(١) رواه ابن ماجه .　　(٢) الترح : الحزن والهم .

## الفصل الثاني

# تحمّل المصيبة

اعتماد الصبر – استعذاب الألم – الرضا بقضاء الله – أمام المرض الشديد – ضبط النفس – تحريم النواح والندب على الميت .

### اعتماد الصبر

هناك أمور تساعد على تحمل المصيبة ، وإن اهم شيء بينها هو اعتماد الصبر فهو علاج مخفف ودواء ملطف .

والصبر خلق فاضل من اخلاق النفس يمنع الإنسان عمّا لا يحسن ولا يجمل ، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها .

والصبر ليس مقتصراً على المصيبة فقد قال عليّ بن ابي طالب رضي الله عنه : الصبر ثلاثة : صبرعلى المصيبة ، وصبر على الطاعة ، وصبر عن المعصية .

فالإنسان اذا صبر واحتسب[1] مصيبته لوجه الله نال ثوابه ، وإذا جزع ولم يصبر أثم وأتعب نفسه .

ولقد وعد الله الصابرين بالأجر العظيم فقال سبحانه :

﴿ انما يُوفّى الصابرون أجْرَهُم بِغَيْرِ حِسابٍ ﴾ الزمر : ١٠ .

واخبر الله انه معهم بهدايته ونصره ومعونته .

﴿ يا أيُّها الذين آمنوا اسْتعينوا بالصَّبْرِ والصَّلاَةِ[2] إنَّ الله مَــعَ الصابرين ﴾ البقرة: ١٥٣ .

---

(١) احتسب : طلب الأجر من الله .     (٢) في الآية إشارة إلى أن الصلاة يستعان بها على تحمل المصيبة .

فنال الصابرون هذه المعية التي هي خير الدنيا والآخرة ، والتي اختص بها الأنبياء كما قال سبحانه عن بعضهم ﴿ اني معكما اسمع وأرى ﴾ .

واخبر الله تعالى أنه يبتلي بعض خلقه ليمتحن صبرهم .

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حتى نَعْلَمَ المجاهدين مِنْكُمْ والصَّابِرينَ وَنَبْلُوَ أخباركم ﴾ محمد : ٣١ .

وقد روي ان النبي مرّ على امرأة تبكي عند قبر فقال : اتقي الله واصبري ، فقالت : إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي ، قالت ذلك وهي تجهل ان الذي خاطبها هو النبي ﷺ ، فلما قيل لها : إنه النبي ذهبت إليه لتعتذر ، فقالت له : لم أعرفك ، فقال لها النبي : ( انما الصبر عند الصدمة الأولى )[١] .

ذلك ان مفاجأة المصيبة لها وقع شديد تزعزع القلب وتزعجه بصدمتها ، فإن صبر المصاب عند الصدمة الأولى انكسرت حدتها ، وضعفت قوتها ، فهان عليه عندها استدامة الصبر .

ورُوي ان بنتاً للنبي ﷺ أرسلت اليه من يخبره : ان ابنها في الموت ، فقال النبي له ؛ ارجع فأخبرها : ( ان لله ما أخذ ، وله ما اعطى ، وكل شيء عنده بأجل مسمى ، فمرها فلتصبر ولتحتسب )[٢] .

هذه حكم جامعة ، من تأمل فحواها هانت عليه مصائب الدنيا .

فمعنى ( إن لله ما أخذ ) أي ان العالم كله ملكه ، فإن قبض نفساً فإنما أخذ ما هو له عندكم مما أعاركم إياه . وقوله : ( وله ما أعطى ) أي ما وهبه لكم لم يخرج عن ملكه فهو يفعل فيه ما يشاء . وقوله : ( وكل شيء عنده بأجل مسمى ) أي قضاء الله لا يمكن تقديمه ولا تأخيره فهو قد عيّن وقتاً محدّداً لكل ما يصيب الإنسان .

وتأمل اخيراً قوله : ( فمرها فلتصبر ولتحتسب[٣] ) فالإنسان إذا صبر عند فقد عزيز وابتغى بذلك الثواب من ربه كان ذلك له اعظم عزاء في مصيبته .

---

(١) رواه البخاري . (٢) رواه البخاري . (٣) تحتسب : تنوي بصبرها طلب الثواب من ربها .

فالجزع لا يرد ذاهباً ، والحزن لا يرجع هالكاً ولا عاطباً ، والبكاء لا يجدي صرفاً ولا نفعاً ، والقلق لا يفيد دفعاً لخطب ، فلا نفع عند الخطب غير الصبر .

وقد مات ابن للشافعي فجاءوا يعزونه فأنشد :

وما الدهر إلاّ هكذا ـ فاصطبر له ـ رزيّة مال او فـراق حبيب

## استعذاب الألم

ومما يساعد على تحمل المصيبة : اعتقاد المصاب ان مرارة الدنيا هي بعينها حلاوة في الآخرة ، هذه الحقيقة أعلنها النبي ﷺ بقوله :

( حُفّت الجنة بالمكاره ، وحُفّت النار بالشهوات )(١) .

( الدنيا سجن المؤمن وجنّةُ الكافر )(٢) .

فكل ما يقاسيه الإنسان من آلام المرض ومرارة الفقر وفقد الأحبة ، يعوضه الله بذلك يوم القيامة نعيم الآخرة ، هذا إذا صبر الإنسان على مصابه وابتغى بذلك وجه الله .

## الرضا بقضاء الله

ومما يُعزي المؤمن انه إذا صبر واحتسب مصيبته لوجه الله رجاء أن يخلفه الله تعالى خيراً منها ، ويعوضه عن مُصابه فإن الله لا يخيب رجاءه بل يعوضه خيراً منها .

وليعلم الإنسان ان حظه من المصيبة ما تترك من انطباعات في نفسه . فمن رضي فله الرضى من الله تعالى ، ومن سخط فله السخط منه ، يقول النبي ﷺ :

( إن عِظَم الجزاء من عِظَم البلاء وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضى ، ومن سخِط فله السّخْط )(٣) .

---

(١) أخرجه مسلم والترمذي . (٢) رواه مسلم والترمذي .

(٣) رواه الترمذي وابن ماجه .

فأنفع الأدوية للمصاب موافقته ربه فيما أحبه ورضيه له ، وإن خواص محبة الله وسرها موافقته ربه فيما قضاه .

فإن أحدثت المصيبة في نفس المصاب سخطاً وكفراً كان في زمـــرة الهالكين .

وإن احدثت في نفسه جزعاً وتفريطاً في ترك واجب أو فعل محرم كان في زمرة المفرطين ، فالجزع لا يرد المصيبة بل يضاعفها .

وإن حدثت المصيبة في نفسه اعتراضاً على حُكم الله وانتقاداً لحكمته كان في زمرة الزنادقة .

أما إذا احدثت المصيبة في نفس المصاب صبراً وثباتاً كان في زمـــرة الصابرين المقرّبين الى الله الذين خصهم بمحبتـــه وقال فيهم ( والله يحب الصابرين ) .

وإن احدثت له المصيبة حمداً وشكراً كان في زمرة الشاكرين الحامدين الموعودين بالثواب الجزيل ، فقد رُوي عن النبي ﷺ قوله :
( إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته : قبضتم ولَدَ عبدي ؟ فيقولون نعم ، فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده فيقولون : نعم ، فيقول : ماذا قال عبدي، فيقولون : حمدك واسترجع[1] ، فيقول الله عز وجل ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحَمْدِ )[2] .

وإن أحدثت المصيبة في نفس المصاب محبة واشتياقاً الى الله كان في زمرة المحبين المخلصين المقرّبين له ، يقول النبي ﷺ :
( من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه )[3] .

وليحذر الإنسان كل الحذر ان يتلفظ في حال مصيبته بشيء يحبط به أجره ويسخط به ربه مما يشبه التظلم ، فإن الله عدل لا يظلم احداً ، وعالم لا يضل ولا يجهل ، وحكيم لا يفعل شيئاً إلاّ لحكمة ، فإنه سبحانه لـــه ما أعطى ، وله ما أخذ ، ولا يُسأل عما يفعل ، وهو الفعّال لما يريد ، والقاهر فوق عباده وهو القائل :

---

(١) استرجع : قال : إنا لله وإنا إليه راجعون . (٢) رواه الترمذي .
(٣) رواه مسلم والنسائي .

﴿ وإن يَمْسَسْكَ الله بضُرٍّ فلا كَاشِفَ لَهُ إلاّ هُوَ ، وإن يَمْسَسْك بخَيْر فهو على كل شيء قدير ، وهو القاهِرُ فَوْقَ عباده وهو الحكيم الخبير ﴾ الانعام : ١٧ .

## أمام المرض الشديد

ومن الناس من يجزع أحياناً من طول مرضه أو شدّته فيتمنى الموت ، وهنا تتجلى حكمة النبي ﷺ في توجيه المريض فيقول :

( لا يتمنينّ أحدكم الموت لضرّ أصابه ، فإن كان لا بُدّ فاعلاً فليقل : اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي )(١) .

فهذه الوصية فيها شفاء لجزع المريض وقلقه ، ودعوة للتسليم لأمر الله مما يسبغ على المريض طمأنينة تخفف من آلامه وتساعده على الشفاء بإذن الله .

ويفتح النبي ﷺ باب الأمل والرجاء للمريض بنهيه ايضاً عن تمني الموت بقوله :

( لا يتمنّى أحدكم الموت ، إما محسناً فلعله ان يزداد خيراً ، وإما مسيئاً فلعله أن يَسْتَعتِب(٢) )(٣) .

علل النبي ﷺ النهي عن تمني الموت بأن الإنسان إن كان محسناً فحياته فيها رجاء ان يزداد بها إحساناً ، وإن كان مسيئاً ففي حياته أمل ان يزيل اللوم عنه بالتوبة الى الله والإنابة قبل الموت .

وهناك كثير من الناس من إذا اصابهم المرض الشديد اشتغلوا تارة بالجزع والشكوى وتارة بالتداوي الى ان يشتد عليهم المرض فيشغلهم اشتداده عن الالتفات الى صالح الأعمال : من وصية بالحق ، أو فعل خير ، أو تأهب للموت ، فكم من مقترف ذنوباً لا يتوب منها ، أو عنده ودائع لا يردها ، أو عليه ديْن لا يؤديه ، أو زكاه لا يخرجها ، أو في ذمته ظلامة لا يخطر له تداركها ، وانما حزنه على فراق الدنيا سيطر على شعوره ، فلا همّ له سواها ،

---

(١) رواه البخاري ومسلم . (٢) الاستعتاب : طلب إزالة العتاب من عاتبه إذا لامه ، أي يسترضي ربه بالإقلاع عن الذنب والاستغفار ورد المظالم . (٣) رواه البخاري .

وسبب ذلك ضعف إيمانه ، فينبغي للمؤمن ان يتدارك ذلك كله ولا يجعل المصيبة تشغله عن واجباته التي أمره الله بها .

وليحذر المصاب بمرض شديد ان يفكر بالانتحار للتخلص من آلامه فلقد ورد عن النبي ﷺ قوله :

( من قتل نفسه بشيء في الدنيا عُذّب به يوم القيامة )[١] .

فكم من المرضى شفوا بفضل الله وزالت عنهم أمراضهم وآلامهم واستأنفوا حياتهم الطبيعية بعد أن يئس الأطباء والأهل من شفائهم ، فالمؤمن أمله دائماً متعلق بربه لا ييأس[٢] ، ولقد قال تعالى :

﴿ إنه لا يَيْأسُ مِن رَوْحِ[٣] الله إلاّ القومُ الكافرون ﴾ يوسف : ٨٧.

ومما ينبغي للمصاب بمرض شديد فعله ان يجعل مكان الأنين : ذكر الله والاستغفار والتعبد حتى يُلاقي ربه بنفس مطمئنة ، ويكون من الذين قال الله فيهم :

﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ﴾ .

كما ينبغي للمؤمن المشرف على الموت وملاقاة ربه ان يُحسن الظن بالله ، يقول النبي ﷺ : ( لا يموت احدكم إلاّ وهو يُحسن الظنّ بالله )[٤] .

## ضبط النفس

وتلقّي المصيبة بضبط النفس وهدوء الأعصاب واليقين بأنها مقدرة من الله ، يخفف وقعها على النفس .

---

(١) رواه البخاري .

(٢) وقد صدق الشاعر ، إذ قال :

إذا بليت فثق بالله وارض به … إن الذي يكشف البلوى هو الله
إذا قضى الله فاستسلم لقدرته … ما لامرىء حيلة فيما قضى الله
اليأس يقطع أحياناً بصاحبه … لا تيأسن فإن الصانع الله

(٣) روح الله : رحمة الله .

(٤) رواه أبو داود .

فهناك فئة من الناس ضربوا المثل في ذلك فكانوا قدوة يتأسى بها المصابون.

جاء في صحيح البخاري ما معناه: اشتكى ابن لأبي طلحة من مرض شديد فمات وأبوه خارج البيت، فلما رأت أمه انه قد مات هيأت فراشه في جانب البيت ووضعته في وضع يخفي أمر موته، فلما جاء أبوه بادر زوجته قائلاً: كيف الغلام، فقالت: قد هدأت نفسه وارجو ان يكون قد استراح، وظن ابو طلحة ان ابنه بخير، ثم قدمت له طعاماً فأكل، ثم تصنعت له حتى واقعها وبات ليلته، فلما أصبح اغتسل. ولما أراد ان يخرج اعلمته انه قد مات، وفي رواية انها قالت له: أرأيت قوماً أودعوا قوماً وديعة ثم طلبوها منهم أفما يجب ان يؤدوها اليهم، قال: بلى، قالت: فاحتسب ابنك فغضب الأب لما صنعت زوجته، فلما كان الصباح ذهب الى رسول الله يشكوها اليه فتبسم رسول الله وقال: (بارك الله في غابر ليلتكما).

وقد رزق ابو طلحة بعد ذلك ذرية صالحة كانوا من قراء القرآن.

ويروى انه مات لرجل من السلف ولد فعزاه أصحابه وهو في حزن شديد الى ان جاء أحدهم فقال: يا هذا أرأيت لو كنت في سجن انت وابنك فافرج عن ابنك قبلك اما كنت تفرح؟ قال: بلى، قال: فإن ابنك خرج من سجن الدنيا قبلك فسُرّي عن الرجل وقال: تعزيت.

وروي ان ابن عباس نعي اليه اخوه وهو في سفر، فاسترجع[1] ثم صلى ركعتين وقال: فعلنا كما أمر الله: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾.

## تحريم النواح والندب على الميت

ذكرنا ان المؤمن يرضى بقضاء الله ويستعين على المصيبة بالصبر ولا يتصرف تصرفاً غير لائق، لكن نشاهد الكثيرين في زماننا يتبرمون بالمصيبة ويتصرفون تصرفاً طائشاً يتنافى مع الصبر والرضى بقضاء الله فيقدمون على شق ثيابهم ولطم خدودهم، وخمش وجوههم، ونتف شعورهم، والتصفيق بإحدى اليدين على الأخرى، ورفع أصواتهم عند المصيبة، وهذا كله مما حرّمه الإسلام، ونهى عنه أشد النهي.

---

(١) استرجع: قال: إنا لله وإنا إليه راجعون.

يقول النبي ﷺ : ( ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب[1] ودعا بدعوى الجاهلية )[2].

وروي ان النبي ﷺ تبرأ من الصالقة[3] (وهي الرافعة صوتها في المصيبة).

وروي ان رسول الله لعن النائحة والمستمعة[4].

وروي ان رسول الله لعن الخامشة وجهها ، والشاقة جيبها ، والداعية بالويل والثبور[5] .

وروي ايضاً انه قال : ( الميت يعذب في قبره بما نيح عليه )[6] .

وقد ذهب الى الأخذ بظاهر هذا الحديث الأخير جماعة من السلف ، ورده البعض محتجاً بقوله تعالى : ﴿ ولا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أخرى ﴾ .

ويمكن ان يفسر الحديث بأن معنى التعذيب تألم الميت بما يقع من أهله من النياحة وغيرها ، أو أن من كانت طريقته النوح فمشى أهله على طريقته أو أوصاهم بذلك عذب بصنيعه ، أو من كان يعرف من أهله النياحة وأهمل نهيهم عنها .

والنوح المحرم هو رفع الصوت بالندب والبكاء وتعديد شمائل الميت ، أما البكاء السالم من كل ذلك فهو جائز .

روي أن النبي ﷺ دخل على ابنه ابراهيم وهو يجود بنفسه ، فجعلت عينا رسول الله تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف وانت يا رسول الله ؟ ! فقال : يا ابن عوف إنها رحمة ثم اتبعها بأخرى فقال : إن العين تدمع والقلب يحزن ، ولا نقول إلاّ ما يُرضي ربنا وإنا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون[7]

وروي انه رفع اليه ابن لبنته — وهو في الموت — ففاضت عيناه ، فقال له سعد : ما هذا يا رسول الله ؟ قال : هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء[8] .

---

(١) الجيب : فتحة الثوب من ناحية الصدر .　(٢) رواه البخاري .
(٣) رواه البخاري .　(٤) رواه أبو داود .　(٥) رواه ابن ماجة .
(٦) رواه البخاري .　(٧) رواه البخاري .　(٨) رواه البخاري .

وقال ﷺ : ( إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذّب بهذا – وأشار الى لسانه – أو يرحم ، وإن الميت يعذب ببكاء أهله عليه[1].

هذه وصية النبي أمام جلال الموت ، وليعلم أهل الميت أنهم إذا بدلوا بعويلهم ونواحهم ولطم خدودهم وشق ثيابهم : الصبر وطلب الأجر من الله على مصابهم ، والدعاء والاستغفار وقراءة القرآن والصدقة عن روح فقيدهم ، لكان ذلك أجدى لهم فيحصل لهم بذلك حسن العزاء والأجر على مصابهم والثواب لميتهم .

ولقد قال النبي ﷺ :

( يقول الله تعالى : ما لعبدي المؤمن عندي جزاءٌ إذا قَبَضْتُ صفيّه[2] من أهل الدنيا ثم احتسبه[3] إلاّ الجنة )[4].

---

(١) رواه البخاري .

(٢) صفيه : حبيبه كالولد والأخ وسائر محبوبيه .

(٣) احتسبه : صبر على مصابه طالباً الأجر من الله .

(٤) رواه البخاري .

## الباب الحادي عشر

# خطايانا

# في الإعراض عن العبادة

- مفهوم العبادة
- الصلاة
- الزكاة
- الصوم
- الحج

# الفَصْلُ الأوّل

# مَفهُومُ العِبَادة

الإثم الكبير لتارك عبادة الله — العبادة في اللغة — مجالات العبادة .

## الإثم الكبير لتارك عبادة الله

اعراض الإنسان عن عبادة ربه من كبائر الإثم التي حذّر الله منهـا بالعقوبة الشديدة في الآخرة ، قال تعالى :

﴿ إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين[1] ﴾ غافـر : ٦٠ .

فالإنسان مكلف بعبادة ربه منذ أن وُجِدَ على الأرض قياماً بحق الله عليه لما اسبغ عليه من نعمه التي لا تحصى ، واستعانة به على ضعفه ، وطلباً منه للهداية التي تعينه على العيش بسلام ، وتوقياً للمعاصي التي تؤدي الى غضب الله وانتقامه .

ولقد كان نداء القرآن للناس جميعاً الى عبادة لله مذكراً إياهم بنعمه عليهم بقوله :

﴿ يَا أَيُّها النّاسُ اعبدُوا ربّكُمُ الذي خلَقَكُمْ والذين مِنْ قَبلِكُم لعَلّكُمْ تتّقُونَ . الذي جعَلَ لَكُمُ الأرْضَ فِراشاً والسَّماءَ بِناءً وأنزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فأخْرَجَ بِهِ مِنَ الثمرات رِزْقاً لكم فلاَ تَجعَلُوا للهِ أنداداً وأنتم تعلَمُونَ ﴾ البقرة : ٢١ ، ٢٢ .

---

(١) داخرين : أذلاء .

ولقد كان أول واجبات الأنبياء تذكير الناس بعبادة ربهم .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّه لا آله إلاَّ أنَا فاعْبُدُونِ ﴾ الأنبياء : ٢٥ .

وأوصى الله نبيه محمداً بعبادته حتى الموت .

﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يأْتِيَكَ اليَقِينُ ﴾ الحجر : ٩٩ .

واليقين يعني الموت لأنه أمر متيقن .

ويقول النبي ﷺ لمعاذ بن جبل : أتدري ما حق الله على العباد ؟ قال : الله ورسوله أعلم ، قال النبي : أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً . أتدري ما حقهم عليه ؟ قال : الله ورسوله أعلم ، قال النبي : ان لا يعذبهم )[1] .

ولكن ما هي العبادة ؟ وما هو مفهومها ؟ وما هي حدودها ؟

لعلماء اللغة والشريعة آراء في ذلك نعرضها فيما يلي :

## العبادة في اللغة

جاء في كتب اللغة ان العبادة بمعنى الطاعة والخضوع والذل والتنسك ، والعبادة نوع من الخضوع لا يستحقه إلاّ المنعم بأجل النعم وأعظمها وهو الله سبحانه .

يقول الاستاذ ابو الأعلى المودوي : إن مفهوم العبادة الاساسي ان يذعن المرء لعلوّ احد وغلبته ثم ينزل له عن حريته واستقلاله ، ويترك إزاءه كل مقاومة وعصيان وينقاد له انقياداً... وبما أن وظيفة العبد الحقيقية هي إطاعة سيده وامتثاله أوامره ، فحتماً يتبعه تصور الإطاعة » .

ويضيف الاستاذ المودوي الى هذا عنصراً عاطفياً جديداً تتمثل فيه عبودية القلب المفعم بعواطف الشكر والامتنان على نعم الله واياديه، ومظهر هذا العنصر هو التنسك واداء الشعائر .

ويقول الشيخ محمد عبده : العبادة ضرب من الخضوع بالغ حدّ النهاية

---

(١) رواه البخاري .

ناشيء عن استشعار القلب عظمة للمعبود لا يعرف منشأها ، واعتقاده بسلطة له لا يدرك تفهمها وماهيتها . وقصارى ما يعرف منها انها محيطة به، ولكنها فوق إدراكه » .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : العبادة أصل معناها الذل ... لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب ، فهي تتضمن غاية الذل لله تعالى بغاية المحبة له » .

ويقول : من خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عابداً له ، ولو أحب شيئاً ولم يخضع له لم يكن عابداً له » .

وبهذا الشرح لمعنى العبادة ندرك ان العبادة المشروعة لا بد لها من امرين :

١ ــ الالتزام بما شرعه الله ودعا إليه الرسل امراً ونهياً وتحليلاً وتحريماً وهذا هو الذي يمثل عنصر الطاعة والخضوع لله عز وجل .

٢ ــ ان يصدر هذا الالتزام من قلب يحب الله تعالى ، فليس في الوجود من هو أجدر من الله تعالى بأن يُحب ، فهو صاحب الفضل والإحسان المطلق.

**مجالات العبادة :**

**الأمر الأول :** من العبادة الذي قوامه : الطاعة والخضوع لله يشمل كل ما أمر الله به ودعا اليه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة .

**فالأعمال الظاهرة :** تشمل الأركان الشعائرية من الصلاة والصيام والزكاة والحج ويطلق عليها العبادات والتي هي موضوع بحثنا الاساسي في هـــذا الفصل ، كما تشمل ما زاد على ذلك من ألوان التعبد التطوعي من ذكر الله ، وتلاوة للقرآن ، ودعاء ، واستغفار ، وتسبيح وتهليل وتكبير وتحميد لله سبحانه .

كما تشمل العبادة الظاهرة : حسن المعاملة ، والوفاء بحقوق الأقارب : كبرّ الوالدين ، وصلة الأرحام ، والإحسان إلى اليتيم والمسكين وابن السبيل ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وكل ما أوصى الله به من الأخلاق الفاضلة .

والعبادة الباطنة تشمل خشية الله والإنابة اليه ، واخلاص الدين له ، والصبر لحكمه والرضى بقضائه[1] .

**والأمر الثاني** : من العبادة الذي هو بمعنى : غاية الحب والذل لله فهو مما يحرّر الإنسان من الذل والخضوع لكل ما سوى الله من أنواع الآلهة التي تستعبد الناس وتسترقهم ، ذلك ان في قلب الإنسان حاجة ذاتية الى معبود يتعلق به ويسعى اليه ويعمل على رضاه ، فإذا لم يكن هذا المعبود هو الله تخبط في عبادة آلهة شتى وارباب أخر الأمر الذي يشتت عقله ويرميه في متاهات الخرافات والأساطير والأوهام .

يقول ابن تيمية :

« وكل من استكبر عن عبادة الله لا بد أن يعبد غيره ... فالإنسان له إرادة دائماً ، وكل إرادة فلا بد لها من مراد تنتهي اليه . فلا بد لكل عبد من مراد محبوب هو منتهى حبه وارادته ، فمن لم يكن الله معبوده ومنتهى حبه وإرادته بل استكبر عن ذلك ، فلا بد ان يكون له مراد محبوب يستعبده غير الله ، فيكون عبداً لذلك المراد المحبوب : إما المال ، وإما الجاه ، وإما الصور ، وإما ما يتخذه إلهاً من دون الله كالشمس والقمر والكواكب والأوثان ، وقبور الأنبياء والصالحين أو من الملائكة والأنبياء الذين يتخذهم أرباباً ، أو غير ذلك مما عُبِدَ من دون الله »[2] .

---

(١) رجعنا في هذا الفصل إلى كتاب « العبادة في الإسلام » للأستاذ يوسف القرضاوي .

(٢) من كتاب العبودية .

## الفصل الثاني

# الصّلاة

الصلوات الخمس – الإثم الكبير لتارك الصلاة – الصلاة كفارة للخطايا – الصلاة سبيل للفلاح – الصلاة وفضيلة الشكر – الصلاة وطاعة الله – الصلاة والتمسك بالقرآن – الصلاة وتخفيف البلاء .

### الصلوات الخمس

أهم مظهر من مظاهر العبادة التي دعا اليها الإسلام : الصلوات الخمس ، فهي رحلات روحية يفرّ بها المؤمن من دنياه الى ربه .

يقف فيها المسلم مستقبلاً بيت الله الحرام ثم يفتتح صلاته بكلمة ( الله اكبر ) التي يتمثل فيها العبودية بكافة مظاهرها ، فالله اكبر من كل ما يستعظم في الوجود وكل ما يخضع له .

ثم يناجي المصلي ربه بقراءة سورة الفاتحة قائلاً : ﴿ الحَمْدُ لله رَبِّ العَالمين ، الرحمٰن الرَّحيم ﴾ فهي تذكره بحمد الله على نعمه ورحمته الشاملة ، وهذا إشعار بحب الله لما أنعم على الإنسان من نعم ، وتناغم وجداني بينه وبين ربه ، فهو ( الرحمن الرحيم ) ، وبهذا تطمئن النفس وينتفي الإرهاب منها ، كما هو الحال في عدد من الديانات الوثنية حيث يتعبد الإنسان الخائف آلهته الغاضبة كي لا تنزل به غضبها وسخطها ، وهذا ما صورته التراجيديا اليونانية .

وبعدها تذكره الصلاة بوحدة الألوهية حين يناجي ربه قائلاً : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ فلا عبادة للشخصية ، ولا هوى من أهواء النفس ، ولا ركون الى الخرافات والأساطير .

وبعدها تدعوه لطلب الهداية من الله : ﴿ إهدِنَا الصِّراطَ المستقيم ، صراط الذين أنْعَمْتَ عَلَيهم غَيْرِ المغضوب عَلَيْهِم ولا الضالين ﴾ وفي هذا إيحاء للمصلي باتباع الطرق السليمة واجتناب سبل الضلال .

ثم يقرأ المصلي بعض السور أو الآيات التي فيها الهداية له .

ثم يركع المصلي منحنياً حتى يستوي ظهره ممسكاً ركبتيه بيديه قائلاً في أثناء ركوعه (سبحان ربي العظيم) .

ثم يرفع رأسه حامداً لله قائلاً : (سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد)

ثم يخرّ ساجداً واضعاً جبهته على الأرض ويقول في أثناء سجوده (سبحان ربي الأعلى) .

ثم يرفع المصلي رأسه حتى يطمئن في جلسته ثم يعود الى السجود كالمرة الأولى ، والسجود في الإسلام هو منتهى القربى من الله .

وتسمى مجموعة هذه الأعمال ركعة من ركعات الصلاة .

ثم يقوم المصلي لأداء مثلها ، وهي في صلاة الصبح ركعتان ، وصلاة الظهر والعصر والعشاء أربع ركعات ، وصلاة المغرب ثلاث ركعات .

هذه لمحة خاطفة عن كيفية الصلاة ذكرتها دون ان أذكر بقية أعمالها وشروطها خوفاً من التطويل[1] .

فالصلاة في الإسلام تقوم على الوضوح والتعقل وينصهر في مفهومها وحقائقها كل فرد من المسلمين دون الاعتماد على رجل الدين وهي بعيدة كل البعد عن الألغاز والتمويهات والأسرار .

---

(١) من يرد الاطلاع الكافي على كيفية الصلاة وشروطها وأنواعها فليرجع الى كتاب (روح الصلاة) للمؤلف أو الكتب التي عالجت هذا الموضوع .

## الإثم الكبير لتارك الصلاة

ترك الصلاة من كبائر الإثم التي أوعد الله عليها بالعذاب يوم القيامة ، فأصحاب الجحيم يُسألون يوم القيامة عن سبب عذابهم فيجيبون بما يذكره القرآن :

﴿ ما سلككم[١] في سقر[٢] ؟ قالوا لم نَكُ من المصلين ولم نك نطعم المسكين ﴾ المدثر : ٤٣ .

وجاء في القرآن في بيان أهمية الصلاة :

﴿ فإن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وآتوا الزكاة فَإخوَانُكُمْ في الدّين ﴾ التوبه : ١١ .

استدل بعض العلماء من هذه الآية على كفر تارك الصلاة ومانع الزكاة فالأخوة في الدين لا تتحقق إلاّ بالتوبة من الكفر ، واقام الصلاة وايتاء الزكاة .

ويقول النبي ﷺ مؤكداً أهمية الصلاة : ( بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة )[٣] .

كما يقول ايضاً : ( ان العهد الذي بيننا وبينهم[٤] : الصلاة ، فمن تركها فقد كفر )[٥] .

ومما جاء في إثم تارك صلاة الجمعة ما روي عن النبي ﷺ قوله :

( لينتهينّ أقوام عن ودعهم ــ أي تركهم ــ الجمعة أو ليختمنّ الله على قلوبهم ثم ليكوننّ من الغافلين )[٦] .

وقال النبي ﷺ ايضاً : ( مَنْ ترك ثلاث جمع تهاوناً طبع على قلبه )[٧] .

---

(١) ما سلككم : ما أدخلكم . (٢) سقر : جهنم .
(٣) رواه مسلم وأبو داود والترمذي .
(٤) إن العهد الذي بيننا وبينهم : أي الذي يفرق بين المسلمين والكافرين .
(٥) رواه النسائي .
(٦) رواه مسلم .
(٧) رواه احمد وأصحاب السنن الأربعة .

## الصلاة كفارة للخطايا

قد يخطىء المسلم أو يرتكب ذنباً ثم يقف بين يدي ربه مؤدياً صلاته فتكون هذه الصلاة توبة له تتعقب خطاياه فتمحوها كلما تراكمت على نفسه .

فالإنسان إذا لزم معصية الله فترة طويلة اعتاد على ذلك فقسا قلبه ، وتباعد عن ربه ، وشجعه ذلك على التمادي في خطاياه حتى يدركه الموت وهو من الخاسرين . لذا كان للمسلم في كل صلاة توبة ، وباب الى مغفرة الله ، وقد أشار القرآن الى ذلك :

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ الليل، إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئات ، ذَلك ذِكرى للذاكرين ﴾ هود : ١١٤ .

رُوي في أسباب نزول هذه الآية : ان رجلاً أصاب من امرأة قبلة فأتى النبي فأخبره فأنزل الله هذه الآية ، فقال الرجل : يا رسول الله أليَ هذا ، قال : ( لجميع أمتي كلهم )(١) .

ويقول النبي ﷺ في هذا المعنى : ( أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيءٌ؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء ، قال: فكذلك الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا )(٢) .

## الصلاة سبيل للفلاح

والمسلم الذي يقيم الصلوات في أوقاتها يعيش في يقظة دائمة مستشعراً مرور الساعات متذكراً انه مسؤول عن طاقات نشاطه فيما أفناها وعن أيام عمره فيما قضاها . وشر ما يبتلى به الإنسان الغفلة السائبة التي تبدد أوقاته فيما لا فائدة فيه ، وإضاعة حياته من حيث لا يدرك ان الحياة فرص يجب ان يغتنمها بالعمل الجاد وإلاّ أصبحت حياته الى خسران .

---

(١) صحيح الترمذي ، أسباب النزول للواحدي . (٢) رواه البخاري ومسلم .

ففي الصلاة وانتظام أوقاتها المتوالية تنبيه الى مراحل الوقت والاستفادة منه الى أقصى حد وعدم إضاعته بالعبث واللهو .

لهذا كان النداء للصلاة من ضمنه ( حي على الصلاة ، حي على الفلاح ) .

واشد أنواع اللهو التي يُهدر بها وقت الإنسان وتبدد نشاطاته وتقضي على مستقبله هما نوعان : القمار والخمر ، لهذا وصفهما الله بأنهما يصرفان عن الصلاة التي تجعل الإنسان يقظاً مسيطراً على أهواء نفسه ، مقدراً لقيمة الوقت فلا يهدره فيما لا نفع منه ، قال تعالى :

﴿ إنَّما يُريدُ الشيطانُ أن يُوقِعَ بَينَكُمُ العَداوَةَ والبَغْضَاءَ في الخَمْرِ والمَيْسِرِ وَيَصُدَّكم عَنْ ذِكْرِ الله وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَل أنْتُمْ مُنْتَهونَ ﴾ المائدة : ٩١ .

## الصلاة وفضيلة الشكر

والصلاة من أهم معانيها : شكر الله على نعمه ، فقد كان النبي يقوم في الليل للصلاة حتى تتورم قدماه فقيل له : لِمَ تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : ( أفلا اكون عبداً شكورا ).

ولهذا يقرأ المسلم في كل ركعة من ركعات الصلاة سورة الفاتحة التي تبتدىء بآية ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ كما يقول المسلم بعد القيام من الركوع ( سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد ) .

ففي الصلاة يؤدي المصلي واجب الشكر لخالقه وإذا تعوّد الإنسان على القيام بواجب الشكر انتقل هذا المعنى الى واجباته نحو مجتمعه ، فشكر والديه وشكر كل من يسدي اليه معروفاً بمقابلته بالجميل . ولقد أشار النبي ﷺ الى ذلك بقوله : ( من لم يشكر الناس لم يشكر الله )[1] .

والشكر هو القمة في التسامي لأنه يشيع الود ويشجع على فعل الخير ، فالإنسان كثيراً ما يفعل الخير طمعاً في التقدير ، والشكر على أعماله الحسنة ، فاذا انعدم الشكر انعدمت دوافع العمل الصالح من نفسه .

---

(١) رواه الترمذي .

### الصلاة وطاعة الله

والصلاة كذلك تربية نفسية لأنها تهيء المسلم لطاعة الله. فالذي يطوّع جوارحه لأمر الله في الصلاة ــ من ركوع وسجود ــ عدة مرات في اليوم والليلة فإن نفسه تصبح طيّعة على طاعة الله ورسوله في سائر الأمور المفروضة عليه، وطاعة الله ورسوله هما السبيل لسعادة الإنسان.

والتلازم بين إقامة الصلاة وطاعة الله ورسوله اشار إليه القرآن:

﴿ فأقيموا الصَّلاة وآتوا الزكاة وأطيعُوا الله وَرَسُولَه واللهُ خَبيرٌ بما تعملون ﴾ المجادلة: ١٣.

### الصلاة والتمسك بالقرآن

والصلاة تصل المسلم بالقرآن وتجعله يتمسك به على الدوام.

فالمصلي يقرأ في الركعتين الأوليين ما تيسّر من القرآن بعد سورة الفاتحة. هذه القراءة تشتمل على أوامر الله ونواهيه، وذكر الآخرة، ومواقف الحساب، وعظمة الخالق وقدرته، وفضله على الإنسان مما يدخل الخشوع في القلب والرهبة من مخالفة أمره، فترتدع النفس عن الفحشاء والمنكرات.

هذا التلازم بين قراءة القرآن والصلاة من جهة، والامتناع عن مخالفة أمره من جهة اخرى أشار اليه القرآن بقوله:

﴿ أتْلُ مَا أُوحِيَ إلَيْكَ مِنْ الكتاب وَأَقِمِ الصَّلاةَ، إنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمنكر وَلَذِكْرُ الله أكْبَرُ، وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعونَ ﴾ العنكبوت: ٤٥.

ومن الجهل الفاضح بروح الصلاة ما يفعله كثير من المسلمين من الاقتصار على قراءة بعض السور القصيرة في الصلاة وتردادها في كافة الصلوات دون فهم لمعانيها.

فالقرآن هو ميدان فسيح يجب ان يرتاده المسلم على الدوام، ويحفظ من آياته ليقرأه في الصلوات، ففيه البلسم والشفاء، فالاقتصار على قراءة سور قصيرة بعينها دون فهم لمعانيها يؤدي بالمصلي الى عدم استشعار لذة المناجاة الالهيــة.

أما التنوع والإكثار في قراءة القرآن مع فهم لمعانيه بالرجوع الى التفاسير ففي ذلك التزود بطاقة روحية جديدة باستمرار ، والشعور بلذة المناجاة الالهية ، والقضاء على الملل والكسل الذي يصيب بعض الأنفس بسبب جهلهم لروح الصـــلاة .

وقد كان النبي ﷺ ينوّع في قراءة القرآن في الصلوات فيقرأ تارة السور الطويلة ، وتارة السور المتوسطة ، وتارة السور القصيرة ، ولا يقتصر على سور قصيرة معينة كما يفعل الآن كثير من المسلمين .

ومن السور التي كان يقرأها النبي في الصلوات هي : سبح اسم ربك الأعلى ، والليل إذا يغشى ، الدهر ، الطور ، والسماء والطارق ، والسماء ذات البروج ، السجدة ، المرسلات عرفا ، الاعراف ، الانعام، آل عمران ، الشمس وضحاها ، ق والقرآن المجيد ، الروم ، الدخان ، الغاشية ، ص ، العلق ، الانشقاق ، المعوذتان ، قل هو الله احد ، والتين والزيتون ، إذا زلزلت الأرض زلزالها ، وغيرها من السور .

فالمصلي إذا صلى منفرداً يختار السور الطويلة أو المتوسطة أو القصيرة حسب نشاطه واستعداده للعبادة .

أما بالنسبة لمن يؤم الناس بالصلاة فالنبي ﷺ ينصح بالإيجاز فيقول :

( يا أيها الناس إن منكم منفرين فأيكم ما صلى بالناس فليوجز فإن فيهم الكبير والضعيف وذو الحاجة )[1].

## الصلاة وتخفيف البلاء

والصلاة تقوي النفس الإنسانية عند المحن ، ففيها يدعو الإنسان خالقه الذي بيده وحده كشف الضر ، وفي الصلاة يستمد من الله العون والهداية فتطمئن بذلك نفسه وتقوى على البلاء، ولهذا أمر الله المؤمنين بالالتجاء الى الصلاة عند البلاء بقوله :

﴿ يا أَيُّها الذين آمنوا استعينوا بالصَّبرِ وَالصَّلاةِ إنَّ اللهَ مَعَ الصَّابرين ﴾ البقـــرة : ١٥٣ .

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

## الفصل الثالث

# الزكاة

قيمة الزكاة – جمع الزكاة – الإثم الكبير لتارك الزكاة – عقاب تارك الزكاة – الزكاة غير ضريبة الدولة – الزكاة بالنسبة لغير المسلم – مصارف الزكاة – ضرورة إنشاء بيت للمسلمين .

من المعروف ان نظام الضمان الاجتماعي حديث في عالمنا الحاضر ، فهو نتاج صراع الطبقات ، وثمرة المشاكل الاجتماعية المتولدة عن الثورة الصناعية والتقدم الاقتصادي ، بخلاف ذلك في الإسلام فقد قرّره منذ أربعة عشر قرناً كضرورة حتمية للقضاء على البؤس والفقر وتحرير الإنسان باسم الدين من عبودية الحاجة تحت اسم ( الزكاة ) .

### قيمة الزكاة

والزكاة يجب اخراجها عن كل ما يملكه الشخص ملكاً تاماً من أموال عينية وبضائع تجارية وزراعة ومواش شرط ان تكون زائدة عن حوائجه الضرورية .

وقيمة الزكاة اثنان ونصف في المائة في النقدين من الذهب والفضة والأوراق المالية وما يملكه المسلم من بضائع تجارية وسندات وأسهم .

والمقدار الذي يبتدىء فيه وجوب الزكاة في هذه الأصناف ويجعل مالكه من جملة المزكين هو من يملك النصاب ، ونصاب الزكاة من الذهب قيمته عشرون مثقالاً أي ما يعادل اثنى عشر جنيهاً وثمن جنيه انجليزي فما فوق ،

فمن يملك هذا المبلغ فائضاً عن حاجته مدة سنة[1] كاملة يجب عليه أداء الزكاة .

أما زكاة الزروع والثمار فهي عشرة في المائة إذا سقيت بدون آلات أي من مطر ، ولم يدفع ثمن الماء ، وخمسة في المائة إذا سقيت بالآلات، ويتكرر الأخذ كلما انتجت الأرض .

هذه لمحة سريعة عن الزكاة بدون ذكر شروطها . ومن أراد التوسع في ذلك فليرجع الى الكتب المختصة بهذا الموضوع .

### جمع الزكاة

والزكاة يجمعها وليّ الأمر أو من ينوب عنه لقوله تعالى :

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ التوبــه : ١٠٣ .

هذا وقد قرّر جمهور الفقهاء أن من يموت ولم يؤد الزكاة الواجبة عليه تكون ديناً في التركة يتقدم الوفاء بها على المواريث وعلى تنفيذ الوصايا .

وإننا نتساءل كيف يطبق كثير من المسلمين شريعتهم في المحاكم الشرعية على المواريث والزواج والطلاق ـ كلبنان مثلاً ـ ولا يطبقونها في جباية الزكاة وصرفها على مستحقيها أيؤمنون ببعض أحكام الاسلام ويكفرون ببعضها كما قال الله تعالى :

﴿ أَفَتُؤْمِنون بِبَعْضِ الكتاب[2] وتكفرون بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ منكم إلاّ خِزْيٌ في الحياة الدنيا ﴾ البقرة : ٨٥ .

ان عدم جباية الزكاة ودفعها على مستحقيها أدى الى تفكك المجتمع الإسلامي وعدم تماسكه وبالتالي الى تدني مستواه الاجتماعي والاقتصادي وما يستتبع ذلك من نشوء طبقات تكون عرضة للإجرام والتخريب بسبب الحرمان الذي تعيشه والاهمال الذي تعانيه .

---

(١) المراد بالسنة السنة القمرية .
(٢) الكتاب : أي القرآن الكريم .

## الإثم الكبير لتارك الزكاة

أعلن القرآن وجوب الزكاة مقروناً بالصلاة بصيغة الأمر الصريح فقال تعـــالى :

﴿ وأقيموا الصَّلاة وآتوا الزكاة ﴾ البقرة : ١١٠ .

وجعل القرآن الممتنع عن أداء الزكاة من جماعة المشركين ، قال تعالى :

﴿ وَوَيلٌ للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة ﴾ فصلت : ٦ .

وَأمَرَ الله تعالى بقتال المشركين وحدّد لهم مهلة أربعة أشهر ليختاروا لأنفسهم بين استجابتهم لدعوة النبي : من التوبة ، وإقامة الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وبين قتالهم :

﴿ فإذا انْسَلَخَ الأشْهُرُ الحُـــرُمُ فاقْتُلُوا المشركين حَيْثُ وَجَدْتُموهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ واقْعُـــدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ، فإن تَابوا وأَقَامُوا الصَّلاة وآتوا الزكاة فَخَلُّوا سَبِيلَهُم إن الله غَفور رحيم ﴾ التوبة : ٥ .

استدل بعض أئمة الفقه بهذه الآية على كفر كُلٍّ من تارك الصلاة والممتنع عن أداء الزكاة ووجوب قتالهم .

ويقول الله تعالى في المشركين ايضاً :

﴿ فإن تَابُوا وَأقَاموا الصلاة وآتوا الزكاة فَإخوانُكُمْ في الدِّين ﴾ التوبـــة : ١١ .

ففي هذه الآية اشترط الله لتحقق أخوة الإيمان ، والدخول في جماعة المؤمنين ثلاثة أمور : التوبة من الكفر ، وإقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، ومعنى هذا ان تارك الصلاة ، والممتنع عن أداء الزكاة هو كافر كما استدل بذلك بعض الأئمة .

وتوعّد الله كل ممتنع عن أداء الزكاة بأشد العذاب في الآخرة ، فقال سبحانه :

﴿ والذين يكنزون الذّهَبَ والفِضَّةَ ولا يُنفِقُونها في سَبيل اللهِ فبشّرهم بعذَاب أليم . يوم يُحمى عَلَيْها في نار جَهَنَّم فتُكوى بها جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهورُهُمْ هذا مَا كَنَزْتُمْ لأنفُسِكُم فذوقوا ما كنتم تَكْنِزُونَ ﴾ التوبة : ٣٤، ٣٥ .

فقد بيّن الله ان الكانزين للذهب والفضة سيُعذّبون في النار يوم القيامة ، وأن ما كنزوه – أي منعوا زكاته – سيحمى عليه في نار جهنم يوم القيامة ثم تكوى بها أجسامهم ولكن في مواضع معينة حساسة جداً يكون الألم فيها مضاعفاً وهي جباههم وجنوبهم وظهورهم .

ورُوي عن النبي ﷺ قوله :

( من آتاه الله مالاً فلم يُؤد زكاته مُثّل لَهُ يوم القيامة شجاعاً[1] أقرع له زبيبتان[2] يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه[3] ثم يقول : أنا مالك أنا كنزك[4] . ثم تلا قوله تعالى : ﴿ ولا يَحسبَنّ الذين يَبْخَلُون بِمَا آتاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِه هُوَ خيراً لهم بَلْ هُوَ شَرٌّ لهم سَيُطَوَّقُونَ ما بخلوا به يَوْمَ القيامة وَلله ميراثُ السموات والأرض والله بما تعملون خبيرٌ ﴾ آل عمران : ١٨٠ .

ويبين النبي ﷺ مآل المال الذي لا يؤدى زكاته :

( ما خالطت الصدقة مالاً إلاّ أهلكته[5] ) .

يقول أحد العلماء في تفسير هذا الحديث : يكون قد وجب عليك في مالك صدقة فلا تخرجها فيهلك الحرام والحلال .

ويعلن النبي ﷺ ان منع الزكاة يؤدي إلى إصابة المجتمع بالعذاب :

( وما منع قوم الزكاة إلاّ ابتلاهم الله بالسِّنين[6] )[7] .

---

(١) شجاعاً : ذكر الثعابين . (٢) زبيبتان : أي له ما يشبه النابين الطويلين .
(٣) بلهزمتيه : شدقيه . (٤) رواه البخاري .
(٥) أخرجه الإمام البخاري في تاريخه . (٦) السنين : القحط والجدب .
(٧) رواه الطبراني في الأوسط والحاكم والبيهقي .

## عقاب تارك الزكاة

إذا امتنع مسلم أو جماعة من المسلمين عن أداء الزكاة إنكاراً لفرضيتها فإنهم يكونون بهذا الامتناع مرتدين عن الإسلام وتجري عليهم أحكام المرتدين لأن أدلة الفرضية ظاهرة في كتاب الله تعالى وسُنّة رسوله وإجماع الأمة .

وإذا منع بعض المسلمين الزكاة مع اقرارهم بوجوبها ، أو أخفوهـا وكتموها فإنه يكون على الإمام أن يأخذ من أموالهم الزكاة المستحقة جبراً وبدون رضاهم ويوقع عليهم عقوبة التعزير .

هذا كله إذا كان مانع الزكاة في ظل الإمام وليس خارجاً عن طاعته ، أما إذا كان خارجاً عن طاعة الإمام فإنه يجب قتاله إذا كان للإمام القدرة على اجباره ، لأن الزكاة فريضة في الإسلام واعطاؤها دليل الطاعة ، وبهـذا يفسرون قتال ابي بكر للمرتدين عندما رضوا بإقامة الصلاة وامتنعوا عن أداء الزكاة ، وقد اعترض عمر بن الخطاب على قتالهم فردّ عليه أبو بكر :

( والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها لرسول الله لقاتلتهم على منعها ) .

فيقتنع عمر بن الخطاب ويقول : ( فوالله ما هو إلاّ ان قد شرح الله صدر ابي بكر للقتال فعرفت انه الحق ) ووافقه على ذلك جلّ الصحابة وقاتل المرتدين وأجبرهم على إيتاء الزكاة .

ولعل الدولة الإسلامية في عهد الخليفة ابي بكر أول دولة تقاتل من أجل حقوق الفقراء والمساكين والفئات الضعيفة .

هذه احكام الممتنع عن اداء الزكاة ، فالمجتمع الإسلامي ليس فيه جماعة تدّعي الإسلام بدون التزامات يُفرض عليها القيام بها ، ومن أهم هـذه الالتزامات كفاية الطبقة المحرومة تحت شعار الزكاة .

فما نشاهده اليوم ممن يدّعون الإسلام ، ولا يؤدون الزكاة ويستغلون الطبقة المحرومة في سبيل مضاعفة ثرواتهم واشباع لذاتهم هؤلاء لا مكان لهم في المجتمع الإسلامي .

ولقد مضت فترة غير قصيرة من الزمن تُرِكَ هؤلاء الأغنياء على هواهم فنشأت في المجتمع الإسلامي رأسمالية مترفة لا تقوم بواجبها نحو الفقراء والمعوزين ، ونشأت بجانب ذلك طبقة بائسة تُعاني أشد العذاب من الحرمان .

ثم تطور الزمن ونشأ في العالم كثير من الأحزاب المتطرفة بسبب ظُلم رأس المال ادعى دعاتها بأن الدين نصير البورجوازية ، وانتشرت هذه الأفكار في العالم العربي ونشأ على إثْرِ ذلك كثير من الاحزاب فرّقت الأمة وهددتها بكثير من القلاقل والفتن .

فالرجوع الى تطبيق جباية الزكاة بإشراف الحاكم (خُذ من أموالهم صدقة) والزام الأغنياء بأدائها كما يأمر الإسلام هو كفاية للمحرومين وردٌّ للتهمة الباطلة عن الإسلام ، وبالتالي اظهار الإسلام بالمظهر الحقيقي الذي جاء به ، وهو انه نصير للفقراء، وان لا حاجة الى استيراد المبادىء والأفكار من الخارج في سبيل اصلاح المجتمع الإسلامي ، فللمسلمين في دينهم كل علاج للمحرومين وحَلٌ لمشاكلهم المادية .

### الزكاة غير ضريبة الدولة

وقد يدعي البعض ان دفع الزكاة يعتبر إرهاقاً للمسلمين لا سيما أنهم يدفعون الضرائب للدولة وان الضرائب تقوم مقام الزكاة ، وللرد على هؤلاء نقول : ان الزكاه تفترق عن الضريبة، فالضريبة تذهب للدولة لتأمين المرافق العامة ولرواتب الموظفين وإن كان قسماً ضئيلاً منها يذهب للطبقة المحرومة بما لا يسد حاجاتهم ، ولقد أصدر مجلس البحوث الإسلامية في القاهرة فتوى تفرق بين الضريبة والزكاة ، فالزكاة لها مصارف خاصة بما نصت عليه الآية التي سنذكرها مع شرحها فيما بعد ، كما ان للزكاة بيت مال مستقل عن خزانة الدولة[1] .

---

(١) في خزانة الدولة كانت الميزانية تقسم إلى أربعة أقسام : ١ ــ بيت مال الغنائم ٢ ــ بيت مال الجزية والخراج ٣ ــ بيت مال الزكاة ٤ ــ بيت مال الضوائع ؛ والفقراء لهم حق في بيت مال الغنائم وفي بيت مال الخراج والجزية ، كما لهم الشطر الأكبر في بيت مال الزكاة ولهم كل مال الضوائع .

والجدير بالذكر ان مجموع ما يدفعه المسلم من الزكاة مع الضريبة الحكومية يظل أقل بكثير مما يدفعه المجتمع الإشتراكي أو الغربي من ضرائب ، هذا مع العلم ان الزكاة يستفيد منها الغني إذا اصبح فقيراً ، فالغني يدفع لضمان حياة أخيه الفقير وحياته وحياة أبنائه إذا اصابهم الدهر بمكروه وافتقروا .

## الزكاة بالنسبة لغير المسلم

قد يقول قائل ما حكم غير المسلمين الذين هم مواطنون في دولة اسلامية ؟ أجاب على ذلك العلامة محمد ابو زهرة رحمه الله تعالى :

( إن الزكاة في أصل وجوبها لا تجب إلاّ على المسلم ، ولا تجب على غير المسلم إلاّ عند بعض الشيعة ... ولكن الدولة الإسلامية يجب عليها سدّ حاجة المعوزين من غير المسلمين ، فالتكافل الإجتماعي الإسلامي يعم ولا يخص طائفة دون طائفة لأنه رحمة الله والرحمة تعم ... وكان عمر ينفق على غير المسلمين من أموال الجزية ، والآن لا تفرض الجزية فلم يبقَ إلاّ ان تفرض عليهم الزكاة – مراعاة لقانون المساواة – وان ما يؤخذ منهم يعود عليهم ، وفوق هذا فالزكاة شريعة عامة في كل الأديان السماوية وجيراننا من غير المسلمين أهل دين سماوي )[1] .

وان حلقة الدراسات الاجتماعية لشؤون الشرق الأوسط أوصت بجعل الزكاة أساساً للتكافل الاجتماعي وأرسلت وصاياها بذلك الى كل دول الشرق العربي وكان ذلك في الحلقة التي انعقدت في دمشق في شهر ديسمبر ١٩٦٢ .

## مصارف الزكاة

بيّن القرآن مصارف الزكاة بهذه الآية :

﴿ إنّما الصّدَقاتُ لِلفُقَراءِ وَالمساكينِ والعامِلِينَ عَلَيها والمؤلَّفَةِ قُلُوبُهم وَفي الرِّقاب والغارِمينَ وفي سَبيل الله وابن السَّبيلِ فريضةً مِنَ الله واللهُ عَليمٌ حكيم ﴾ التوبة : ٦٠ .

---

(١) المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية .

وسنوضح كل صنف من هؤلاء فيما يلي :

**الفقراء والمساكين :** الفقير هو من لا مال له أصلاً أو له مال لا يكفيه أو الذي يملك أقل من النصاب ، والمسكين هو من لا يملك شيئاً اصلاً فهو أحوج من الفقير فيحتاج الى المسألة لتحصيل قوته .

والشريعة الإسلامية لم تنص على وسيلة معينة يلتزم بها الإمام في اداء حق الزكاة للفقراء والمساكين ، وانما خوله التصرف فيها بحسب ما تقتضيه المصلحة بما يسد حاجتهم .

ويجوز أخذ قسم من الزكاة لإقامة المستشفيات للفقراء والملاجىء للعجزة واليتامى ، وقد نص ابن عابدين ان ما ينفق في سبيل تعليم الفقراء وعلاجهم هو انفاق عليهم[1] .

ومن اجدى السبل استخدام جزء من الزكاة في انشاء مطاعم ومساكن شعبية للمساكين ، بل وفي انشاء مصانع يعمل بها الفقراء كل بحسب مقدرته فيجدون بذلك موردا لرزقهم .

**العاملون عليها :** وهم الذين يعملون في الزكاة يجمعونها ويحصونها ويبحثون عن ذوي الحاجات ويوزعونها على مستحقيها وفق توجيه الإمام ، والعمل في الزكاة له أجر والأجير يأخذ أجره .

**المؤلفة قلوبهم :** وهم الذين يراد كسبهم نحو الإسلام أو درء مخاطرهم سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين فهذا نصيب الدعوة للإسلام .

وقد قيل ان عمر بن الخطاب اسقط أو عطل سهم المؤلفة قلوبهم حين رفض اعطاءهم الزكاة وقال : (إن الله قد أعز الإسلام وأغنى عنهم ) ويبدو ان عمر لم يرد ان يعطل نصاً وإنما الأمر مرده عدم توافر شروط النص . واعطاء المؤلفة قلوبهم له موضعه الآن فإن بعض الناس يدخل في الإسلام فينقطع عن أهله وقومه ، وقد يفصل عن عمله ، فمن حق هؤلاء ان يصرف لهم من بيت مال الزكاة من سهم المؤلفة قلوبهم تثبيتاً لإيمانهم ومنعاً لهم من ان يفتنوا في دينهم .

---

(١) حاشية ابن عابدين ج ٢ ص ٨٤ .

ومثال آخر : يدخل في الإسلام أناس كثيرون في افريقيا وآسيا ويصبحون في حاجة الى تعليمهم واحتضانهم ، ولهذا يجب أخذ حصة من أموال الزكاة للإنفاق عليهم من أجل تثبيتهم وترغيبهم في الإسلام .

ومن باب تأليف الناس للإسلام يمكن ان يدخل الإنفاق على الدعاية للإسلام وبيان حقائقه لمن يجهله فكأننا بذلك نؤلف القلوب فكرياً وروحياً بثقة ويقين الى جانب التودد بالمساعدات المادية .

**وفي الرقاب :** أي في فك أسر الأرقاء، وقد ذهب الرق تقريباً في العالم . والجدير بالذكر ان الإسلام أول من حارب الرق وجعل له جزءاً من أموال الزكاة ينفق لفك أسر الأرقاء ، ولم يذكر التاريخ أي نظام سبق الإسلام الى ذلك .

**والغارمون :** وهم الذين استدانوا لضروزة ، وبغير سفاهة ولا تبذير ، ولم ينفقوا أموالهم على المحرمات .

فالإسلام إذ أمر بأداء الديون العادلة فهو في ذلك يسمو على أي تشريع قبله وبعده . فإذا نظرنا الى التشريعات التي كانت قبله رأينا القانون الروماني في بعض أدواره كان يسوغ للدائن ان يسترق المدين ، أما الإسلام فقد أمر بأن تؤدي الدولة ديْن المعسر من الزكاة ، وفي ذلك تكافل اجتماعي وتعاون انساني لا نظير له ، وفيه ايضاً تشجيع على القرض الحسن ، لأن ذا المال إن علم ان ماله لن يضيع أبداً أقرض المدين المحتاج .

**وفي سبيل الله :** أي الإنفاق على الجهاد في سبيل الله ، وبعبارة أخرى الإنفاق على الجيش وكل ما يتصل به من إعداد المعدات ، والأسلحة بكل أنواعها ، وهذا من أشد ما تحتاجه الدول العربية والاسلامية في الوقت الحاضر ، فمن عدو غاصب يحتل بعض أراضيها ، ومن عدو مستعمر يطمع في ثرواتها حتى أصبح تقوية الجيش من ألزم الأمور لها .

والحرب إنما تكون في سبيل الله إذا ارتبطت بدوافع إسلامية اعني ان تكون حرباً لنصرة دين الله واعلاء كلمته والدفاع عن دار الإسلام ، وأي كرامة للمسلمين ، وأي واجب عليهم ألزم من استعاده المسجد الأقصى

والاراضي المحتلة من فلسطين والمجاورة لها .

والجهاد في سبيل الله كما يكون عسكرياً قد يكون فكرياً أو تربوياً أو اجتماعياً أو اقتصادياً أو سياسياً .

فإنشاء جمعيات تحتضن الشباب المسلم وتقــوم على توجيهه الوجهة الإسلامية السليمة وتحميه من الإلحاد في العقيدة والانحلال في السلوك هو جهاد في سبيل الله .

وإنشاء صحيفة اسلامية تقف في وجه الصحف الهدامة والمضللة لتعلي كلمة الله وتعلّم الإسلام وتنصر الحق وترد عن الإسلام شبهات المفترين هو جهاد في سبيل الله .

ونشر كتاب يحسن عرض مفهوم الإسلام ويكشف عن مكنون جوهره ويبرز جمال تعاليمه ويرد على افتراءات خصومه هو جهاد في سبيل الله .

وابن **السبيل** : وهو المسافر الذي انقطعت به الأسباب بعيداً عن وطنه وليس لديه من المال ما يكفيه للعودة الى بلاده فإنه يعطى من مال الزكاة قدر الضــــرورة .

ويشمل ابن السبيل إعانة المهاجرين والمشردين واللاجئين السياسيين الذين أبعدوا أو فروا من ديار الكفر أو من الغزو أو الطغيان بسبب مواقفهم الإسلامية كما يشمل الطلاب المغتربين الذين ينقطع عنهم مرتبهم من أهلهم .

### ضرورة إنشاء بيت مال للمسلمين

ومما يبشّر بالخير قيام بعض المسلمين المخلصين في لبنان بمطالبة المسؤولين عن طائفتهم بتطبيق نظام الزكاة تحت مشروع اسموه ( رابطة بيت مــــال المسلمين في لبنان ) هذا المشروع الذي وقعه ووافق عليه خمس وأربعون جمعية خيرية ، وقد بينوا فيه أهمية الزكاة والضرورة الملحة لجمعها ، ومما جاء في هذا الكتيب :

« ثبت نتيجة الاحصاء والتدقيق ان ٥ ٪ فقط من الناس في لبنان يملكون ٨٥ ٪ من الثروة القومية ، وأن ٢٢ ٪ من المتوسطين يملكون ٦,٥٪ من الثروة

وان ٧٣ ٪ يملكون ٨,٥ ٪ من تلك الثروة ، أي هم في حالة من البؤس والفقر موجعة » .

كما ان ٩٠ ٪ من مجموع المتسولين والأطفال المشرّدين في الأزقة هم من أبناء المسلمين .

« يوجد في جميع أنحاء الجمهورية اللبنانية حوالي ٤٠٥ مؤسسات اجتماعية ناشطة في مختلف الحقول لا تملك الطائفة الاسلامية منها إلاّ حوالى ٦٠ مؤسسة »

« قدرت قيمة الزكاة المتوجبة على المسلمين في لبنان ١٠٠ مليون ليرة تقريباً لتسد حاجات الطبقة الفقيرة » .

ومما يساعد على جمع الزكاة هو المرسوم الاشتراعي رقم ١٨ الذي أعطى للطوائف حق تطبيق شرائعها والذي استفاد منه اليهود فلِمَ لا يستفيد منه المسلمون ؟

« فالكنيس في لبنان يقاطع كل من لا يدفع ما يتوجب عليه ، واليهود يدفعون ٢,٥ ٪ من أموالهم لصندوق الطائفة عندهم ويسمى ذلك بالعبرية « عاريخا » وعلاوة على ذلك لا يزوجون ولا يطلقون ولا يورثون من لم يُسدّد ما عليه ويأخذون كذلك ٢,٥ ٪ على مهور الزواج » .

إن مشروع ( رابطة بيت مال المسلمين ) يجب ان يؤيده كل مسلم لأنه دعوة الى تطبيق ركن من أركان الإسلام لا يصح اسلام المرء بدونه ، هذا الركن يعم خيره المسلمين وغيرهم من الطوائف .

الفصل الرابع

# الصيام

الإثم الكبير لتارك الصيام – الصيام وتقوى الله – الصيام والبر – الصيام والصبر – الصيام طاقة للروح – الصيام وصحة الإنسان .

**تعريف الصيام :** الصيام في الإسلام هو إمساك المسلم المكلف عن الطعام والشراب والعلاقة الجنسية من طلوع الفجر الى مغيب الشمس طوال شهر رمضان مع النية .

## الإثم الكبير لتارك الصيام

وقد كتب الله الصيام على المسلمين كما كتبه على الأمم السابقة ، قال تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا كُتِبَ عليكم الصيام كما كُتِبَ عَلَى الذين مِنْ قبلكم لَعَلَّكم تَتَّقُون ﴾ البقرة : ١٨٣ .

والنبي محمد ﷺ ذكر ان الصيام من أركان الإسلام الخمسة وبيّن الإثم الكبير لتارك الصيام بقوله :

( من أفطر يوماً من رمضان من غير رخصة ولا مرض لم يقضه صوم الدهر كله وإن صامه )(١) .

## الصيام وتقوى الله

فالصوم في الإسلام وسيلة لغاية هي تقوى الله كما قال سبحانه ( لعلكم

---

(١) رواه الترمذي .

تتقون ) . والتقوى هي الوقاية : وقاية النفس عن كل ما يعرّضها لغضب الله وعذابه ، ويكون ذلك بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، وصونها عما يراودها من الشهوات والخطايا ، وتزكيتها من كل شوائب الخصال الذميمة .

فالصائم يحرم نفسه من أقوى الغرائز الطبيعية : غريزة الطعام والشراب وغريزة الجنس امتثالاً لأمر الله ، ولا ريب انه بهذا الحرمان يحصل للصائم ألم ومشقة ، فهو يمتنع عنهما بإرادته ويحتمل ألم الحرمان طوال شهر رمضان ، مراقباً ربه ، ملاحظاً نفسه عند تركه كل شهوة من شهوات النفس انه لولا اعتقاده بأن الله مطلع عليه لما صبر على الامتناع عنها ، ولا ريب انه يحصل له من تكرار هذه الملاحظة المصاحبة لجهاد النفس : ملكة المراقبة والإخلاص لله والحياء منه من ان يراه حيث نهاه .

كما انه يحصل للصائم أيضاً قوة في الإرادة يتغلب بها على الأهواء والميول الضـــارة .

فالصيام يربي النفوس على طاعة الله ، ووقايتها من الانزلاق في الشهوات والانحراف نحو المحرمات ، هذه هي حقيقة الصيام وهذه ثمرته التي أعلنها النبي ﷺ بقوله .

( الصيام جُنّة[1] فإذا كان صوم أحدكم فلا يرفث[2] ولا يجهل[3] فإن شاتمه أحد أو قاتله فليقل : إني صائم ، إني صائم )[4] .

ويقول النبي ﷺ ايضاً :

( من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة ان يدع طعامه وشرابه )[5] .

فتوجيه النبي ﷺ يرشدنا الى انه ليس المقصود من الصوم نفس الجوع والعطش بل ما يتبعه من كسر الشهوات واطفاء ثائرة الغضب وتطويع النفس

---

(١) جنة : مانع من المعاصي . (٢) يرفث : يفحش في الكلام .
(٣) يجهل : أي لا يعمل شيئاً مثل أفعال الجهلاء كالصياح والسخرية.
(٤) رواه البخاري . (٥) رواه البخاري.

الأمارة بالسوء لطاعة الله ، فإذا لم يحصل للصائم شيء من ذلك لم يبال الله بصومه ولم يقبله .

والصوم هو العبادة التي يتحقق فيها الإخلاص المجرّد لله لأنه أمانة بين المخلوق وخالقه ، وسرّ خفي لا يطلع عليه إلاّ الله ، لهذا كان الصوم ثوابه عظيم ، يقول النبي ﷺ حكاية عن ربه :

(كل عمل ابن آدم له إلاّ الصوم فإنه لي وأنا أجزي به )(١) .

ويقول النبي ﷺ : ( في الجنة ثمانية أبواب فيها باب يسمى الريّان لا يدخله إلاّ الصائمون )(٢) .

## الصيَام والبرّ

والصيام سبيل الى البرّ والإحسان ، فالغني الصائم إذا أحس بألم الجوع أدرك ما يعانيه الفقير من جوع مستمر فيرق قلبه ويحسن اليه، ولذلك جعلت كفارة من لا يستطيع الصيام لمرض أو عجز مثلاً : اطعام مسكين عن كل يوم يفطر فيه ، كما فرضت في نهاية شهر رمضان صدقة الفطر تدفع للفقراء ، لأن النفوس في ذلك الوقت تكون أسرع للاجابة وأقرب للامتثال .

فالصيام فقر اجباري يتساوى فيه جميع طبقات الشعب ، ومظهر عملي لوحدة المجتمع الإسلامي يجوع فيه الناس جوعاً واحداً ويتألمون ألماً واحداً ، ومن الآلام المشتركة تنشأ الرحمة ، ومن الرحمة تحصل العدالة ، مما يذكر الصائم الغني من واجبات نحو أخيه الفقير .

## الصيَام والصبر

ورمضان يشبه ( محطة للوقود ) يعبىء القوى النفسية للإنسان بما يحتاجه من طاقة معنوية وزاد روحي وخلقي لمسيرة الحياة .

ولكن ما نوع هذه الطاقة التي يمدنا بها شهر رمضان ؟

انها الصبر بكافة وجوهه ، فالمسلم في رمضان يصبر على وطأة الجوع

---

(١) رواه البخاري .

(٢) رواه البخاري .

والعطش ويترك ما اعتاده في النهار من ملذّات وشهوات وعادات ، يصبر على ذلك عن طواعية واختيار امتثالاً لأمر الله ، والصبر الاختياري على ترك ملذات النفس وأهوائها وعاداتها أكثر فائدة من الصبر الذي يلجىء اليـــه الحرمان ، وبذلك يصبح الإنسان سيّد نفسه وأقدر على الصبر على مكاره وأهوال هذه الحياة ، ويصبح الصبر خلقاً أصيلاً في نفسه .

## الصيام طاقة للروح

والى جانب الصبر فالصوم يمد الروح بالشفافية والصفاء والإشراق والقربى من الله ، فيصير الإنسان الصائم ملائكي الطبع ، نوراني الخواطر ، رباني السلوك ، يذوق حلاوة العبادة ، ويحس مباهج الورع ولذته ، ويشعر انه قريب من ربه ولذلك يقول الله تعالى بعد ان أمر الله المؤمنين بالصيام:

﴿ وإذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ﴾ البقرة : ١٨٦

فكأن انتظام الآيات على هذا الترتيب ينبه الإنسان إلى انه إذا اتقن صومه فقد تهيأ لمناجاة ربه .

ويذكر القرآن : ان الله لما أراد مكالمة موسى هيأه لهذا المقام الرفيع فأمره بأن يصوم ثلاثين يوماً حتى تتهيأ نفسه لخطاب الله ، وحتى يقوى على تحمل الأنوار الربانية ، ثم أمره ان يزيد فى صومه على الثلاثين يوماً عشرة ايـــام اخرى ، قال تعالى :

﴿ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة ﴾ الأعراف : ١٤٢ .

وبعدها أفاض الله على موسى الأنوار الإلهية وكلمه ربه بلا واسطة . جاء في القـــرآن :

﴿ قال[1] : يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما أتيتك وكن من الشاكرين ﴾ الاعراف : ١٤٤ .

---

(١) أي الله سبحانه .

من هنا يتبين سرّ ارتباط صوم رمضان بنزول الوحي الالهي على سيدنا محمد ﷺ فقد قال سبحانه :

﴿ شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن هدى للناس ﴾

ولذلك كان شهر رمضان شهر تلاوة القرآن ، وشهر العبادة التي بواسطتها يطهر الإنسان نفسه من فاحش القول وسيء الأفعال ، وينال بذلك رضى الله وغفرانه ولهذا يقول النبي ﷺ :

( من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه )(١) .

وهذا القيام كان يفعله النبي بإداء احدى عشرة ركعة وقيل عشرين ركعة والوتر وذلك بعد صلاة العشاء أو في الليل قبل صلاة الصبح وتُعرف بالتراويح .

فالصيام الصحيح هو نقطة تحوّل في سلوك الإنسان، به يتطهر من الذنوب وبه يلتزم طاعة الله والقربى منه ولذلك يقول النبي ﷺ :

( الصلوات الخمس ، والجمعة الى الجمعة ، ورمضان الى رمضان ، مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر )(٢) .

هذه هي حقيقة الصيام ، فأين الذين يقومون بظاهر العبادة ويتحملون ألم الجوع والعطش ثم يفسدون الصيام ويبطلون حكمته بالإقبال على أطايب الطعام والشراب في شره ونهم كأنهم يعوضون ما فاتهم منه ثم لا يكون للصيام أثر في سلوكهم .

وأين الذين يصومون ثم لا يصلون ، ولا يزكون ، وكأنهم نسوا ان اركان الإسلام كلٌّ لا تتجزأ .

وأين الذين يدعون الإسلام ويفطرون علانية في شهر رمضان فيجرحون شعور عامة المسلمين ويستهترون بشعائر الإسلام ، هؤلاء يشوهون الإسلام بأفعالهم ، وهم أبعد الناس عنه .

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي . (٢) رواه مسلم والإمام أحمد .

وقد سألنا الدكتور مصطفى الحفار أستاذ أمراض الجهاز الهضمي في كلية الطب الفرنسية عن تأثير الصوم على صحة الإنسان فأجاب مشكوراً :

البحث العلمي الحديث أكد على منافع الصوم حتى أن أطباء وعلماء ينصحون به منهم ( البروفسور دولور Delore ) فقد نصح بالصوم وقاء من أمراضٍ تأتي مع كبر السن ومن أمراضٍ تصيب المرء في شبابه .

فالصوم له علاقة بحفظ الجسد وإراحة أعضائه من وظائفها وإرهاقها وينشطها ، كذلك تعديل العمل الوظائفي لبعض منها وإرجاعه الى الحالة الطبيعية ، إذ انه من المعروف علمياً ان الحياة الاجتماعية ومشاغلها لها أثر على الشهية وعلى نسبة تناول الطعام وعلى افراز الأعضاء الهضمية مما يدخل الجسم في دوامة يجعل فيها الأعضاء بحالة عمل متزايد ومرهق .

وكذلك الاعمال المكتبية تجعل كثيراً من الرواسب لا يلفظها الجسم فتتراكم في الانسجة الدهنية أو في الشرايين الدموية مما يوصل أعضاء الإنسان الى شيخوخة مبكرة .

فالسمنة ، ومرض السكري ، والروماتيزم الناجم عن ترسب الأملاح البولية في الانسجة والمفاصل ، والحصى الكليوية ، وارتفاع الضغط الشرياني ومضاعفاته على الرأس والدماغ والعين والقلب والكلى كل ذلك يحميه الصوم .

فالصائم يريح قلبه ويعدّل ضغطه ويزيل ما ترسب في جسمه من رواسب عديدة من زلال وأملاح وغيرها .

كذلك يفيد الصوم بالنسبة للكبد والمجاري الصفراوية فهو يزيل المواد الدهنية والشحوم ويحمي المرء من تليفات وترسيبات وحصى في هذه المجاري والكبد .

كما ان الصوم يقي الإنسان من بعض أمراض الجلد ، ومن الأمراض الجلدية التي يفيدها الصوم ( الاكزيما ) و ( الحساسية ) و ( الصدفية ) .

أما بالنسبة للمعدة فالصوم مدة أيام متوالية يدفع بالغدد الهضمية للمعدة لأن تقلل من افرازاتها وهذا ما يحمي المعدة وأغشيتها والاثني عشرية من إصابات مرضية في المستقبل .

هذا كله بالنسبة للمرء الصحيح الجسم ، غير ان الوضع للمريض يختلف ولقد تدارك الإسلام ذلك فقال سبحانه بعد ان ذكر فرضية الصوم :

﴿ فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أُخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ﴾ البقرة : ١٨٤ .

ثم يستطرد الدكتور مصطفى الحفار فيذكر الأمراض التي يضيرها الصوم أو يعيق شفاءها من ذلك :

١ ــ مرض السكري فإن المرء بعد الإصابة به عليه ان يأكل وجبات متعددة بالإضافة الى العلاج الذي يصفه الطبيب .

٢ ــ قصور الكلي واصابتها بحصى متكررة أو زيادة في معدل البولة الدموية ( زلال في الدم ) فالمرضى بهذا الداء عليهم تناول كميات كبيرة من المياه طيلة النهار وطرفاً من الليل .

٣ ــ قرحة المعدة ، فالمريض بذلك يعرض حياته للخطر إذا منع الغذاء عن معدته طيلة النهار ، فإن حموضة المعدة في حالة القرحة هي مرتفعة جداً مما يسهل تآكل الأغشية ونزيفاً خطراً ، وآلاماً معدية مبرحة ، فالصوم في حالة القرحة ضرر أكيد على جسم الإنسان .

٤ ــ المصابون بالضغط الشرياني أو قصور القلب مما يستدعي تناول أدويتهم بانتظام أثناء النهار . كذلك الفقر الدموي الحاد وحالات الرضاع وأمراض عصبية أخرى .

## الفصل الخامس

# الحج

إثم تارك الحج – قصة بناء بيت الله الحرام – أعمال الحج وأركانه وحكمها – منافع الحج الدنيوية – تعظيم شعائر الله وانطباعاتها – الإخلاص دعامة الحج .

### إثم تارك الحج

الحج شرعاً هو قصد بيت الله الحرام بمكة للعبادة في زمن خاص[1] ، وهو أحد أركان الإسلام الخمسة . فقد رُوي عن النبي ﷺ قوله :

( بُني الإسلام على خمس : شهادة ان لا اله إلاّ الله ، وان محمداً رسول الله وإقام الصلاة وايتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان )[2] .

وقد فرض الله الحج في العمر مرة على كل مسلم ومسلمة عاقل بالغ مستطيع ، وقد ثبتت فرضيته بالقرآن والسنة ، ويدل على انه مفروض في العمر مرة واحدة قول النبي ﷺ :

( يا أيها الناس قد فُرِضَ عليكم الحج فحجّوا ، فقال رجل : أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت النبي حتى قالها ثلاثاً ، فقال النبي ﷺ : لو قلت نعم لَوَجبت ولما استطعتم ) .

ويقول الله تعالى في فرضية الحج :

﴿ وَلِلّهِ عَلَى النّاسِ حجُّ البَيتِ مَنِ استَطاعَ إليهِ سَبيلا وَمَن كَفَرَ فإنَّ اللهَ غَنيٌّ عن العَالمين ﴾ آل عمران : ٩٧ .

---

(١) وأشهر الحج هي : شوال وذوالقعدة وذو الحجة . (٢) رواه البخاري ومسلم .

فالشطر الأول من الآية يقتضي وجوب الحج الى بيت الله الحرام على كل مستطيع ، وفي الشطر الثاني تغليظ شديد على تارك الحج لأن قوله تعالى: ( ومن كفر ) متعلق بما قبله فيحمل هذا القول على تارك الحج مع قدرته عليه ، أو على من لم يعتقد بوجوبه . وما ذكر الله من استغنائه عمن لم يحج الى بيته بقوله : ( فإن الله غني عن العالمين ) يدل على المقت والسخط والخذلان لمن لم يحج .

والكلام عن حج بيت الله الحرام يقتضينا ان نعطي لمحة عنه .

### قصة بناء بيت الله الحرام

ان بناء البيت الحرام أو ما يطلق عليه اسم الكعبة يرجع الى عصر ابراهيم الخليل عليه السلام فعندما رزقه الله ولده اسماعيل من زوجته الثانية هاجر وكانت جارية أهدتها له زوجته الأولى سارة ، دب الخلاف بين الزوجتين فطلبت منه ساره ان يبعد هاجر وابنها عنها، فسافر ابراهيم من بلاد الشام موطن آبائه وأجداده ومعه زوجته هاجر وولدهما اسماعيل واتجهوا جنوباً حتى حطوا رحالهم في البقعة التي بُني فيها البيت الحرام وهذا ما حكاه الله على لسان ابراهيم :

﴿ ربنا إنّي أَسكَنْتُ مِنْ ذريّتي بِوَادٍ غَيْرِ ذي زَرْعٍ عِنْدَ بيتك المُحَرَّم . ربنا ليقيموا الصلاة فاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ الناس تهوي اليهم وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعلّهم يَشْكُرُونَ ﴾ ابراهيم : ٣٧ .

ففي قوله تعالى : ( عند بيتك المحرم ) اشعار بأن ابراهيم كان يعرف ان هناك مكاناً مقدساً سماه بيت الله الحرام ، وجعل الغرض من المجيء اليه والفائدة من إسكان اسرته بجواره : إقامة الصلاة ، وعبادة الله ، فلا بُدّ إذن ان قدسية هذه البقعة كانت معروفة عند ابراهيم عليه السلام .

وعندما شب اسماعيل وبلغ اشده ، أمر الله ابراهيم ان يقيم في المكان المقدس مصلى ليجتمع حوله الناس لعبادة الله وذكره وشكره على ما أنعم عليهم وهذا ما ذكره الله بقوله :

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ ابراهيمُ القَوَاعِدَ مِنَ البيت واسماعيلُ رَبّنَا تَقَبَّل

منّا إنّك أنْتَ السميع العليم . ربنا واجْعَلْنا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرّيتنا أُمّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأرِنَا مناسِكَنَا وَتُبْ علينا إنك أنْتَ التَوّاب الرحيم ﴾ البقرة : ١٢٧.

يفيدنا القرآن الكريم ان ابراهيم واسماعيل رفعا قواعد البيت وكان ذلك بعد ان أعلم الله ابراهيم بمكانه ، قال سبحانه :

﴿ وإذْ بَوّأنا لإبْراهيمَ مَكَانَ البَيْتِ أن لا تُشْرِك بي شيئاً وَطهِّرْ بَيْتِيَ للطائفين والقائمين والرُّكّعِ السجود ﴾ الحج : ٢٦.

وإن رفع تلك القواعد يحتمل انهما اظهراها بعد ان كانت مطمورة ثم أعادا بناءها وهذا يدل على ان البيت كان موجوداً من قبل ، كما يحتمل انهما بنيا بنياناً جديداً .

**الحجر الأسود :** وفي فترة البناء طلب ابراهيم عليه السلام من ولده اسماعيل ان يأتيه بحجر يضعه علامة للناس ليبتدئوا منه الطواف فأتاه بحجر خاص متميّز ، ولكن ما هو هذا الحجر ؟ يُروى انه نزل من السماء ليجده اسماعيل صدفة وكانت تلك ارادة من الله تعالى في سبيل إنجاز بناء البيت الحرام الذي أصبح فيما بعد كعبة للمسلمين ، فقد جاء عن النبي ﷺ قوله : ( نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضاً من اللبن فسودته خطايا بني آدم )[1].

ولقد قبّله النبي عند طوافه بالبيت ، ولعل النبي قبّله لأنه أثر من الجنة ، أو ذكرى للأيدي الشريفة التي حملته ووضعته في مكانه وأعني بها يدي جد الأنبياء ابراهيم عليه السلام ويدي اسماعيل عليه السلام ابي العرب .

فالمسلمون لا يعبدون الحجر الأسود ، بل يخصونه بنوع من الاحترام والاجلال لمكانته ، وفي تقبيل المسلمين له[2] اقتداء بالنبي ﷺ ، وعَهْدٌ مع الله على القيام بطاعته واجتناب معاصيه .

---

(١) رواه الترمذي .

(٢) تقبيل الحجر الأسود ليس فرضاً تتوقف عليه صحة الحج ، بل هو سنة يقبله الحاج إذا كان هذا التقبيل ممكناً ميسوراً لا زحام فيه ولا مشقة ، فإذا كان الزحام وصعب الوصول إليه كفاه أن يلمسه بيده أو يشير إليه بيده أو بقضيب .

ولقد قال إمام المسلمين عمر بن الخطاب وهو يقبله : (والله إني لأعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك) .

فالبيت الحرام هو أول بيت أقيم معبداً للناس :

﴿ إنَّ أوّلَ بَيتٍ وُضعَ للنَّاس للذي ببَكّةَ[1] مُباركاً وَهُدى للعالمين . فيه آياتٌ بيِّناتٌ مَقَامُ ابراهيم وَمَنْ دَخَلَهُ كان آمناً ﴾ آل عمران : ٩٦ .

اخبر الله ان هذا البيت مبارك ، فالطاعات يضاعف ثوابها ، كما انه هدى للعالمين ، ومن دخله للنسك تقرباً الى الله كان آمناً من النار يوم القيامة ومن العقاب في الدنيا .

فالحج الى بيت الله الحرام بدأت فرضيته على عهد ابراهيم عليه السلام ، ثم مات ابراهيم وتبعه اسماعيل ، وطال الزمن فأدخل الناس في مناسك الحج اشياء منكرة من الشرك وعبادة الأصنام والطواف حول البيت عراة، ثم بعث الله محمداً للقضاء على الشرك وتنقية الحج من البدع .

## أعمال الحج وأركانه

اعمال الحج عشرة هي : ١ ــ الإحرام من الميقات . ٢ ــ الطواف بالبيت . ٣ ــ السعي بين الصفا والمروة . ٤ ــ الوقوف بعرفة . ٥ ــ المبيت بالمزدلفة . ٦ ــ المبيت بمنى . ٧ ــ رمي الجمار . ٨ ــ ذبح الهدي . ٩ ــ الحلق والتقصير . ١٠ ــ طواف الإفاضة .

وهذه الأعمال تختلف درجتها في الحكم بين الركن والواجب والسنّة[2] ، فأما الأركان فهي :

(١) الاحرام . (٢) السعي بين الصفا والمروة . (٣) الوقوف بعرفة . (٤) طواف الإفاضة .

ولهذه الأركان حِكَمٌ وأسرار تعبدية نستعرض بعضها في ما يلي :

---

(١) بكة ومكة اسمان لمسمى واحد وسميت بكة لأنها تبك أعناق الجبابرة ، لا يريدها جبار بسوء إلا ساء مصيره ، ومكة لأنها تمك الذنوب أي تزيلها ، وقيل لاجتلابها الناس من كل جانب .

(٢) للحج سنن كثيرة لم نذكرها راجع في ذلك كتب الفقه .

## الإحرام

الركن الأول من الحج هو الإحرام ومعناه في الشرع الدخول في الحج. وللإحرام مكان معين يجب ان لا يتجاوزه الحاج إلا وهو بصفة مخصوصة وهذا المكان يطلق عليه (الميقات)، وهو يقسم الى قسمين: زماني ومكاني.

فالميقات الزماني من أول شوال الى قرب طلوع فجر يوم عيد النحر.

والميقات المكاني يختلف باختلاف الجهات التي يأتي منها الحاج، فأهل مصر وسوريا ولبنان والمغرب ميقاتهم قرية (الجحفة)[1] وأهل العراق وسائر أهل المشرق ميقاتهم (ذات عرق)[2].

فالمسلم عندما يصل الى هذه الأماكن قاصداً الحج يجب عليه ان يُحرم وذلك بأن ينزع عنه اللباس المخيط كالقميص والطقم والبنطلون والسروال والعمامة والجبة ويلبس لباساً غير مخيط. كما يحرم عليه لبس الخف إلا إذا لم يجد نعلين فيجوز لبسهما بعد ان يقطعهما من أسفل الكعبين. ويحرم عليه ايضاً استعمال الطيب في ثوبه أو بدنه وتقليم أظافره كما يحرم عليه العلاقة الجنسية مع زوجته ودواعيها كالقبلة والمباشرة.

ويحرم ايضاً الخروج عن طاعة الله بأي فعل محرم، وتحرم المخاصمة مع الرفقاء والخدم ونحوهم.

ويحرم التعرض لصيد البر بالقتل أو الذبح وأما صيد البحر فهو حلال.

فالناظر في تحريم هذه الأمور في الإحرام للحج يرى ثلاث حكم أساسية:

١ ـ **المساواة**: فالإسلام بتحريمه على الحج لبس المخيط من الثياب والعودة به الى البساطة في الثياب وأمره بترك الزينة وذلك بالامتناع عن حلاقة شعر الرأس أو التعطر بالطيب إنما يهدف بذلك الى المساواة بين الناس، لأن الثياب تظهر اختلاف درجات الناس، وبالثياب يتميز بعضهم عن بعض

---

(١) من كان في الطائرة أو الباخرة يلبس لباس الإحرام بمحاذاة هذا المكان أو من المطار.

(٢) ميقات أهل المدينة المنورة (ذو الحليفة) وميقات أهل اليمن (يلملم) وميقات أهل نجد (قرن المنازل).

في الصورة لذا يذهب بالمساواة التي تستهدفها عبادة الحج، فالإسلام يريد ان يمحو أي أثر يظهر علىَ الإنسان من غنى وجاه وفقر.

ولهذا نرى الحجاج في منى وفي عرفات جموعاً غفيرة متجردين من ثيابهم إلا ثياب الاحرام وقد ذابت الفوارق بينهم، وتوحدت فيهم المشاعر، يدعون ربهم في عبودية ذليلة خاشعة راجين رحمته، هذه المساواة في اللباس والمشاعر تستتبع الوحدة بين المؤمنين التي هي من أهم اهداف الإسلام.

**٢ ـ السلام :** ولتمكين السلام في الأنفس حرم الإسلام على المحرم جملة أمور، منها: المخاصمة والفحش في الكلام، قال تعالى:

﴿الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب﴾ البقرة: ١٩٧.

فالرفث[١] هو الفحش في القول، والجدال هو باب للخصام.

كما حرّم الإسلام على المحرم ان يقتل الحيوان البري سواء أكان اكله مباحاً أم غير مباح قال تعالى:

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ البحر وطَعَامُهُ مَتاعاً لكم وللسيّارة[٢] وَحُرّم عليكم صَيْدُ البَرّ ما دُمْتُم حُرُماً واتقوا الله الذي اليه تُحشرون﴾ المائدة: ٩٦.

ولا يكتفي الإسلام بهذا بل يأمر الله المؤمنين ان يرددوا كلمة السلام على لسانهم عندما يطلون على البيت الحرام بهذا الدعاء:

(اللهم أنت السلام ومنك السلام فحيّنا ربنا بالسلام، اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتكريماً وزد من حجه واعتمره تكريماً وتشريفاً).

فالدعوة الى السلام من الأهداف الأساسية لفريضة الحج.

---

(١) الرفث يأتي بمعنى الجماع ودواعيه. (٢) وللسيارة: أي المسافرين.

٣ ـ **التقوى** : والإسلام بتحريمه على المحرم الاتصال بالنساء وكل ما يربطه بمتع الدنيا وتحريمه ( الفسوق ) أي الخروج عن طاعة الله فهو يريد من قاصد الحج ان يتجرّد من كل شوائب الحياة ومشتهياتها وتثبيت التقوى في نفسه والترغيب في ثواب الله وهذا ما صرحت به الآية السابقة :

﴿وما تفعلوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ الله وتَزَوَّدوا فإنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقوى واتّقونِ يا أُولي الألباب﴾ البقرة : ١٩٧ .

فالحج لون من ألوان التدريب العملي على مجاهدة النفس والسيطرة عليها من أجل الوصول الى المثل العليا في السلوك الإنساني ، والاندماج في حياة روحية تمتلىء فيها القلوب بحب الله ، وتنطلق الحناجر بذكره ، وهذا ما سنّه النبي ﷺ بترداد هذا الدعاء بابتداء الاحرام وعند القيام بشعائر الحج :

( لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لبيك ) .

## السعي بين الصفا والمروة

وهو ركن من أركان الحج ، والسعي هو السير بسرعة تزيد على المشي وتقل عن الركض .

وكيفية السعي بين الصفا والمروة أن يسير بين الصفا والمروة سبع مرات مبتدئاً من الصفا منتهياً الى المروة ، عائداً من الموروة الى الصفا ، وهكذا ، والذهاب من الصفا الى المروة مرة من السبع ، والعودة من المروة الى الصفا تحسب مرة أخرى وهكذا .

وأول من سعى بين الرابيتين : الصفا والمروة هي ام اسماعيل هاجر زوجة ابراهيم عليه السلام باحثةعن الماء لولدها الظامىء اسماعيل فأنبع الله لها ولابنها اسماعيل ماء زمزم بعد ان كاد العطش يودي بهما .

ففي السعي بين الصفا والمروة لجوء الى الله في كشف الضر وغفران الذنوب لأن في ذلك الموضع كشف الله الضر عن هاجر وولدها اسماعيل .

### الوقوف بعرفات

وهو ايضاً من اركان الحج ولا يصح بدونه ، وان يكون الحضور بعرفات في وقته ، ووقته من زوال شمس اليوم التاسع من ذي الحجة الى فجر يوم النحر .

في هذا المكان يعرف الحجاج ربهم بالتضرع والابتهال ، ولقد ورد عن النبي ﷺ فضيلة الدعاء في عرفات فقال : ( خير الدعاء دعاء يوم عرفة )[1] .

كما ورد عن النبي ﷺ بيان ثواب المؤمنين في هذا الموقف :

( ما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة ينزل الله تبارك وتعالى الى السماء فيقول : انظروا الى عبادي شعثاً غبراً ضاحين — أي بارزين للشمس — جاءوا من كل فج عميق يرجون رحمتي ولم يروا عذابي فلم ير اكثر عتيقاً من النار من يوم عرفة )[2] .

في عرفات لا يقع البصر إلاّ على عابد يتبتل ، ومذنب يطلب الغفران ، ومؤمن يخشع ، ومصلٍّ يركع ، وأعين تدمع ، فكأن عرفات بحيرة قدسية تغسل الآثام وتمسح الخطايا .

### الطواف حول الكعبة

والطواف حول الكعبة ركن من أركان الحج وفيه اقرار بالعبودية لله والطاعة والاخلاص له وحده ، وتذكير بالوحدة التي تجمع بين المسلمين ، فالمسلمون في كافة أنحاء الأرض قبلتهم في الصلاة : الكعبة ، فكان الطواف حولها رمزاً لهذه الوحدة التي تجمع بين المؤمنين .

والطواف مظهر من أهم مظاهر التعبير عن محبة المؤمن لله ، والتعلق الشديد به ، فالمحب مشتاق ومولع الى كل ما يتصل بمحبوبه ، والكعبة هي بيت الله ، وقد أضافها الله اليه بقوله :

﴿ وطهّر بيتيَ للطائفين والقائمين والركّع السجود ﴾ .

والطواف حول الكعبة هو سبعة أشواط بشروط خاصة .

---

(١) رواه الترمذي .
(٢) رواه ابن حبان .

**منافع الحج الدنيوية**

العبادة في الإسلام تقصد لذاتها وهذا لا يمنع ان هناك ثماراً ومنافع دنيوية تترتب عليها . فالدين والدنيا في نظر الإسلام متكاملان يكمل أحدهما الآخر ولهذا يقول تعالى في مقاصد الحج ﴿ ليشهدوا منافع لهم ﴾ .

فالحج بجانب معناه الروحي التعبدي هو ايضاً مؤتمر اسلامي يتجدد كل عام يدفع بالمسلمين الى الوحدة والتآلف والتعاون، ألا ترى ان شعائره تقام بصفة اجماعية تجمع بين المؤمنين من كافة شعوب العالم ، وكل اجتماع ترفرف عليه طاعة الله وخشيته ومراقبته يضفي من الخير والبركات والسلام على الجماعة مالا يضفيه اجتماع آخر يختلف عن هذا الهدف .

والمكاسب الجماعية التي تتحقق بالحج متعددة منها سياسي واقتصادي واجتماعي فاجتماع مئات الألوف من المسلمين في الحج من انحاء الأرض بينهم أولو الرأي وأرباب الفكر وأهل العلم والسياسة يجعل من الحج مؤتمراً اسلامياً يتشاور فيه اولو الرأي في الأمور التي تعود بالخير على المجتمع الإسلامي كتنفيذ احكام الشريعة والتمسك بأهداب الفضيلة والأخذ بمناهل الثقافة الرفيعة واعداد القوة التي ترهب العدو، واعتماد الوسائل المتطورة للنهوض بالزراعة والصناعة .

فالدول الإسلامية الغنية لها التزامات وواجبات نحو الدول الإسلامية الفقيرة وذلك لقول النبي ﷺ :

( ترى المؤمنين في تراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى[1] له سائر جسده بالسهر والحمى )[2] .

فالحج هو ترسيخ للأخوة الإسلامية بين الشعوب الإسلامية ودعوة للتعاون فيما بينها وتذكير للدول الإسلامية بواجباتها نحو بعضها البعض .

**تعظيم شعائر الله وانطباعاتها**

ولقد اختار الله في الحج مناسك اختصها بمزيد من ثوابه وتجلت عليها رحمته يقوم فيها المؤمن بأعمال تعبدية سماها الله ( شعائر ) وجعل تعظيمها من علامات التقوى فقال سبحانه :

﴿ ومن يعظّم شَعَائِرَ الله فإنّها مِنْ تَقوَى القلوب ﴾ الحج : ٣٢ .

(١) تداعى : دعا بعضه بعضاً إلى المشاركة في السهر .    (٢) رواه البخاري .

وشعائر الحج حين ارتبطت بأمكنة معينة فلأن هذه الأمكنة المعينة توحي بمعان من شأنها ان تطهر النفوس وتزكيها وتقوي الصلات بين المؤمنين ، فالأمكنة لا تقصد لذاتها ولكن لما ارتبط بها من معان وذكريات .

فوقوف الحج عند كل شعيرة من شعائر الحج تذكره بتاريخها ومنزلتها في القربى الى الله والرجوع بالقلب والفكر الى ما توحي اليه من تضحية وجهاد ومثابرة في عبادة الله .

فالكعبة توحي بذكريات عن أبي الانبياء ابراهيم عليه السلام وابنه اسماعيل اللذين بنياها ثم دعوا الله بعد الانتهاء من بنائها قائلين :

﴿ ربنا واجعلنا مُسْلِمَيْن لَكَ وَمِنْ ذُرّيتنا أُمّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأرِنا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنا إنّك أنْتَ التَوَّاب الرحيم ﴾ البقرة : ١٢٨.

والطواف حولها هو استمرار للعبادة التي قام بها ابراهيم واسماعيل وأتباعهما من المؤمنين وتوثيق الصلة بين بدء الإسلام وحاضرنا والعهد مع الله على التمسك بهذا الدين ، فابراهيم هو الذي سمانا مسلمين .

﴿ مِلّة أبيكم ابراهيم هو سمّاكم المسلمين من قبل وفي هذا لتكونوا شُهَدَاء على الناس ﴾ الحج : ٧٨

والسعي بين الصفا والمروة من شعائر الله : ﴿ ان الصفا والمـــروة من شعائر الله ﴾ . لأن في هذا المكان سعت هاجر حين ضاق الأمر بها يوم نزلت بهذا المكان القاحل وأدركها العطش وابنها واسماعيل وكاد يفتك بهما فأغاثهما الله بماء زمزم انبعه لهما ، وذلك ليعلم المؤمنون ان الله يبتليهم في الدنيا بأنواع المحن إلاّ انه يغيثهم برحمته عندما يدعونه ويلجأون اليه .

والذبائح في الحج من شعائر الله قال تعالى :

﴿ والبُدْنَ[1] جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ الله لكم فيها خَيْرٌ فاذكروا اسم الله عليها صَوَافَّ[2] فإذا وَجَبَتْ[3] جُنُوبُها فكلوا منها واطعموا القَانِعَ[4]

(١) البدن : الإبل والبقر .
(٢) صواف : مصطفة معدة للذبح.
(٣) وجبت جنوبها : سقطت على الأرض بعد الذبح.
(٤) القانع : الفقير القانع المتعفف عن السؤال .

والمُعْتَرَّ[1] كَذَلِكَ سخّرناها لكم لعلّكم تَشكُرُون ﴾ الحج : ٣٦ .

ويطلق على هذه الذبائح اسم ( الهدي ) ففي ذبحها صورة لطاعة الله وامتثال لأمره واظهار لنعمته بتوسعة الحجاج على أنفسهم وعلى المحتاجين .

وفي هذه الذبائح تذكير بالتضحية في سبيل الله التي صدرت من ابراهيم واسماعيل عليهما السلام . فابراهيم يأتيه الأمر الالهي على شكل رؤيا في المنام بذبح ابنه اسماعيل فيعرض ابراهيم هذا الأمر على ابنه اسماعيل بما يذكره القرآن : ﴿ قال يا بني اني أرى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى ﴾

فيجيبه اسماعيل بهذا الجواب الذي يحمل طابع التضحية في سبيل الله .

﴿ يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين ﴾ .

أمام هذا الامتحان الصعب الذي كشف الله به مبلغ اخلاصهما ، فدى الله اسماعيل بكبش وأمر ابراهيم بذبحه فداء له عن ابنه ، ونجاهما الله بذلك من هذا البلاء المبين .

فالذبح الذي يفعله المسلمون أيام الحج يذكرهم بالتضحية والإخلاص لله، كما ان الذبح فيه معنى الشكر لله على فداء اسماعيل . ففي نجاة اسماعيل كان النسل المبارك الذي جاء منه سيدنا محمد ﷺ .

وهذه الذبائح التي يطلق عليها اسم ( الهدي ) تنقسم الى قسمين : الأول منهما مستحب وهو ما يتطوع به الحاج لوجه ربه ، والقسم الآخر واجب .

فهو واجب على ( القارن ) أي الذي جمع في نيته عند الإحرام بين الحج والعمرة ، وواجب على ( المتمتع ) وهو الذي نوى بأن يؤدي العمرة أولاً ثم يتحلل من احرامه حتى يحل موعد الحج فيؤديه . وواجب على من ترك واجباً من واجبات الحج ، أو من يرتكب أمراً محظوراً على المحرم .

---

(١) المعتّر : الفقير الذي دفعته حاجته إلى السؤال .

## الإخلاص دعامة الحج

رُوي ان النبي ﷺ لما حج حجة الوداع وتوجه الى عرفات قال :

﴿ اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة ﴾ [1] .

كما ورد في ثواب الحج لمن قام به على وجهه الصحيح قول النبي ﷺ :

( العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلاّ الجنّـــة ) [2] .

( من حج هذا البيت فلم يرفُث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه ) [3] .

فإذا استعملت عبادة الحج على غير هذا الوجه وابتغى المسلم شهوة شخصية من اطلاق لقب حاج [4] عليه، أو ايهام الغير بأنه تقي لمنفعة ذاتية، انتفى المقصود من هذه العبادة .

وإن اشد الاجرام في فريضة الحج ما يحصل الآن في لبنان من استقبال أكثر الحجاج باطلاق الرصاص في الهواء الى درجة الإزعاج الشديد لجيرانهم وتعريضهم للخطر ، واهدار ألوف الليرات ثمناً للرصاص فهذه الأفعال من أعمال الطيش والسفه والتبذير .

وقد قال تعالى ﴿ إن المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا ﴾ الاسراء: ٢٧ .

فهذه الأفعال لا ترضي الله ورسوله وتذهب ببركة الحج وتشوه مقاصده ويأثم فاعله كما انها تسيء الى فريضة الحج وإلى الاسلام ، وتعطي صورة منفرة عنه لمن يجهل حقائقه ، فيجب محاربة هذه العادات والبدع السيئة بكل شدة ومعاقبة مرتكبيها ومقاطعتهم لأنهم بأفعالهم هذه يؤذون الإسلام .

---

(١) رواه البخاري في باب المناسك .

(٢) رواه البخاري .　　　　(٣) رواه البخاري .

(٤) إطلاق إسم ( الحاج ) على كل من أدّى شعيرة الحج هي بدعة لم تكن على عهد النبي ولا خلفـــائه الراشدين فالإنسان عليه أن يؤدي شعائر الإسلام من صلاة وصيام وزكاة وحج خالصاً لوجهه بدون أن يشتهر بين الناس. وكل عبادة يبتغي بها الإنسان صيتاً وشهرة هي من الرياء والشرك الأصغر الذي نهى الله ورسوله عنه أشد النهي.

# من مراجع هذا الكتاب

القــرآن الكريم .
المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .
تفسير الفخــر الرازي .
تفسير روح المعاني للألوسي .
الجامع لأحكام القرآن للقرطبي .
تفسير المنار للشيخ رشيد رضا .
تفسير في ظلال القرآن للاستاذ سيد قطب .
صحيح ابي عبد الله البخاري ـ بشرح الكرماني .
صحيح مسلم بشرح النووي .
سنن ابي داود ـ سنن النسائي .
سنن ابن ماجة ـ سنن الترمذي .
مسند الإمام أحمد بن حنبل .
مجلة الأزهر وتصدرها مشيخة الأزهر .
مجلة الوعي الإسلامي ـ وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ـ الكويت .
الزواجر عن اقتراف الكبائر تأليف ابي العباس احمد بن حجر .
قصة الحضارة تأليف ول ديورانت ترجمة الاستاذ محمد بدران والدكتور زكي نجيب محمود .
العقيدة الإسلامية وأسسها للاستاذ عبد الرحمن حبنكه الميداني .
الحلال والحرام للاستاذ يوسف القرضاوي .
تسلية أهل المصائب للإمام ابي عبد الله محمد المنبجي الحنبلي .
أسس الصحة والحياة للدكتور عبد الرزاق الشهرستاني .
الإنسان وصحته النفسية للدكتور مصطفى فهمي .
وهناك بعض المراجع الأخرى ذكرناها في حواشي الكتاب .

# فهرس الموضوعات

## تعريف الخطايا



## خطايانا : نحو الله

# خطايانا : في الجنس



# خطايانا : في العائلة

# خطايانا : في المشرب والمأكل

### ١ ـ الخمــر



### ٢ ـ المآكل المحــرمة



# خطايانا : في المجتمع



# خطايانا : في المعاملات

# في البطر



# في الإجرام



# في المصيبة

## ١ ـ التخفيف من وقع المصيبة



## ٢ ـ تحمل المصيبة

# خطايانا : في الإعراض عن العبادة

## كتب للمؤلف

# ١ - روح الدين الإسلامي

عرض وتحليل لأصول الإسلام وأحكامه تحت ضوء العلم والفلسفة

# ٢ - مع الأنبياء في القرآن

قصص ودروس وعبر من حياتهم

# ٣ - روح الصلاة في الإسلام

بيان لحكمة الصلاة الروحية والإجتماعية والنفسية
مع عرض لآراء الأئمة الخمسة في فقه الصلاة

# ٤ - اليهود في القرآن

تحليل علمي لنصوص القرآن في اليهود على ضوء الأحداث الحاضرة

الموزعون لهذه الكتب : دار العلم للملايين
بيروت - ص.ب ١٠٨٥

عنوان المؤلف

بيروت - ص. ب ١٠٨٥

# هذا الكتاب

- يُبيّنُ ماهيّة الخطيئة وأقسامها وما يترتّبُ عليها من غضب الله وعواقب سيّئة على الإنسان والمجتمع كما يُبيّن منهج الإسلام في التكفير عن الخطايا وعلاجها.

- يعرضُ لخطايا الإنسان نحو ربّه وعائلته وخطاياه في الجنس والمجتمع والمعاملات.

- يُبيّن مظاهر البطر والإجرام وأخطارهما على الأمّة وكيفية القضاء عليهما.

- يحلل مفهوم المصيبة في الإسلام والعلاج الذي وضعهُ لها بما يخفّفُ من وقعها ويُساعد على تحمّلها.

- يُظهرُ الأضرار الصّحية المترتبة عن الزّنا كما يُظهر أضرار الخمر ولحم الخنزير.

- يعرضُ خطايا ترك العبادات ومزايا القيام بها.

الثمن : ٧ ليرات لبنانية
أو ما يعادلها